شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني

نص المتن مقابل على عدة نسخ مطبوعة

لفضيلة الشيخ

صالح بن سعد السحيمي

حفظه الله تعالى

اعتنى بها

سالم بن محمد الجزائري

[أشرطة مفرغة]

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الرسالة

أحمد ربي خير حمد وأوفاه، محبة له وتعظيما، وثناء وإجلالا وإنابة وخضوعا، وأثني عليه بما له من الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العلى، والأفعال الجميلة الحكيمة، وهو للثناء والحمد أهل، وهو ربي لا أعبد إلا إياه، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وبعد، فهٰذه الدروس ألقاها فضيلة الشيخ صالح بن سعد السحيمي، عام ١٤١٦هـ بالمسجد النبوي، وهي عبارة عن شرح لمقدمة الإمام عبد الله بن أبي زيد القيروان المالكي—رحمه الله – واعتمد في الشرح على طبعة فضيلة الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله.

وقد فرّغتُ الأشرطة، محاولا أن يكون هٰذا التفريغ حرفيا وهو يتميز بـ:

- شكل الآيات وعَزْوِهَا.
- تخريج الأحاديث النبوية. ومنهجي فيها: فما كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، وإن لم يكن فأخرجه من السنن وأذيله بحكم الشيخ الألباني وإن لم يكن فأجتهد في تخريجه من مصادره.
- شكل ما يُشْكِل.
- قابلت نص المتن على نسخ مطبوعة؛ والإشارة لكل الاختلافات الموجودة.
  - حاشية العدوي على شرح أبي الحسن المسمى كفاية الطالب الرباني، دار الفكر ١٤٢٤هـ.
  - الفواكه الدواني على رسالة أبي زيد لقيرواني، لابن غنيم النفراوي، دار الكتب العلمية ١٤١٨هـ، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٤م
  - عقيدة ابن أبي زيد وعبث بعض المعاصرين بها، ضمن كتاب الردود للشيخ بكر أبو زيد طبعة دار العاصمة، سنة ١٤١٤هـ
  - مقدمة رسالة أبي زيد القيرواني ونظمها من مطبوعات دار لبيان الجزائر١٤٠٩هـ
  - قطف الجنى الداني شرح رسالة أبي زيد القيرواني للشيخ عبد المحسن العباد.
- وضعت ترجمة موجزة لأبي زيد القيرواني رحمه الله.
- وصدرت الكتاب بالمتن كاملا، وذيلته نظم للمقدمة للشيخ أحمد الأحسائي المالكي.

نسأل الله عز وجل أن ينفع بها مؤلفها وشارحها والمعتني بها والمستفيد منها وكل من ساهم في نشرها ونشر العقيدة السَّلفية الصحيحة بمنه وكرمه، آمين. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد

سالم بن محمد عبد المالك الجزائري

١٦ صفر ١٤٣٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة موجزة لأبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني

أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمٰن النفزاوي –وقيل: النفزي نسبة إلى نفزة بالأندلس- القيرواني ولد سنة ٣١٠ هجري، وهو شيخ المالكية بالمغرب، كان إماما بارعا في العلوم، واسع الثقافة والاطلاع، متبعا طريق السلف الصالح، وكان يلقب مالكا الصغير.

قال القاضي عياض أنه جامع رياسة الدين والدنيا، وقال ابن فرحون: اجتمع فيه الورع والعلم والفضل والعقل. وقال القابسي: هو إمام موثوق به في ديانته وروايته. وقال أبو الحسن بن عبد الله القطان: ما قلدت أبا محمد حتى رأيت النسائي يقلده. وقال الذهبي: كان ابن أبي زيد من العلماء العالمين وكان غاية في علم الأصول .

وكان ابن أبي زيد سلفي العقيدة والسلوك، بعيدا عن البدع والتحريف معتمدا على كتاب الله وسنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير آبه بما خالفهما،

وله مؤلفات كثيرة، وقد بلغت نحو أربعين مؤلفا في التفسير والحديث والفقه والرد على المخالفين، وأول مؤلفاته الرسالة، ولهذا قالوا: هي باكورة السعد وزبدة المذهب.

توفي –رحمه الله– في النصف من شعبان سنة ٣٨٦ هـ ودفن في داره بالقيروان، رحمه الله وعفا عنه.

بسم الله الرحمن الرحيم

حول مقدمة الرسالة

أفرد هـٰذه المقدمة عن الرسالة الخفّاف المالكي رحمه الله.

ونظمها الشيخ أحمد بن مشرف المالكي الأحسائي في تسعين بيتا، ستأتي في آخر الرسالة، إن شاء الله.

قال الشيخ بكر أبو زيد: مقدمة هـٰذه الرسالة على وجازتها حاوية لأول الاعتقاد في الإسلام على طريقة سلف هـٰذه الأمة، وخيارها من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم فمن بعدهم: في بيان حقيقة الإيمان وأركانه الستة، وتقرير توحيد الله سبحانه في أسمائه وصفاته كالاستواء وإثباتها على حقيقتها وتفويض كيفيتها، إثباتا من غير تفويض للحقيقة ولا تشبيه، ولا تمثيل، ولا تعطيل، فرحم الله هـٰذا الحبر رحمة واسعة. [1]

قال الشيخ عبد المحسن العباد: ألف علماء السنة قديما وحديثا مؤلفات توضح عقيدة أهل السنة والجماعة، منها ما هو مختصر، ومنها ما هو مطول، وكان من بين هـٰذه المختصرات مقدمة الإمام ابن أبي زيد القيرواني المالكي لرسالته، ومقدمة رسالته على طريقة السلف مختصرة مفيدة، والجمع بين الأصول والفروع في كتاب واحد نادر في فعل المؤلفين، وهو حسن.. وهي مع وجازتها وقلة ألفاظها تبيّن بوضوح العقيدة السليمة والمطابقة للفطرة، المبنية على نصوص الكتاب والسنة، وهي شاهد واضح للمقولة المشهورة: إن كلام السلف قليل كثير البركة وكلام المتكلمين كثير قليل البركة. [2]

---

[1] الردود للشيخ بكر أبو زيد، صحيفة (٤٥٨).

[2] قطف الجنى الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني للشيخ عبد المحسن العباد، صحيفة (٦-٧).

بسم الله الرحمن الرحيم

نص مقدمة الرسالة

ابن أبي زيد القيراوني –رحمه الله تعالى–

قال الإمام أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني رضي الله عنه وأرضاه:

الحمْدُ لله الذي ابتدأَ الإنسانَ بنعمَتِهِ، وصوَّرَه في الأرحام بحكمَتِه، وأبرزَه إلى رِفْقِهِ وما يسَّرَه له من رزقه، وعلَّمَه ما لم يكن يعلمُ، وكان فضْلُ الله عليهِ عظيمًا، ونبَّهه بآثار صنْعته، وأعْذَر إليه على ألسنة المرسلين الخيرةِ من خلْقه، فهدى من وفَّقه بفضله، وأضلَّ من خذله بعدله، ويسَّر المؤمنين لليسرى، وشرح صدورَهم للذِّكرى، فآمنوا بالله بألسنتهم ناطقين، وبقلوبهم مخلِصين، وبما أتَتْهم به رسلُه وكتُبه عاملين، وتعلّموا ما علّمهم، ووقفوا عند ما حدّ لهم، واستغنوا بما أحلّ لهم عمّا حرّم عليهم.

أما بعد؛ أعاننا اللهُ وإياك على رعاية ودائعه وحفظ ما أودعنا من شرائعه.

فإنَّك سألتني أن أكتب لك جملةً مختصرةً من واجب أمور الدِّيانة مما تنطق به الألسنةُ، وتعتقده القلوبُ، وتعمله الجوارحُ، وما يتصل بالواجب من ذلك من السُّنن من مؤكدها ونوافلها ورغائبها، وشيءٍ من الآدابِ منها، وجمل منْ أصول الفقه وفنونه على مذهب الإمام مالك بن أنس –رحمه الله تعالى– وطريقته، مع ما سهّل سبيلَ ما أشكل من ذلك من تفسير الراسخين وبيان المتفقهين، لِمَا رغبتَ فيه من تعليم ذلك للولدان، كما تعلّمهم حروف القرآن، ليسبقَ إلى قلوبهم من فهم دين الله وشرائعه ما تُرجى لهم بركتُه وتُحمد لهم عاقبتُه.

فأجبْتُك إلى ذلك، لما رجوتُه لنفسي ولك من ثواب مَن علَّم دين الله أو دعا إليه.

واعلمْ أن خير القلوب وأوعاها للخير وأرجى القلوب للخير ما لم يسبقِ الشر إليه. وأولى ما عُني به الناصحون ورغب في أجره الراغبون: إيصالُ الخير إلى قلوب أولاد المؤمنين ليرسخَ فيها، وتنبيهُهم على معالم الدِّيانة، وحدودِ الشريعة ليُراضوا عليها، وما عليهم أن تعتقده من الدِّين قلوبُهم، وتعمل به جوارحُهم؛ فإنه رُوي أن تعليم الصغار لكتاب الله يطفئ غضب الله، وأنّ تعليم الشيء في الصغر كالنقش في الحجر.

وقد مثَّلتُ لك من ذلك ما ينتفعون –إن شاء الله– بحفظه، ويَشْـرُفون بعلمـه، ويسـعدون باعتقاده والعمل به؛ وقد جاء أن يُؤمروا بالصلاة لسبع سنين، ويُضربوا عليها لعشر، ويفرَّق بينهم في المضاجع، فكذلك ينبغي أن يعلّموا ما فرض الله على العباد من قول وعمل قبل بلوغهم، ليأتي عليهم البلوغُ وقد تمكّن ذلك من قلوبهم، وسكنت إليه أنفسهم، وأنِست بما يعملون به من ذلك جوارحُهم.

وقد فرض الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ– على القلب عملا من الاعتقادات وعلى الجوارح الظـاهرة عملا من الطاعات.

وسأفصّل لك ما شرطتُ لك ذكره بَابًا بابًا ليقرب من فهم متعلمه –إن شاء الله تعالى–، وإياه نستخيرُ وبه نستعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد نبيـه وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

۞۞۞۞

بَابُ مَا تَنْطِقُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، وَتَعْتَقِدُهُ الأَفْئِدَةُ مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ الدِّيَانَاتِ

مِنْ ذَلِكَ الإِيمَانُ بِالْقَلْبِ، وَالنُّطْقُ بِاللِّسَانِ أَنَّ اللَّهَ [تعالى][1] إِلَهٌ وَاحِدٌ، لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلا شَـبِيهَ لَهُ، وَلا نَظِيرَ لَهُ، وَلاَ وَلَدَ لَهُ، وَلا وَالِدَ لَهُ، وَلاَ صَاحِبَةَ لَهُ، وَلاَ شَرِيكَ لَهُ.

[و][2]لَيْسَ لأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ، وَلاَ لآخِرِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ، [و][3]لاَ يَبْلُغُ كُنْهَ صِـفَتِهِ الْوَاصِـفُونَ، وَلاَ يُحِيطُ بِأَمْرِهِ الْمُتَفَكِّرُونَ، يَعْتَبِرُ الْمُتَفَكِّرُونَ بِآيَاتِهِ، وَلاَ يَتَفَكَّرُونَ فِي مَائِيَّةِ[4] ذَاتِهِ، ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُـوَ الْعَلِـيُّ الْعَظِيمُ﴾[البقرة:٢٥٥].

---

[1] زيادة من كفاية الطالب بحاشية العدوي.

[2] زيادة من كفاية الطالب بحاشية العدوي.

[3] غير موجودة عند النفراوي.

[4] ذكر الشيخ بكر أبو زيد أن في بعض النسخ: **ماهية**. ص (٤٦٢). وهو ما عليه النسخة التي اعتمدها الشيخ زيد في شـرحه لمقدمة الرسالة. وأيضا في نسخة طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (ماهية)، وهي التي اعتمدها الشيخ عبد المحسن في الشرح.

الْعَالِمُ، الْخَبِيرُ، الْمُدَبِّرُ، الْقَدِيرُ، السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ، الْعَلِيُّ، الْكَبِيرُ، وَأَنَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ الْمَجِيدِ بِذَاتِهِ. وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِعِلْمِهِ.

[وَ][1]خَلَقَ الإِنْسَانَ وَيَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ.

[وَ][2]عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، وَعَلَى الْمُلْكِ احْتَوَى، وَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى، وَالصِّفَاتُ الْعُلَى، لَمْ يَزَلْ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ، تَعَالَى أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ مَخْلُوقَةً، وَأَسْمَاؤُهُ مُحْدَثَةً، [وَ][3]كَلَّمَ مُوسَى بِكَلاَمِهِ الَّذِي هُوَ صِفَةُ ذَاتِهِ، لاَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَتَجَلَّى لِلْجَبَلِ فَصَارَ دَكًّا مِنْ جَلاَلِهِ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلاَمُ اللَّهِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ فَيَبِيدَ، وَلاَ صِفَةً لِمَخْلُوقٍ فَيَنْفَدَ.

وَالإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حُلْوِهِ وَمُرِّهِ، وَكُلُّ ذَلِكَ قَدْ قَدَّرَهُ اللَّهُ رَبُّنَا، وَمَقَادِيرُ الأُمُورِ بِيَدِهِ وَمَصْدَرُهَا عَنْ قَضَائِهِ، [وَ][4]عَلِمَ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلَ كَوْنِهِ، فَجَرَى عَلَى قَدَرِهِ، لاَ يَكُونُ مِنْ عِبَادِهِ قَوْلٌ وَلاَ عَمَلٌ إِلاَّ وَقَدْ قَضَاهُ، وَسَبَقَ عِلْمُهُ بِهِ: ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[الملك: ١٤].

يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ فَيَخْذُلُهُ بِعَدْلِهِ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُوَفِّقُهُ بِفَضْلِهِ، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ بِتَيْسِيرِهِ إِلَى مَا سَبَقَ مِنْ عِلْمِهِ و[قَدَرِه] [5] مِنْ شَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ.

تَعَالَى [[اللهُ][6] أَنْ يَكُونَ فِي مُلْكِهِ مَا لاَ يُرِيدُ، أَوْ يَكُونَ لأَحَدٍ عَنْهُ غِنًى، أَوْ] [7] يَكُونَ خَالِقٌ لِشَيْءٍ إِلاَّ هُوَ،[8] رَبُّ الْعِبَادِ وَرَبُّ أَعْمَالِهِمْ، وَالْمُقَدِّرُ لِحَرَكَاتِهِمْ وَآجَالِهِمْ، الْبَاعِثُ الرُّسُلَ إِلَيْهِمْ لإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ.

---

[1] زيادة من كفاية الطالب بحاشية العدوي.

[2] زيادة من كفاية الطالب بحاشية العدوي.

[3] زيادة من كفاية الطالب بحاشية العدوي.

[4] زيادة من كفاية الطالب بحاشية العدوي.

[5] عند النفراوي طبعة دار الكتب العلمية: إرَادَتِهِ.

[6] غير موجودة عند كفاية الطالب بحاشية العدوي والنفراوي طبعة طبعة دار الكتب العلمية. طبعة جامعة المدينة المنورة.

[7] عند النفراوي طبعة مكتبة الثقافة الدينية: أن. والباقي ساقط.

[8] في طبعة جامعة المدينة، أو يكون لأحد عنه غنى خالقا لكل شيء ألا هو رب العباد ورب أعمالهم.

ثُمَّ خَتَمَ الرِّسَالَةَ وَالنِّذَارَةَ وَالنُّبُوَّةَ بِـ[مُحَمَّدٍ][1] نَبِيِّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَجَعَلَهُ آخِرَ الْمُرْسَلِينَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا.

وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ الْحَكِيمَ، وَشَرَحَ بِهِ دِينَهُ الْقَوِيمَ، وَهَدَى بِهِ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ.

وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَ رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ يَمُوتُ، كَمَا بَدَأَهُمْ يَعُودُونَ.

وَأَنَّ اللَّهَ –سُبْحَانَهُ [وَتَعَالَى]–[2]ضَاعَفَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْحَسَنَاتِ، وَصَفَحَ لَهُمْ بِالتَّوْبَةِ عَنْ كَبَائِرِ السَّيِّئَاتِ، وَغَفَرَ لَهُمْ الصَّغَائِرَ بِاجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ، وَجَعَلَ مَنْ لَمْ يَتُبْ مِنَ الْكَبَائِرِ صَائِرًا إِلَى مَشِيئَتِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[النساء:٤٨، ١١٦]، وَمَنْ عَاقَبَهُ بِنَارِهِ أَخْرَجَهُ مِنْهَا بِإِيمَانِهِ فَأَدْخَلَهُ [بِهِ][3] جَنَّتَهُ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾[الزلزلة:٧]، وَيُخْرِجُ مِنْهَا بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مَنْ شَفَعَ لَهُ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِهِ.

وَأَنَّ اللَّهَ –سُبْحَانَهُ– قَدْ خَلَقَ الْجَنَّةَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لأَوْلِيَائِهِ وَأَكْرَمَهُمْ فِيهَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَهِيَ الَّتِي أَهْبَطَ مِنْهَا آدَمَ نَبِيَّهُ وَخَلِيفَتَهُ إِلَى أَرْضِهِ بِمَا سَبَقَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ. وَخَلَقَ النَّارَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ، وَأَلْحَدَ فِي آيَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَجَعَلَهُمْ مَحْجُوبِينَ عَنْ رُؤْيَتِهِ.

وأَنَّ اللَّهَ –تَبَارَكَ وَتَعَالَى– يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[الفجر:٢٢]، لِعَرْضِ الأُمَمِ وَحِسَابِهَا وَعُقُوبَتِهَا وَثَوَابِهَا، وَتُوضَعُ الْمَوَازِينُ لِوَزْنِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾[الأعراف:٨، المؤمنون:١٠٢]، وَيُؤْتَوْنَ صَحَائِفَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ: فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا، وَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَأُولَئِكَ يُصْلَوْنَ سَعِيرًا.

وَأَنَّ الصِّرَاطَ حَقٌّ، يَجُوزُهُ الْعِبَادُ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ؛ فَنَاجُونَ مُتَفَاوِتُونَ فِي سُرْعَةِ النَّجَاةِ عَلَيْهِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَقَوْمٌ أَوْبَقَتْهُمْ فِيهَا أَعْمَالُهُمْ.

---

[1] زيادة من كفاية الطالب بحاشية العدوي، والنفراوي طبعة مكتبة الثقافة الدينية.

[2] زيادة من كفاية الطالب بحاشية العدوي.

[3] غير موجودة عند كفاية الطالب بحاشية العدوي.

وَالإِيمَانُ بِحَوْضِ رَسُولِ اللَّهِ -[صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] [1]- تَرِدُهُ أُمَّتُهُ، لاَ يَظْمَأُ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ [أبدًا][2] وَيُذَادُ عَنْهُ مَنْ بَدَّلَ وَغَيَّرَ.

وَأَنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَإِخْلاَصٌ بِالْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، يَزِيدُ بِزِيَادَةِ الأَعْمَالِ، وَيَنْقُصُ بِنَقْصِ-[هَا][3]، فَيَكُونُ فِيهَا النَّقْصُ، وَبِهَا الزِّيَادَةُ، وَلاَ يَكْمُلُ قَوْلُ الإِيمَانِ إِلاَّ بِالْعَمَلِ.

وَلاَ [4] قَوْلَ وَعَمَلَ إِلاَّ بِنِيَّةٍ، وَلاَ قَوْلَ وَ[لاَ][5] عَمَلَ وَنِيَّةَ إِلاَّ بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ.

وَأَنَّهُ لاَ يَكْفُرُ أَحَدٌ بِذَنْبٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ.

وَأَنَّ الشُّهَدَاءَ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ السَّعَادَةِ بَاقِيَةٌ نَاعِمَةٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ مُعَذَّبَةٌ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ، وَيُسْأَلُونَ، ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾[إبراهيم:٢٧].

وَأَنَّ عَلَى الْعِبَادِ حَفَظَةً يَكْتُبُونَ أَعْمَالَهُمْ، وَلاَ يَسْقُطُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَنْ عِلْمِ رَبِّهِمْ، وَأَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ يَقْبِضُ الأَرْوَاحَ بِإِذْنِ رَبِّهِ.

وَأَنَّ خَيْرَ الْقُرُونِ الْقَرْنُ الَّذِينَ رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَآمَنُوا بِهِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، وَأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وَأَنْ لاَ يُذْكَرَ أَحَدٌ مِنْ [صَحَابَةِ][6] الرَّسُولِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلاَّ بِأَحْسَنِ ذِكْرٍ، وَالإِمْسَاكُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ وَأَنَّهُمْ أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ يُلْتَمَسَ لَهُمْ أَحْسَنُ الْمَخَارِجِ، وَيُظَنَّ بِهِمْ أَحْسَنُ الْمَذَاهِبِ.

---

[1] غير موجودة عند النفراوي.

[2] زيادة من كفاية الطالب بحاشية العدوي.

[3] عند كفاية الطالب بحاشية العدوي: **الأعمال**.

[4] عند كفاية الطالب بحاشية العدوي: ولا يكملُ قولٌ ولا عملٌ إلا بنيّةٍ.

[5] غير موجودة عند النفراوي وطبعة جامعة المدينة.

[6] عند كفاية الطالب بحاشية العدوي: **أصحاب**.

وَالطَّاعَةُ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ وُلاَةِ أُمُورِهِمْ، وَعُلَمَائِهِمْ، وَاتِّبَاعُ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَاقْتِفَاءُ آثَارِهِمْ، وَالاِسْتِغْفَارُ لَهُمْ.

وَتَرْكُ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ فِي الدِّينِ وَتَرْكُ كُلِّ مَا أَحْدَثَهُ الْمُحْدِثُونَ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ [نَبِيِّهِ] [1] وَعَلَى آلِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

[1] زيادة من النفراوي وحاشية العدوي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[مقدمة الشارح]

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ونستغفره، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شرور أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيئاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعدُ؛ فهـــٰذه مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني أبي محمد المتوفى سنة ست وثمانين وثلاثمائة للهجرة (٣٨٦هـــ)؛ الذي هو أحد أربعة أعلام اشتهُروا في بلاد المغرب الإسلامي، وهم:

- ابن أبي زيد صاحب هـــٰذه الرسالة.
- وأبو عمر الطالمنسي.
- وابن أبي زمنين.
- وأيضا أبو عمر ابن عبد البر.

هؤلاء الأربعة من أعلام السنة، ومن علماء التوحيد؛ الذين ساروا على منهج السلف الصالح في وقت بدأ يضعف فيه التزام هـــٰذا المنهج؛ ولكن الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– الذي تكفّل أن يبعث على رأس كل قرْن من يجدّد لهـــٰذه الأمة دينها –أي: ما اندرس من هـــٰذا الدين– قيّضهم في ذلك العصر حيث نفع الله بهم وبمؤلفاتهم وأحيى الله بهم السنة وقمع اللهُ بهم البدعة.

ومقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني التي بين أيدينا الآن هي مقدمة في العقيدة، سطَّر فيها خلاصةً عقيدة السلف رضوان الله عليهم المبنية على هدي الكتاب والسنة.

وهي على غرار ملخَّصات أو كُتُب مختصرة ألّفها كثير من سلفنا الصالح في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، مثل "العقيدة الطحاوية"، و"السُّنة" لأبي محمد البربهاري، وكذلك "عقيدة أهل الأثر وأهل الحديث" للصّابوني المتقدم و"الشّريعة" للآجري وغيرها من كتب السلف. ومن ذلك في القرن الثامن ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– مثل العقيدة "الواسطية" و"التدمرية" و"الحموية"، ونحو ذلك مما كتبه سلفنا الصالح.

فهـــٰذه المقدمة على هـــٰذا الغرار؛ وبقية الرسالة في الفقه.

وقد نظم هـٰذه المقدمة العظيمة ابن مشرّف الأحسائي المالكي المتوفّى سنة خمس وثمانين ومائتين وألف للهجرة (١٢٨٥هـ) أي في العصر الحديث قبل نحو مائة وثلاثين (١٣٠) سنة.[١]

ولعل مما ينبغي أنّ ننبه عليه أنّ للشيخ بكر أبو زيد[٢] رحمه الله رسالة أبطل فيها تحريفات أبو غدة لهـٰذا الكتاب؛ لأن هـٰذه المقدمة تعرّض لها كثير من غير أهلها، من غير أهل العقيدة، فحرفوها وحوروها على منهجهم؛ وتعسّفوا في نصوصها من أجل أن توافق منهجهم التأويلي لاسيما في باب الأسماء والصفات؛ ولكن نبّه على هـٰذه المغالطات بتنبيهات مفيدة وجيدة فارجعوا إليها؛ لأن الوقت لا يتسع لقراءتها؛ لأننا سنكتفي بالمتن أي متن ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله تعالى.

[١] تجد النظم في آخر الرسالة.

[٢] وهي رسالة بعنوان «عقيدة ابن أبي زيد القيرواني وعبث بعض المعاصرين بها» وطبعت ضمن «الردود» طبعة دار العاصمة.

[المتن]

قال الإمام أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني رضي الله عنه وأرضاه:

الحمْدُ لله الذي ابتدأَ الإنسانَ بنعمَتِهِ، وصوَّرَه في الأرحام بحكمَتِه، وأبرزَه إلى رِفْقِهِ وما يسَّرَه له من رزقه، وعلَّمَه ما لم يكن يعلمُ، وكان فضْلُ الله عليهِ عظيمًا، ونبَّهه بآثار صنْعته، وأعْذَر إليه على ألسنة المرسلين الخيرةِ من خلْقه، فهدى من وفَّقه بفضله، وأضلَّ من خذله بعدله.

[الشرح]

هـٰذه المقدمة التي بدأ بها المؤلف -رحمه الله تعالى- فيها إشارات لطيفة إلى عقيدة السلف حيث بدأ بحمد الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- والثناء عليه بما هو له أهل، ثم ذكّر الإنسان بنعمة الله عليه حيث صوّره وأكمل خلقه ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[التين:٤]، ثم أبدع فيه من عجائب قدرته ما لا يحصره حاصر، وجعل ذلك كله دلائل على قدته -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، خلق الإنسان من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم عظاما، ثم كسا اللهُ العظام لحما، ركّب فيه ما شاء من عجائب قدرته ودلائل حسن خلقته -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم وكرّمه وفضله على كثير من العالمين ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[الإسراء:٧٠].

فيجب على الإنسان أن يشكر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- على هـٰذه النعمة، وأنه سخّر له جميع المخلوقات، وأبدع صُنعه، فسخّر له حتى المخلوقات التي هي أقوى منه وأعتى، أنظروا إلى بعض الحيوانات كالإبل وغيرها مما سخره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى للإنسان، وخلق كثيرا من أجله ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء﴾[البقرة:٢٩]، فسخّر له كثيرا مما في السمٰوات وما في الأرض، وأجرى عليه نعمه الظاهرة و الباطنة، فيجب عليه أن يشكر الله على هـٰذه النعمة.

ثم أشار في هـٰذه المقدمة إلى أنه هداه بفضله وأضله بعدله، هـٰذه إشارة عظيمة إلى أن الهداية والإضلال بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿مَن يَشَإِ اللّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[الأنعام:٣٩]، ﴿يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[1] فالهداية والإضلال بيده، لا يملكها أحد غيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[القصص:٥٦]، ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[المدثر:٣١]، والآيات في هـٰذا الباب كثيرة.

---

[1] سورة: النحل الآية (٩٣)، فاطر الآية (٨).

ولذلك فالهدى والضلال بيد الله؛ ولكن الله -عز وجل- أعطى الإنسان الأسباب ويعرف بها الضار من النافع، والغث من السمين، ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[الإنسان:٣]، فهو -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بيّن له طريق الشر من طريق الخير، وأوضح له الأدلة وأرسل الرسل وأنزل الكتب وأقام الحجج والبراهين، فمن ضلّ فإنما يضلّ عن بينة، ومن اهتدى فإنما يهتدي عن بينة؛ ولذلك فإنّ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بيده الأمر كله والخير كله ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾[يونس:١٠٨].

الخلاصة أن الهدى والضلال بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وسيأتي له مزيد بيان عند إشارة الشيخ لمسائل القدر في مسألة الهدى والضلال.

فالله -عز وجل- هو الذي يهدي وهو الذي يضل، ولا حجة للجبرية في هٰذا الباب؛ لأن من هداه الله فقد هداه بفضله وتفضل عليه وتكرم عليه، ومن أضله فإنما أضله بعدله، والله -عز وجل- لا يسأل عما يفعل؛ لكنه أنار السبيل وأوضح الدليل وتركنا على المحجة الواضحة البيضاء التي ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيِيَ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الأنفال:٤٢].

[المتن]

ويسَّر المؤمنين لليسرى، وشرح صدورَهم للذِّكرى، فآمنوا بالله بألسنتهم ناطقين، وبقلوبهم مخلِصين، وبما أتَتْهم به رسلُه وكتُبه عاملين، وتعلّموا ما علّمهم، ووقفوا عند ما حدّ لهم، واستغنوا بما أحلّ لهم عمّا حرّم عليهم.

[الشرح]

ذكر ما وفّق الله له عباده الصالحين وعباده المؤمنين من الخير حيث يسر لهم سبله، ويسرهم لليسرى ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[الليل:٥-١٠]، فكل ميسر لما خُلق له.

ولقد يسر للمؤمنين أسباب الخير، وعرّفهم بها ودلّهم عليها، وهداهم إليها، وبصّرهم إلى الطرق التي توصل إليها، بإرسال الرسل، كما قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما بعث الله من نبي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم**»[1]، ووفقهم لطاعته وعصمهم عن معصيته وجعلهم هداة مهتدين ودعاة مرضيين، ولذلك جاء في الدعاء الطويل الذي يقال في التشهد كما ثبت من حديث عمار بن ياسر -رَضِيَ اللهُ عنْهُ- جاء في آخره: «**اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة**

(١) **مسلم**: كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، حديث رقم (١٨٤٤).

مهتدين»[1]، فوفّقهم للإيمان وبصّرهم فيما يقربهم إلى ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وبيّن لهم الخير من الشرّ، وبيّن لهم الطريق المستقيم من الطريق المعوج، وبيّن لهم ما يهتدون به إلى مرضاة ربّهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ، وأوضح لهم السبيل، وفَرَضَ عليهم الفرائض، وأحلّ لهم الحلال، وحرّم عليهم الحرام، وبيّن لهم حدود الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- كما قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها**»[2].

فالطريق واضح لمن وفقه الله عز وجل، والطريق الحق أبلج والباطل لجلج، فمن أراد الخير فإن سبله ميسرة لمن وفقه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، ومن أراد سبيل الهدى والرشاد فإن طرقه معبّدة ومذللة لمن وفقه الله عز وجل، فعليه أن ينظر ببصيرته وبعقله في حدود الشرع ولا يحكّم عقله ويجعله هو القاضي على الشرع؛ بل يجعل الشرع هو القاضي على العقل، نعم يُعمل عقله ويتدبر به ويتأمل به ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾[فصلت:٥٣]؛ ولكن ينبغي أن يخضع هذا العقل للشرع ولا يعتمد عليه وحده في مثل هذه الأمور؛ لأن العقل قاصر؛ بل هو عاجز بكل شيء والعقل يخضع للكتاب والسنة، ولا يخضع الكتاب والسنة للعقل؛ لأن الذي ضل به الضالون وانحرف به المنحرفون وبعُد به الناس عن الهدى، إنما كان نتيجة لتقديم العقل على النقل والاعتماد على العقل المجرّد، زعما منهم أن هذا العقل يوصلهم وحده إلى برّ النجاة، فحكّموا العقل؛ وقضوا بالعقل على النصوص، وجعلوا العقل مقدما على النصوص، فضلوا وأضلوا وحادوا عن منهج الله الحق، وبعدوا عن صراط الله المستقيم، ووقعوا في طريق الضالين، ولذلك فإنّ العلم ما قاله الله وقاله رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولهذا أشار المصنف -رحمه الله- في المقدمة إلى ذلك؛ أن الله علم الإنسان ما لم يعلم ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾[العلق:١-٥]، فهو علّمه الهدى، وعلمه طريق الخير، وعلمه الطريق الضار من الطريق النافع، وعلّمه طريق الهدى من طريق الضلال، فعليه أن يتبصّر في أمره ﴿**بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ**

---

(١) **سنن النسائي**: كتاب السهو، باب نوع آخر من الدعاء (٦٢)، حديث رقم (١٣٠٥، ١٣٠٦)، قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) وهو الحديث الثلاثون من الأربعين النووية، قال النووي: حديث حسن رواه الدارقطني وغيره، وهو في رياض الصالحين برقم (١٨٤١)، قال الشيخ الألباني: ضعيف، أنظر غاية المرام حديث رقم (٠٤).

ولكن ورد له لفظ آخر وهو «**ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئا**» وانظر غاية المرام حديث رقم (٢،٣).

بَصِيرَةٌ (١٤)﴾[القيامة:١٤]، ﴿قُلْ هـٰذه سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف:١٠٨].

فتنبهوا إخواني فإن هـٰذه المقدمة في حدّ ذاتها فيها تذكير للمسلم بوظيفته في هـٰذه الحياة، وهي عبادة الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- التي خلقهم لها وأوجدهم من أجلها، لذلك يقول تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾[الذاريات:٥٦-٥٧]، ولما خلق الله العباد لعبادته بيّن لهم ضوابط هـٰذه العبادة وحدّدها لهم وبيّنها في كتابه وفي سنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا نحتاج بعد إلى من يأتي ويزيد أو ينقص فيما تعبدنا الله به.

فيجب أن نعلم وأن نتفقه في دين الله، وفي هـٰذه المقدمة إشارة إلى أهمية العلم.

العلم يجعل الإنسان يعبد الله على بصيرة من أمره، لا يتخبّط في الظلمات، لذلك فإن العلم نور والجهل ظلمات، العلم نور ينير لك الطريق، وأنت لا تستطيع أن تهتدي في الظلام مع الطريق إلا بنور، والنور الذي يوصلك إلى بر النجاة عبر هـٰذه الظلمات إنما هو العلم؛ ولذلك سماه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى نورا في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا﴾[الشورى:٥٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ﴾[الأنعام:٩١] فالعلم نور يهدي به الله الناسَ من ظلمات الجهل إلى نور الهدى والتقى والورع، ليخرج الله به الناس ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ لماذا؟ ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[إبراهيم:١].

فإذن العلم نور، يعرف به المسلم الطريق الصحيح من الطريق الشائك، المعوج، من الطريق الذي يوقعك في الحفر، والمزلات، وبنيّات الطريق، ويوقعك في أقوال أهل الضلال وأهل الزيغ والبدع التي عمّت وطمّت أقوالهم في كثير من المجتمعات الإسلامية وللأسف، ولا خلاص لنا من التخبُّط في هـٰذه الظلمات إلا بالعلم والتعلم؛ العلم بكتاب الله والعلم بهدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن العلم هو قال الله وقال رسوله وقال الصحابة ومنهج السلف الذي هو أسلم وأعلم وأحكم.

أسلم؛ لأنه يسير على هدى من الله.

وأعلم؛ لأنه يستمد علمه من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأحكم؛ لأنه يضع الأشياء في مواضعها الصحيحة بعيدا عن الإفراط والتفريط، وبعيدا عن الغلو والتقصير، حتى نحقق الوسطية التي هي شأن هـٰذه الأمة ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[البقرة:١٤٣]، قال ابن كثير وغيره: ﴿وَسَطًا﴾ أي عدلا خيارا.

الذين يبتعدون عن تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين وتحريف الغالين ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[الأنعام:١٥٣]، ولذلك تعلمون أنّ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما ثبت في حديث عبد الله بن مسعود قام وخط خطا، خط عن يمينه وعن شماله خطوطا، قال: "**هـٰذا سبيل الله وتلك هي السبل**" أي الخطوط المتعرجة، "**وعلى كل سبيل شيطان يدعو إليه**"، [1] فعلينا أن نتلمّس سبيل الهدى لنسلكه، وأن نعضّ عليه بالنواجذ، وهـٰذا لا يتحقق إلا بالعلم والتعلم والتفقه في دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا سيما علم التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، والذي هو أساس جميع العلوم ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾[التوبة:١٠٩].

أما أدعياء العلم المعاصرين الذين يقولون: إنّ علم التوحيد يفرِّق الأمة، وإنه لا يصلح البدء به الآن.

فقولهم هـٰذا مخالف لمنهج الرسل عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فإن الرسل من أولهم نوح إلى خاتمهم وأفضلهم محمد -عَلَيْهِم الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- كلهم إنما دعوا إلى تحقيق التوحيد وتخليصه من شوائب الشرك والبدع، فما منهم من نبيّ إلا ودعا الناس إلى إخلاص العبادة لله وحده، ونبذ عبادة من سواه، فهل نقول كما يقوله البعيدون عن منهج الرسل وعن منهج السلف: إن البدء بالعقيدة أمر لا يصلح، أو أنه أمر يفرّق الأمة؟

نعم؛ حقا إنه يفرق الأمة، يفرّقهم إلى مشرك وموحّد، يفرّقهم إلى سني ومبتدع، يفرّقهم إلى مستقيم على الجادّة ومتخبّط يأخذ ذات اليمين وذات الشمال.

نعم إنه يفرّق؛ ولكن ليس على مفهومهم هم مِن أنه يفرق كيان الأمة الواحدة؛ لكنه يفرق بين أهل الزيغ والضلال وبين أهل الهدى والاعتدال؛ ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾[الأنفال:٤٢].

فهـٰذه الدعاوى التي نسمعها من بعض أدعياء الدعوة، لا شك أنها دعاوى مرفوضة جملة وتفصيلا، ومردودة على أصحابها، فإن الرسل -عَلَيْهِم الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- كلهم بدأوا بالعقيدة وبالدعوة إليها وبالتركيز عليها، حتى إذا ما رسخت في نفوس الأمة بدأوا بتفصيل الأحكام الشرعية التي أمرهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بها بعد ذلك.

ولذلك النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- كما تعلمون مكث ثلاثة عشر سنة يدعو إلى توحيد الله وحده و لم ينزل من الشرائع التفصيلية إلا القليل القليل، ولذلك عندما يبعث البعوث والرسل إلى الأمم والشعوب

([1]) **مسند أحمد (تحقيق أحمد شاكر)**: مسند ابن مسعود، حديث رقم (٤١٤٣). قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

والقبائل فإنه يأمرهم أن يبدأوا بما بدأ الله به، فإنه لما بعث معاذا إلى اليمن قال له: ((**إنك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ألا إله إلا الله** -وفي رواية: **إلى أن يوحدوا الله**[1]-، **فإنْ هم أجابوك لذلك فاخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أجابوك لذلك فأخبرهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقراءهم**))[2] إلى آخر الحديث.

فإذن علينا أن نبدأ بما بدأ الله به وألا نلتفت إلى النعيق الذي لا يخدم إلا أعداء الإسلام؛ ولأنه غثاء لا يمكن أن تجتمع عليه الأمة؛ بل لا بد من التصفية والتربية في هذا الباب.

ولابد أن نبدأ بما بدأ الله به وهو توحيد الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- في ربوبيته، وفي ألوهيته، وفي أسمائه وصفاته، وسائر ما أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى به.

[المتن]

أما بعد؛ أعاننا اللهُ وإياك على رعاية ودائعه وحفظ ما أودعنا من شرائعه.

فإنَّك سألتني أن أكتب لك جملةً مختصرةً من واجب أمور الدِّيانة مما تنطق به الألسنةُ، وتعتقده القلوبُ، وتعمله الجوارحُ، وما يتصل بالواجب من ذلك من السُّنن من مؤكدها ونوافلها ورغائبها، وشيءٍ من الآدابِ منها، وجمل منْ أصول الفقه وفنونه على مذهب الإمام مالك بن أنس -رحمه الله تعالى- وطريقته، مع ما سهّل سبيلَ ما أشكل من ذلك من تفسير الراسخين وبيان المتفقهين، لِمَا رغبتَ فيه من تعليم ذلك للولدان، كما تعلّمهم حروف القرآن، ليسبقَ إلى قلوبهم من فهم دين الله وشرائعه ما تُرجى لهم بركتُه وتُحمد لهم عاقبتُه.

فأجبْتُك إلى ذلك، لما رجوتُه لنفسي ولك من ثواب مَن علَّم دين الله أو دعا إليه.

واعلمْ أن خير القلوب وأوعاها للخير وأرجى القلوب للخير ما لم يسبقِ الشر إليه. وأولى ما عُني به الناصحون ورغب في أجره الراغبون: إيصالُ الخير إلى قلوب أولاد المؤمنين ليرسخَ فيها، وتنبيهُهم على معالم الدِّيانة، وحدودِ الشريعة ليُراضوا عليها، وما عليهم أن تعتقده من الدِّين

([1]) **البخاري**: كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته إلى توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، حديث رقم (٧٣٧٢).

([2]) **البخاري**: كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، حديث رقم (١٤٥٨).

مسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، حديث رقم (١٩).

قلوبُهم، وتعمل به جوارحُهم؛ فإنه رُوي أن تعليم الصغار لكتاب الله يطفئ غضب الله، وأنّ تعليم الشيء في الصغر كالنقش في الحجر.

وقد مثَّلتُ لك من ذلك ما ينتفعون -إن شاء الله- بحفظه، ويَشْرُفون بعلمه، ويسعدون باعتقاده والعمل به؛ وقد جاء أن يُؤمروا بالصلاة لسبع سنين، ويُضربوا عليها لعشر، ويفرَّق بينهم في المضاجع، فكذلك ينبغي أن يعلّموا ما فرض الله على العباد من قول وعمل قبل بلوغهم، ليأتي عليهم البلوغُ وقد تمكّن ذلك من قلوبهم، وسكنت إليه أنفسهم، وأنِست بما يعملون به من ذلك جوارحُهم.

وقد فرض الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- على القلب عملا من الاعتقادات وعلى الجوارح الظاهرة عملا من الطاعات.

وسأفصّل لك ما شرطتُ لك ذكره بَابًا بابًا ليقرب من فهم متعلمه -إن شاء الله تعالى-، وإياه نستخيرُ وبه نستعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

[الشرح]

هـــٰذه المقدمة تشتمل في على فوائد جمة.

من أهم تلك الفوائد: إشاراته العظيمة -رحمه الله- إلى أساس العمل وهو توحيد الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وما يجب أن يعتقده المسلم، وأن يعمل به وأن يقوله.

ثم أردف ذلك بالإشارة إلى أهمية فقه العبادات والمعاملات، وسائر أمور الدين، ليقول له: إنّ الإسلام يجب أن يؤخذ كله، وليس مجالا لأن يختار الإنسان منه ما يروق لأهوائه ونزواته وشهواته، ويترك ما عدا ذلك.

وإن الفقه في الدين وبيان معالمه وحدوده وأسسه؛ بل وفروعه من أوجب الواجبات، ومن أعظمها؛ لأن المسلم إذا تعلّم يكون على بصيرة من أمره، ويعبد الله على بصيرة، ويؤدي ما أوجب الله عليه بعد أن يتثبّت من أدلة وجوبه، ويترك ما حرّم الله عليه بعد أن يتثبت من تحريمه.

وأشار إلى أهمية الإلمام بأصول الدين وفروعه وسائر مسائله.

وأشار أيضا إلى أهمية التفقه في الدين في حياة المسلم حتى يعبد الله على بصيرة، وحتى لا يتخبّط -كما قلنا قبل قليل-، وجعل ذلك كله بأسلوب سهل سلس يفهمه حتى الأطفال الصغار.

وهو كما قال، لو نظرت إلى الرسالة وإلى مقدمتها فإنها واضحة، نعم قد يكون هناك أشياء تفصيلية تحتاج إلى بسط الأدلة ونحو ذلك؛ ولكن الرسالة عظيمة وسهلة، وفيها علم غزير بألفاظ قليلة؛ تؤدي معنى عظيما.

فينبغي لطالب العلم أن ينظر في كتب السلف هـٰذه بتجرّد وصدق، وينظر إلىٰ أنّ هـٰذه الكتب تدل على عمق وصحة وثبات عقيدة هؤلاء الأئمة حتى كتبوها بكلمات تكتب بأغلى من ماء الذهب كما يقال.

فلذلك فإنّ موضوع الرسالة مهم لاسيما مقدّمة الرسالة؛ لأنّ هـٰذه الرسالة التي بين أيدينا هي مقدمة رسالة أخرى كبيرة في التوحيد والفقه؛ ولكن الذي سوف نتكلم عنه ونشرحه هي مقدمة الرسالة التي تتعلق بالفقه الأكبر، وهو التوحيد، وتخليص التوحيد مما شابه من الشرك والبدع والمعاصي.

فالمقدمة هـٰذه نفسها طيبة جدا يُفيد منها المسلم وطالب العلم خاصة فوائد جمة.

[الأسئلة]

نجيب عن بعض الأسئلة.

سؤال (٠١): أرجو منكم بيان أو ذكر متن في العقيدة حتى تؤسس العقيدة الصحيحة؟

الجواب: أرى أنّ هـٰذه الرسالة التي بين أيديكم من أهم الرسائل في هـٰذا الباب، وهي مختصرة. وأيضا "الأصول الثلاثة"، وكذا "العقيدة الواسطية".

هـٰذه الثلاثة تعطيك خلاصة عقيدة السلف، وأساليبها سهلة ليس فيها تعقيد، وليس فيها فلسفة، ولا منطق.

فابدأ بـ"الأصول الثلاثة" احفظها حفظا جيدا، ثم إن استطعت أن تحفظ "متن الرسالة" أو متن "الواسطية"، فهـٰذا عمل جيد، يجعلك دائما تستحضر عبارات السلف في ذهنك ولاسيما عند الردود، فتنبه لهـٰذا.

وأيضا "متن كتاب التوحيد" أيضا، وإن كان التركيز فيه أكثر على توحيد الألوهية؛ ولكن المتن عظيم جدا وهو عبارة عن آيات والأحاديث؛ قال الله وقال رسوله، ثم المسائل التي استنبطها الشيخ رحمه الله تعالى.

على كل حال أرى أن تبدأ بـ"الأصول الثلاثة" ثم "الواسطية" أو هـٰذه "الرسالة" مع "كتاب التوحيد" للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وما فيه من آيات وأحاديث تقرر عقيدة السلف ومنهجهم.

سؤال (٠٢): هل يقدم الإنسان بر والديه على العلم، علما بأن بلده يوجد فيه بعض العلماء أو دور العلم؛ ولكن يريد أن يتوسّع -كما فهمت من السؤال- وأيضا هناك إخوانه يحتاجون إلى تربية؟

الجواب: إذا استطعت أن توفّق بين هـٰذه الأمور كلها فهو أولى، تطلب العلم وتبرّ والديك وتربي إخوانك على طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ.

وأظن أن الجمع بينها ليس مستحيلا بإذن الله على من وفّقه الله عز وجل، ولذلك إذا أردت أن تذهب من بلد إلى بلد فالأوْلى أن تستأذن والديك وأن تطلب منهم أن يأذنوا لك حتى تواصل علمك وحتى تطلب العلم وترحل في طلب العلم.

ولا أظن أن والدين يعترضان على مثل هـٰذا الطلب؛ لكن لو أصرّا على بقائك في بلدك وعندك من العلم أو من دور العلم ما تعرف به القدر الذي تعبد به ربك عبادة صحيحة، فأرى أن هـٰذا يكفي إذا لم يسمحا لك بالسّفر إلى أماكن يدرَّس فيها العلم تفصيلا.

فاجمع بين هـٰذه الأمور واجتهد في الجمع بينها؛ لكن إن كان الوالدان يحتاجان إليك فابق معهما، واطلب العلم في بلدك واجتهد في طلبه ولو أن تذهب فترات وتعود؛ لكن يفضّل أن يكون ذلك فإذن الوالدين.

وكذلك ما يتعلق بتربية إخوانك، هـٰذا مهم جدا وهم أمانة عندك «**ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا حرّم الله عليه الجنة**».[1]

فإذن المسألة تحتاج إلى اجتهاد وإلى موازنة بين المصالح في هـٰذا الباب؛ ولكن لا أظن أن والدين يعترضان على ابنهما إذا كان عنده طموح يريد أن يطلب العلم في دور العلم وفي بلد العلم.

على أية حال يمكنك أن تبرّ والديك وتربي إخوانك وأن تطلب العلم العيني في بلدك، وأما العلم الكفائي -الذي إذا قام به البعض سقط عن الآخرين- هـٰذا يمكن أن تقدم برّ الوالدين عليه إذا رفضا أن تذهب إلى أماكن تتزود فيها بالعلم النافع.

سؤال (٠٣): ما قولكم فيمن يقول: إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يكفّر الناس، وأنه قاتلهم لذلك، وما إلى ذلك من الإشاعات والأقاويل؟

الجواب: الشيخ -رحمه الله- تعلمون جهاده، وصدعه بالحق، وإعلانه البراءة مما وجد عليه أهل عصره من تعلق بالأضرحة والقبور، ودعائهم من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ، حتى قيّض الله له من ناصره وهو الإمام

([1]) **البخاري**: كتاب الأحكام، باب من استرعي فلم ينصح، حديث رقم (٧١٥٠).
مسلم: كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، حديث رقم (١٤٢) .

محمد بن سعود -رحمه الله تعالى- ونصر به الدعوة، ونشّأ الناس على منهج السلف وقضى على الشركيات والخرافات والبدع في الجزيرة في ذلك الوقت، وما زلنا نتفيأ ضلال هـٰذه الدعوة المباركة إلى يومنا هـٰذا.

وأما هـٰذه الدعاوى فهي دعاوى باطلة، لأنه ما قاتل الناس إبداءً، إلا من وقف في طريق الدعوة وأصرّ على شركه واستمر في شركياته وعلى بدَعه ؛ بل إنه -رحمه الله تعالى- لم يكن يعاجل أحدا قبل أن يُقيم عليه الحجة، فإن له عبارات في ثنايا كتبه تدل على أنه يشترط قيام الحجة حتى على الذين عبدوا القبور وتعلقوا بالقبور وطافوا بها وذبحوا لها ونذروا لها، يشترط في أمرهم إقامة الحجة وفهمها.

هـٰذه دعاوى غير صحيحة، فما ينسب للشيخ من تكفيره للمسلمين، غير صحيح؛ بل هو كلام باطل من المغرضين ومن المخرّفين ومن عبّاد القبور وعبّاد القباب الذين جعلوا ذلك الأمر ديدنا لهم، وظنوا أنه يقربهم إلى الله، كما كان يفعل أهل الجاهلية الذين يعبدون أصنامهم لتُقربهم إلى الله زلفا.

فما الفرق بين اللات والعزى ومناة وهبل وبين ميّت؟ تلك يُذبح لها وينذر لها ويطاف بها وتُقدّم لها القرابين، وكذلك تقدم تلك الأمور كلها -من الذبح والنذر والاستغاثة والاستعانة ونحو ذلك- إلى ميت في قبره. ما الفرق بين هـٰذا وذاك؟

على أية حال هـٰذه الدعاوى على الشيخ ليست صحيحة، أنه لم يكفر المسلمين.

وإنما من وقع في الشرك فهو مشرك، ومن وقع في الكفر فهو كافر، ومع ذلك فإنه اشترط قيام الحجة في ذلك ونص على ذلك وبينه كل البيان.

ولما خشي أعداء الإسلام انتشار الدعوة الحقة -دعوة السلف- أخذوا يكيلون من الأكاذيب والشتائم والتزوير ما لا يمكن حصره، وهـٰذا أمر لم يسلم منه حتى الأنبياء والرسل.

ويذكر أنّ رجلا كان دائما يدعو على الشيخ رحمه الله دبر كل صلاة لاسيما صلاة الجمعة، فجاء أحد وأهدى إليه كتاب التوحيد ونزع الغلاف منه وقال: أريد أن تنظر لي في هـٰذا الأمر، فنظر فيه وإذا به لا يعْدُ أن يكون آيات وأحاديث تقرر عقيدة الإسلام وتقرر التوحيد.

فقال للذي جاء بالكتاب: أين يوجد هـٰذا الكتاب؟ هـٰذا لم يؤلف مثله، ولا يوجد مثله على وجه الأرض في بيان كل مسألة بدليلها من مسائل العقيدة، فعندها أخبره، فلما اتضح له الأمر أصبح يدعو للشيخ بعد أن كان يوما من الأيام يدعو عليه.

على أية حال تشويه الحقائق بالنسبة لدعوة الشيخ وغيرها أمر معروف منذ القدم، شنشنة نعرفها من أخزم، كما يقال؛ ولكن العبرة بما دلّ عليه الدليل، وأوضحه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والله الهادي إلى سواء السبيل، والله أعلم، وصلى وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الاثنين ١٥ ليلة ١٦ جمادى الأولى ١٤١٦هـ بعد صلاة المغرب

[المتن]

بَابُ مَا تَنْطِقُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، وَتَعْتَقِدُهُ الأَفْئِدَةُ مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ الدِّيَانَاتِ

[الشرح]

هنا في هـٰذه المقدمة جعل الباب الأول في أهم وأعظم وأول واجب على العبد؛ لأنّ المتكلمين زعموا أن أعظم واجب وأول واجب على العبد هو الشك أو النظر أو القصد إلى النظر، بينما عقيدة أهل السنة أن أول واجب على العبد هو التوحيد.

ولذلك بدأ المصنف -رحمه الله- بتقرير أول واجب على العبد، فما هو أول واجب على المكلف؟ وما هو الذي يجب أن يبدأ به؟ نبدأ بما بدأ الله به وأمر برسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يبدأ به ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾[محمد:١٩]، ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[آل عمران:١٨].

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عنْهما لما بعث معاذا إلى اليمن قال: "**إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إلى إلا الله**"[1] يمكن أن نقول: (فليكن أولَ ما تدعوهم إليه شهادةُ أن لا إلـٰه إلا الله)، أو نقول: (فليكن أولُ ما تدعوهم إليه شهادةَ أن لا إلـٰه إلا الله)؛ يعني يمكن أن تكون (أول) هي اسم (يكن) وخبرها (شهادة)، وتكون (شهادة) منصوبة، ويمكن أن تكون العكس ولعله هو الأولى: (فليكن أولَ ما تدعوهم إليه شهادةُ أن لا إلـٰه إلا الله)، وفي ورواية (أن يوحدوا الله).

والشاهد من الحديث -وبقية الحديث معروفة- أن أول واجب على المكلف معرفته هو التوحيد، ولذلك ألّف شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعال-ى كتابه "الأصول الثلاثة"، وإنها لبيان أول واجب على العبد.

ولذلك فإن طلاب العلم ينبغي أن يبدؤوا بمثل هـٰذا الكتاب الصغير في حجمه، العظيم في فضله وما فيه من علم وما يحويه من فوائد جمة.

([1]) سبق تخريجه في الصفحة (١٥).

أول واجب على المكلف يجب أن يُعنى به وأن يبدأ به قبل كل شيء هو تحقيق توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ.

وليس المقصود أن نبدأ ببعض الأمور التي يدعو إليها بعض الحزبيين في هـٰذا العصر، فإنّ الناس قد تعددت مشاربهم وكثرت أقاويلهم وامتلأت الساحة الإسلامية بأدعياء يرون أن يُبدأ من أعلى ويُنزل إلى أسفل، وهـٰذه الطريقة مآلها إلى السقوط، لَمّا تأتي وتبني هل تبدأ تحفر الأساسات أو تطلع من فوق من جهة السماء وتنزل إلى الأرض؟! إذن ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾[التوبة:١٠٩].

ولذلك نبدأ بما بدأ الله به ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾[محمد:١٩]، هـٰذا هو الذي يجب البدء به، تحقيق الشهادتين؛ وتحقيق التوحيد.

المتكلمون قالوا: أول واجب على العبد هو الشك أو النظر أو القصد إلىٰ النظر؛ يعني تبدأ بالشك حتى يأتيك اليقين، كيف يأتي اليقين وأنت تبدأ بالشك؟ وكذلك النظر، أي نظر؟

ابدأ بالتوحيد، ابدأ بما بدأ الله به.

وفي هـٰذا العصر يقولون: أول ما يُبدأ به السعي إلى إقامة الدولة الإسلامية.

وآخرون يقولون: أول ما يبدأ به طقوس معينة يعبِّرون عنها بالصفات الست وكثير منها يفسر بتفسير أصحاب وحدة الوجود ولاسيما تفسيرهم لمعنى (لا إلـٰه إلا الله).

وآخرون يقولون: يجب أن نبدأ ببعض العلوم الكونية حتى نكون في مصاف الغربيين، ثم بعد ذلك نلتفت إلى العقيدة ونصلحها.

وآخرون يقولون: نهتم بالسياسة حتى نحقق ما نصْبوا إليه من إقامة الدولة، ثم بعد ذلك نعود إلى إصلاح عقيدة التوحيد.

أولا –ولله الحمد– دولة التوحيد قائمة في هـٰذه البلاد السعودية، والموحدون كثر أيضا حتى في خارج الدولة؛ أعني هـٰذه البلاد –ولله الحمد والمنة– تحمى فيه عقيدة التوحيد. فأهل العلم يقومون بالدعوة إلى تصحيح ما فسد من عقائد المسلمين.

وأيضا لا يخلو بلد من وجود من هم على هـٰذا المنهج ولله الحمد والمنة، وإن كان في غير هـٰذه البلاد ليست له دولة تتبناه وتحميه.

لكن المنهج الذي اختصه هؤلاء من البدء بالتركيز على الجانب السياسي والمهاترات السياسية وطلب الحكم وطلب المناصب هو الذي ضيع تلك الدعوات، ولو أنهم بدؤوا بما بدأ الله به لتحقق لهم ما لم يكن في الحسبان: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[النساء:٨٣].

إذن نبدأ بما بدأ الله به؛ هـــٰذا هو معنى عبارة المصنف هنا: إن أول واجب على العبد هو الإيمان بالله.. إلى آخره، هـــٰذا هو المراد؛ يعني المقصود: نبدأ بما بدأ الله به بأن نصحح ما فسد من عقائد المسلمين.

ولذلك ما يجري في بعض البلاد الإسلامية، مثلا ما جرى في أفغانستان؛ تضحيات ومجاهدون ويبلغون مئات الألوف ليس من الأفغان فقط؛ بل من كثير من العالم الإسلامي، ثم خرج الشيوعيون، وأخذ أهل الأفغان بلادهم؛ لكن ما الذي نتج بعد ذلك؟ الذي نتج أنهم يتصارعون الآن على الحكم، والسبب هو ما نصحناهم به قبل نحو خمس عشرة (١٥) سنة وهو تحزبهم للأشخاص وطلبهم المناصب، وبُعدهم عن روح الجهاد الحق الذي يجب أن تكون لله؛ لإعلاء كلمة الله وتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى، هـــٰذا هو المقصود.

ولذلك ما حذرناهم منه هو الذي وقع، والله لقد قلت لهم السبعة وهم مجتمعون في بيشاور قبل خمسة عشر سنة: لن تنتصروا وأنتم سبعة أحزاب، اتحدوا تحت لواء واحد، وابدؤوا بتوحيد الله عز وجل، وأسسوا منهجكم عليه تنتصروا بإذن الله، نعم حصل الانتصار ولكن صار أمرهم بينهم ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[الأنفال:٤٦].

إذن -نعود إلى موضوعنا- وهو أن أهم ما يجب أن يبدأ به المسلم إسلامه هو تحقيق التوحيد، ومن زعم أن البدء بغير ذلك يحقق له المراد ويحقق له المطلوب ويقيم له دولة الإسلام التي ينشدها، والله لن يتحقق له ذلك، أبدا، ولم نستفد من هـــٰذه الدعوات التي تنخر في عظام المسلمين باسم الإسلام منذ عشرات السنين إلا القضاء على الشباب المسلم المسكين المغلوب على أمره، بسبب هـــٰذه الدعوات.

فعلينا بالعلم والتعلم والتفقه في دين الله، وأن نبدأ بما بدأ الله به، ألا وهو الإيمان بالله، تصحيح الإيمان، وتصحيح العقيدة، وتصحيح ما فسد من عقائد الأمة.

[المتن]

مِنْ ذَلِكَ الإِيمَانُ بِالْقَلْبِ، وَالنُّطْقُ بِاللِّسَانِ أَنَّ اللَّهَ [تعالى] إِلَهٌ وَاحِدٌ، لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلا شَبِيهَ لَهُ، وَلا نَظِيرَ لَهُ، وَلاَ وَلَدَ لَهُ، وَلا وَالِدَ لَهُ، وَلاَ صَاحِبَةَ لَهُ، وَلاَ شَرِيكَ لَهُ.

[الشرح]

إذن هـــٰذا هو المبدأ الأول والمطلب الأول، وهو تحقيق الإيمان بالقول واللسان والعمل.

ولذلك عرّف السلف الإيمان بأنه: قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالجوارح.

الآن هو سيتدرّج مع أركان الإيمان واحدا واحدا.

فبدأ بركن (الإيمان بالله) الإيمان بالله ربا وإلها ومعبودا؛ ليس الإيمان به ربا فقط ونشرك في ألوهيته وفي عبوديته، ونطلب جلب النفع ودفع الضُّر من غيره، كما هو عادة أصحاب القبور المنتشرة في كثير من بلاد المسلمين، وإنما المراد تحقيق العبودية لله، تحقيقا عمليا وعَقَديا بأنْ يعقد قلبُك على هـٰذه العقيدة وتؤمن بيقين وإخلاص بأنّ الله واحد أحد فرد صمد، لا ربّ سواه، ولا إلـٰه غيره، ولا معبود بحق سواه، وتعتقد ذلك بقلبك وتعمل بموجبه ومقتضاه بجوارحك واللَّهَجِ بذلك بلسانك، هـٰذا هو الذي يجب البدْء به، وهـٰذا هو أول واجب على العبد أن يقوم به.

ولذلك تعتقد بأنه لا شريك له في ربوبيته، ولا شريك له في عبوديته، ولا شريك له في أسمائه وصفاته، ولا ندّ له، ولا نظير له، ولا شبيه له؛ ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[البقرة:٢١-٢٢]، هـٰذا هو الشاهد: ﴿**فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾[مريم:٦٥]، وقوله تَعَالىٰ: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)**﴾[الإخلاص] سورة الإخلاص التي أخبر النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أنها تعدل ثلث القرآن،[1] وكان يقرؤها في الوتر وفي ركعتي الطواف، وأيضا في الركعتين بعد المغرب، وفي سنة الفجر؛ هـٰذه يعني هي من أعظم سور القرآن، لذلك أخبر النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أنها تعدل ثلث القرآن، أي في الفضل والأجر، وليس المقصود ما قد يفهمه بعض العامة أنه إذا قرأها ثلاثة مرات أنه تجزئ عن قراءة القرآن، ليس هـٰذا هو المراد، وإنما المراد الفضل والأجر وإلا فهي لا تُغني عن قراءة القرآن للمسلم.

فإذن هـٰذا هو أول واجب على العبد؛ أن تؤمن بأن الله لا نظير له، ولا شبيه له، ولا نِدّ له، ولا سمي له، ولذلك نرى أن النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قد رسّخ هـٰذا المعنى حتى في بعض الأمور التي قد يتساهل فيها الناس، كما قال للرجل الذي قال: ما شاء الله وشئت، قال: ((**أجعلتني لله عِدْلاً**))، وفي رواية: ((**أجعلتني لله ندا؟ قل: ما شاء الله وحده**))[2] بل ما شاء الله وحده.

فإذن لابد من تحقيق التوحيد.

---

(١) **مسلم**: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة قل هو الله أحد، حديث رقم (٨١١).

(٢) **مسند أحمد (تحقيق أحمد شاكر)**: حديث رقم (١٨٣٩)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

سنن البيهقي: كتاب الجمعة، باب ما يكره من الكلام في الخطبة، حديث رقم (٥٨١٢).

أورده الشيخ الألباني في **السلسلة الصحيحة** برقم (١٣٩) وقال: إسناده حسن.

وذكر المصنف هنا -رحمه الله- هـٰذه الألفاظ التي بعضها يكون مترادفا لتحقيق هـٰذا المطلب وهو التوحيد، ولذلك قال: (**لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلا شَبِيهَ لَهُ، وَلا نَظِيرَ لَهُ.**) إلى آخره، ثم أكد لذلك ببيان استغنائه عما سواه وتفرده بالملك وحده فأخبر أنه لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد، و لم يتخذ صاحبة، ثم بين تنزيهه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن مشابهة المخلوقين بنفي الصاحبة كما قال تعالىٰ: ﴿**مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا**﴾[الجن:٣]؛ لأن اتخاذ الصاحبة ووجود الولد هي صفات كمال بالنسبة للمخلوق؛ ولكنها صفة نقص لو نُسبت للخالق -تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا- لأن هـٰذه الأشياء تسدّ مسد أمر يفتقر إليه العبد لذلك يحتاج إلى النكاح ويحتاج إلى الصاحبة ويحتاج إلى الولد ليساعده ويعاونه ولذلك دعا زكريا ربه: ﴿**فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا**﴾[مريم:٥-٦].

فإذن العبد يحتاج إلى هـٰذه الأمور؛ ولكنّ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- لا يحتاج إلى شيء من ذلك ﴿**وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا**﴾[الفرقان:٢]، فهو لا ند له ولا شبيه له ولا مثيل له، ولذلك قال تَعَالَى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾[الشورى:١١] لا في ذاته ولا في أسمائه، ولا في صفاته ولا في ألوهيته وعبوديته، ولا في تصرفه وتدبيره -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لا رادّ لقضائه ولا معقب لحكمه.

[المتن]

[و]لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ، وَلاَ لآخِرِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ.

[الشرح]

يشير بهـٰذا إلى بعض أسمائه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- كالأول والآخر، وهـٰذه جاءت في آية واحدة في سورة الحديد مع اسمين آخرين وهو قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[الحديد:٣] وقد جاء تفسير ذلك على وفق ما بيّن المصنف هنا رحمه الله، في الحديث الدعاء الذي نقوله عند النوم ولعلكم تحفظونه إن شاء الله تعالىٰ: ((**اللهم رب السمٰوات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزّل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شر أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر**))[1] هـٰذا الدعاء يُسنّ أن يقال عند النوم، وهو ثابت في الصحيح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[1] **مسلم**: كتاب الذكر والدعاء التوبة، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، حديث رقم (**٢٧١٣**).

والشاهد منه لما ذكره المصنف (**أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعد شيء**) وكمّلها بقوله (**وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء**).

[المتن]

[و]لاَ يَبْلُغُ كُنْهَ صِفَتِهِ الْوَاصِفُونَ، وَلاَ يُحِيطُ بِأَمْرِهِ الْمُتَفَكِّرُونَ، يَعْتَبِرُ الْمُتَفَكِّرُونَ بِآيَاتِهِ، وَلاَ يَتَفَكَّرُونَ فِي مَائِيَّةِ ذَاتِهِ، ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[البقرة:٢٥٥].

[الشرح]

هــٰذه العبارة أيضا تتعلق بالأسماء والصفات، فقد بيّن المصنف -رحمه الله- أنّه لا يمكن أن يدرك أحد كنه ذاته، نعم نؤمن بأسمائه وصفاته وبمعانيها اللائقة بجلال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وننفي مشابهتها للمخلوقين، كما سيأتي بيان ذلك عند الأمثلة التي مثل بها المصنف في باب الأسماء والصفات.

ولذلك فإننا في باب الأسماء والصفات يجب أن نتّبع أو نسير على هــٰذا النحو:

أولا: الإيمان بالأسماء والصفات كما وردت في الكتاب والسنة.

ثانيا: الإيمان بأن لها معانٍ، لا نقول كما تقول المتفلسفة والمتكلمة بأنها ألفاظ مجردة، ونفوضها -كما زعموا-، وإنما المراد أن نؤمن بأن لها معاني.

ثالثا: أن نؤمن بتلك المعاني على الوجه اللائق بجلال الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ.

رابعا: أن نعتقد أن تلك المعاني لا تشبه بحال صفات المخلوقين.

الخامس: أن نبتعد فيها عن أي تأويل.

السادس: أن نفوّض علم كيفيتها إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وسنطبّق ذلك على بعض ما سيذكره المصنف من الأسماء والصفات.

اجعل هــٰذه القواعد -النقاط الست- نصب عينيك في أي اسم للرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى يمر بك.

ثم استطرد المصنف -رحمه الله تعالى- بعد أن ذكر أنه لا يحيط أحد بكنه صفاته؛ أي مع إيمننا بها فإننا نفوض كيفيتها إلى الله عز وجل، وكما قلت سيأتي بذلك أمثلة تطبيقية.

ثم بين أنه لا يحيط أحد بشيء من علمه كما قال تعالى: ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا**﴾[طه:١١٠].

كما أمر أن نتفكر في آياته ومخلوقاته، وأن لا نشغل أنفسنا بالتفكير في ماهية ذاته يعني في الكيفيــات، نؤمن بأنه -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- الواحد الأحد الفرد الصمد وأن له ذاتا تخصه لا تشبه الذوات؛ ولكن مع قطع الطمع عن إدراك الكيفية.

ثم استدل بطرف من آية الكرسي ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[البقرة:٢٥٥].

أولا تعلمون أن آية الكرسي هي أعظم آية في كتاب الله، كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي بن كعب رَضِيَ اللهُ عنْهُ أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سأله قائلا: «**أي آية أعظم في كتاب الله؟**» قال: آية الكرسي. فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليهنئك العلم أبا المنذر**»،[1] من هو (أبو المنذر)؟ أبيّ بن كعب.

فهي أعظم آية في كتاب الله؛ لأنها اشتملت بعض أسمائه وبعض صفاته العظيمة التي لا يحيط أحد بكيفيتها ولا كنهها إلا ما أطلعهم عليه ﴿مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾[آل عمران:١٧٩]، أو كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾[الجن:٢٦-٢٨].

فإذن لا يعلم أحدٌ شيئا إلا ما علّمه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، وهؤلاء الذين يدعون أنهم وصلوا إلى العلم اللدني الذي لا يطلع عليه إلا الله من بعض أباطيل الصوفية وبعض مخاريق أصحاب الطرق الصوفية، هذه لا يلتفت إليها لأنها معروفة البطلان ومعروفة الفساد من الدين بالضرورة، ولا تحتاج أن نتوقف عندها.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ الكرسي كثرت فيه أقاويل الناس:

فقيل: العلم.

وقيل: المُلك.

وقيل: هو العرش نفسه.

وكلها أقوال باطلة.

أصح ما قيل في تفسير الكرسي هو ما ثبت عن ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عنْهُما- أنّ الكرسي هو موضع القدمين، أي قدمي الرحمٰن سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ، ومثل هٰذا الأثر ما دام قد ثبت عن ابن عباس بسند صحيح فإنه مما لا مجال للاجتهاد فيه، فهو ليس محلا للرأي والاجتهاد؛ بل هو مما اختص الله بعلمه، ولا يمكن أن يتكلم فيه ابن عباس عن هوى أو بمحض الرأي؛ ولكن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عنْهما قد دعا النبي له بالتفقه في الدين وبعلم التأويل -أي التّفسير- فاستجاب الله دعاء نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

[1] **مسلم**: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، حديث رقم (٨١٠).

فلو جاءنا متحذلق يقول: هـــٰذا كلام صحابي فهو كلام ابن عباس نرد عليه بما يأتي:

أولا: أن كلام الصحابة مقدم على غيره ما لم يعارض نصا نبويا أو قرآنيا.

ثانيا: أنه كلام من دعا له النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالفقه في الدين وبفهم كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ثالثا: أنه قد ثبت عنه بسند صحيح لا غبار عليه.

رابعا: أنه مما لا مجال للاجتهاد ولا للرأي فيه، فلا شك أنه ما قاله إلا عن توقيف وعلم.

فلذلك أصح ما قيل في موضوع الكرسي أنه موضع القدمين.

﴿وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ أي لا يثقله ولا يكرثه حفظهما.

﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ العلي العظيم اسمان من أسمائه الحسنى، وصفة العلو سيأتي لها مزيد بيان، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى له:

- علو القدر.
- وعلو القهر.
- وعلو الذات.

علو المكان وعلو المكانة وعلو المنزلة؛ قدرا وقهرا وذاتا، وليس فقط علو القهر كما تزعمه المؤولة والمعطلة.

[المتن]

الْعَالِمُ، الْخَبِيرُ، الْمُدَبِّرُ، الْقَدِيرُ، السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ، الْعَلِيُّ، الْكَبِيرُ.

[الشرح]

ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- بعض أسماء الله الحسنى منها: (الْعَلِيُّ) الذي يدل على صفة العلو كما قلنا: علو الذات، وعلو المكان وعلو المنزلة والمكانة، والقهر أيضا، كلها مجتمعة في حقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، و(الْكَبِيرُ) الذي هو أعظم من كل شيء ولا يقارن بشيء من المخلوقات لأنه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- هو الخالق لكل شيء، فلابد أن يكون أعظم من كل شيء، وأنه قد أحاط بجميع خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

كذلك ذكره لـــ(الْعَالِمُ، الْخَبِيرُ) يعني من أسماء الله الحسنى العليم الذي لا حد لعلمه ولا ينفذ علمه ولا يقف عند حد، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[الملك:١٤] وهو عالم بما يصلح عباده، وهو العالم بما خلق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهو (الْخَبِيرُ) بكل أمورهم وشؤونهم لا تخفى عنه خافية في الأرض ولا في السماء، ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[سبأ:٣]، ولذلك فإنه لا تخفى عليه خافية، يعلم ما يجول في الخواطر، يعلم السر وأخفى، يعلم دبيب النملة في الليلة المظلمة على صفاة سوداء، ولا يحيط أحد بشيء من علمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

صفة (العالم) أو اسم (العليم) والعالم صفة، والخبير: المقدر أي الخالق والمدبر لكل شيء.

ذكر هـٰذه الأسماء -رحمه الله تعالى- لأنها أسماء جامعة لكل الأمور التي تدل على تفرده -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لتدبير شؤون خلقه، وتدل على سعة علمه وفضله وتكرّمه على عباده، ولذلك ذكر هـٰذه المجموعة من أسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكل اسم من هـٰذه الأسماء يدل على صفات، وله أثر فالاسم يتضمّن الصفة، ويدل على آثارها أيضا.

فإذا ذكرنا اسم (العليم) دلّ على أنه متصف بصفة العلم، ودل على أن هـٰذا العلم يترتب عليه أثر عظيم، وهو أن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يعلم ما يصلح عباده، فهو أخبر بما يحتاجون إليه، وهو أخبر بما هم عليه من الأمور، وهو -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- الذي لا تخفى عليه خافية.

و(السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ) دليل على أنه لا تخفى عليه خافية وأن له سمعا وبصرا يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وهـٰذا السمع والبصر يدلاّن على أنه لا تخفى عليه خافية، وأنه أحاط بكل شيء علما، وأنه لا حدّ لسمعه ولا لبصره، كما أنه لا حد لعلمه ولا لسائر صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد.

[الأسئلة]

سؤال (٠٤): **لماذا لم يذكر المصنف -رحمه الله- العمل عند ذكر بداية المتن: الإيمان بالقلب والنطق باللسان؟**

الجواب: المصنف -رحمه الله تعالى- لم يُغفل العمل هنا؛ بل ذكره أولا في ثنايا هـٰذه الرسالة، وسيأتي له مزيد بيان، ثم تأمل العبارة نفسها هو الآن يذكر أركان الإيمان بالتدرّج، وليس مقصوده التعريف هنا، وإلا فهو عندما جاء في ثنايا الرسالة بيّن ذلك كله وبين أنّ العمل بما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ركن من أركان الإيمان، وأنه جزء لا يتجزأ من الإيمان.

وسيأتي لذلك مزيد بيان في ثنايا هـٰذه الرسالة العظيمة.

وأيضا تأمل العبارة نفسها فهو يقصد هنا أول ما يجب أن يفعله العبد، فقبل العمل يجب الاعتقاد والنطق، ثم يأتي العمل بعد ذلك، وهو مستنبط من قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إلـٰه إلا الله**»، وفي رواية «**أن يوحدوا الله**»[1] هو أراد هنا أن يبين ما أول واجب على العبد وهو الإيمان بالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ربا وإلـٰها وخالقا وموصوفا بصفات الكمال ونعوت الجلال هـٰذا الذي أراد أن يبينه، وليس مقصوده تعريف الإيمان الذي هو معلوم عند السلف.

سؤال (٠٥): **يقول البعض في أثر ابن عباس "الكرسي موضع القدمين" يحتمل أن يكون قد أخذ هـٰذا عن بعض أهل الكتاب، ومعلوم أن أثر الصحابي يكون حجة فيما إذا كان لا مجال للعقل فيه، وكذلك أن لا يكون مما ينقل عن أهل الكتاب، ما جوابكم جزاكم الله خيرا؟**

الجواب: السؤال فيه جزء من الجواب، وقد ذكرناه في أثناء الشرح، وهو أن مسألة تعريف ابن عباس للكرسي بأنه موضع القدمين يُستبعد أن يكون أخذه من أهل الكتاب لأمور أربعة ذكرها:

أولا: صحة اتصال السند إلىٰ ابن عباس، هـٰذا أمر.

الأمر الثاني: أنه لا مجال للرأي ولا للعقل فيه، فلا يمكن أن يأخذ عن أهل الكتاب إلا ما يجوز تصديقه وتكذيبه، من باب «**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**»؛[2] يعني في الأمور التي لا يترتّب عليها أحكام ولا عقيدة.

الأمر الثالث: أنه ما عارض نصا شرعيا لا من الكتاب ولا من السنة.

الأمر الرابع: دعاء النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- له، ولاشك أن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- قد استجاب الدعاء، فكان مرجعا لكبار الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

فهل يُتصور أن من بلغ هـٰذه المنزلة يأخذ عقيدته من أهل الكتاب، هـٰذا لا يمكن أن يخطر ببال عاقل أبدا.

سؤال (٠٦): **ما الدليل على أن الصفات لها معاني، وما المقصود بذلك؟**

الجواب: الدليل على أن الصفات لها معاني يمكن أن نذكر فيه أمرا هاما، وهو:

أولا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- خاطبنا بلغة العرب، ولغة العرب لا يوجد فيها كلام مجهول، والقرآن كله له معاني، ولا يمكن أن يتعبدنا الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بشيء لا نفقهه، ولا نعرف معناه، فهل يمكن أن نتصور

---

(١) سبق تخريجه في الصفحة (١٥).

(٢) **البخاري**: كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم (٣٤٥٩).

أن الله -تعالىٰ- سميع بلا سمع، أو بصير بلا بصر، أو قوي بلا قوة، أو قدير بلا قدرة، أو له يد بلا يد، وله أصبع بلا أصبع، هكذا، هل هـٰذا يخطر ببال عاقل؟ هـٰذا لا يمكن، الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- خاطبنا بما نعقل فقد خاطبنا بالعربية الفصحى.

والآن خطر ببالي شيء قريب، الأعرابي عندما سمع حديث «**إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قد عجب أو ضحك من قنوت عباده وقرب غيره**»، قال الأعرابي: لا نعدم خيرا من رب يضحك. [1] ألم يفهم هـٰذا الأعرابي أن الضحك له معنى، أو حديث «**يضحك الله لرجلين يقتل أحدهما الآخر ويدخلان الجنة**» [2]

وعلى هـٰذا السلف قاطبة، فمعنى قول الإمام مالك -رحمه الله تعالى- كما سيأتينا الاستواء معلوم؛ يعني كل واحد يعرف أن استوى بمعنى علا وارتفع وصعد، وأن اليد هي اليد الحقيقة التي تليق، وأن العلم هو العلم الذي يدل أن له علما لا يعدله علم، وأنه عالم بكل الأسباب.

ولذلك بِشْر عندما أُحرج من سؤال عبد العزيز الكناني بقوله: هل تقول أن الله تعالى عالم بعلم؟ قال: أقول: لا يجهل، حاد عن الجواب كيف لا يجهل، ما الذي يمنعك أن تقول: عالم بعلم، بصير ببصر، سميع بسمع. [3]

ولذلك هناك قصيدة لا بأس أن نذكرها هنا: جاء أعرابي **وجهم** يقرّر هـٰذه العقيدة على الناس، يقول: إن الله عليم بلا علم، سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، قوي بلا قوة، فقال الأعرابي مباشرة لجهم:

ألا إن جهما كافر بان كفره ومن قال يوماً قول جهم فقد كفر
لقد جُن جهم إذ يسمي إلٰهه سميعاً بلا سمع بصيراً بلا بصر

([1]) رواه ابن كثير في **البداية والنهاية** (٢١/١٤)، وحسنه شيخ الإسلام ابن تيمية في **العقيدة الواسطية**. وأيضا جاء في **زاد المعاد** في (قدوم وفد بني المنتفق على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (٥٢/٣) وفيه طول، قال: ((وعلم يوم الغيث يشرف عليكم أزلين مشفقين فيظل يضحك قد علم أن غوثكم إلى قريب))، وقال عقبه: هٰذا حديث كبير جليل، تنادي جلالته وفخامته وعظمته على أنه قد خرج من مشكاة النبوة.

وجاء في: **مسند أحمد** (بتحقيق أحمد شاكر وحمزة الزين): برقم (١٦١٣١)، **سنن ابن ماجه**: كتاب المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية، حديث رقم (١٨١). عن أبي رزين قال قال رسل الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره**» قال: يضحك الرب عز وجل؟ قال: ((**نعم**))، قال: لن نعدم من رب يضحك خيرا.

وأورده **الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة** برقم (٢٨١٠) وقال: والخلاصة أن الحديث بمجموع الطريقين حسن عندي، وتعقب ابن القيم أنه لم يعرج على الكلام على أحد من رواته المجهولين، وبمثل ذاك الكلام الخَطابي لا تصحيح الأحاديث.

([2]) **البخاري**: كتاب الجهاد والسير، باب الكافر يقتل المسلم..، حديث رقم (٢٨٢٦).

مسلم: كتاب الإمارة، باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، حديث رقم (١٨٩٠).

([3]) الحيدة، لعبد العزيز الكناني صفحة (٤٢-٤٨)تحقيق علي الفقيهي.

عليماً بلا علم رضـــياً بـــلا رضـــا لطيفاً بلا لطف خـــبيراً بـــلا خـــبر
أيرضيك أو لو قال يا جهـــم قائـــل أبوك امرؤ حر خطـــير بـــلا خطـــر
مليح بـــلا ملـــح بهـــي بـــلا بهـــا طويل بلا طـــول يخالفـــه القصـــر
حلـــيم بـــلا حلـــم وفيّ بـــلا وفـــا فبالعقل موصوف وبالجهل مشـــتهر
جواد بلا جـــود قـــوي بـــلا قـــوى كبير بلا كبر صـــغير بـــلا صـــغر
مـــدحا تـــراه أم هجـــاء وســـبة وهزءا كفاك الله يـــا أحمـــق البشـــر
فإنـــك شـــيطان بعثـــت لأمـــة تصـــيرهم عمـــا قريـــب إلى ســـقر

راجعوا هـــٰذه الأبيات في كتاب "جلاء العينين في محاكمة الأحمدين" لأبي النعمان الألوسي صاحب كتاب الآيات البينات لعدم سماع الأموات على مذهب الحنفية السادات، الألوسي الابن وليس الأب، وهو نادر لعل الله أن ييسر إعادة طبعه هـــٰذا والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم

الاثنين ٢٢ ليلة ٢٣ جمادى الأولى ١٤١٦هـ بعد صلاة المغرب

[المتن]

وَأَنَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ الْمَجِيدِ بِذَاتِهِ.

[الشرح]

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

ثم أما بعد؛

قال: (**وَأَنَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ الْمَجِيدُ بِذَاتِهِ**) أو (**فَوْقَ عَرْشِهِ الْمَجِيدِ بِذَاتِهِ**) هذا أن المجيد هل هو صفة لله المقصود أنه اسم من أسماء الله أو المقصود تمجيد العرش، ولا تعارض بين هذين الأمرين كما سأبينه بعد قليل.

(**وَأَنَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ**) تقدم لنا قوله تبارك وتعالى: (﴿**وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾[البقرة:٢٥٥]) جمع بين اسم العلي واسم العظيم، والتناسب بين هذين الاسمين ظاهر جدا؛ لأنه عليّ في ذاته وعليّ في قهره وجبروته وعليّ في منزلته ومكانته، فله علو القهر وعلو القدر وعلو الذات، وهو مستو على عرشه فوق سبع سمٰوات قال تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿**يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ**﴾[النحل:٥٠]، في حديث عن الملائكة.

فالفوقية صفة من صفاته، فله فوقية الذات وفوقية القدر والقهر، وهو فوق كل شيء ومالكه والمتصرف فيه.

وقد دلّت على فوقيته نصوص كثيرة من الكتاب والسنة، مع ما دلّت عليه الفطرة السليمة والعقل السليم.

وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله تعالى- على أدلة العلو نحو عشرين وجها تحتها أدلة تقارب الألف دليل، وذلك في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية فليُرجع إليه، ولنذكر بعضا منها على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر.

فمن ذلك أنّ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- قد صرّح بالفوقية في غير ما آية قال تعالىٰ: ﴿**يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ**﴾ و﴿**مِّن**﴾ هنا تدل على الجهة؛ أي من جهة الفوقية، يخافونه وهم يؤمنون ويعتقدون أنه أين؟ أنه فوقهم وفوق جميع السمٰوات وطبعا فوق جميع المخلوقات.

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[يوسف:٧٦]، فهو فوق جميع خلقه بذاته وبعلمه وبجميع شأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومن ذلك أنه جاء تصريح بلفظ العلو والعليّ في آيات كثيرة منها آيات الاستواء ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[1] في سبع مواضع من كتابه العزيز، ومعنى استوى كما سيأتي علا وارتفع وصعد واستقر.

ومنه هـٰذه الآية التي مرت بنا في آية الكرسي ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[البقرة:٢٥٥].

ومن تلك الوجوه أيضا أنه قد جاء التصريح برفع الأعمال إليه قال تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[فاطر:١٠].

كما جاء التصريح بالرّفع في آيات أخرى كما في قوله تبارك وتعالىٰ: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾[النساء:١٥٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾[غافر:١٥].

وكل دليل من هـٰذه الأدلة وكل وجه من هـٰذه الأوجه -كما قلنا- تحته أدلة كثيرة.

ومن ذلك أنه قد جاء التصريح بلفظ النزول، والنزول لا يكون إلا من أعلى إلى أسفل، وتحته أدلة كثيرة، منها ما يتعلق بنزول الرب -سبحانه- كما جاء في الحديث الصحيح: "**ينزل ربنا -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**"[2].

ومنها ما يتعلق بإنزاله للقرآن كما في قوله تعالى ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا﴾[يوسف:٢]، ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾[الدخان:٣].

منها ما يتعلق بإنزال الخير منه كما في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ﴾[آل عمران:٧].

ومنه ما يتعلق بنزول بعض الأشياء كالتصريح بإنزال السحاب وإنزال الغيث كما قال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾[لقمان:٣٤].

والنزول لا يكون إلا من أعلى إلى أسفل، وما دام هو الذي أنزله، إذن فهو فوق كل هـٰذه الأمور.

---

(1) وردت هـٰذه الآية في القرآن في ستّ مواضع: الأعراف:٥٤، يونس:٣، الرعد:٢، الفرقان:٥٩، السجدة:٤، الحديد:٤. والسابعة هي: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥].

(2) **البخاري**: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل..، حديث رقم (١١٤٥).

مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل.. حديث رقم (٧٥٨).

ومن ذلك التصريح بالإشارة إليه إلى جهة العلو كما نشير في التشهد كما أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وثبت أنه كان يشير بأصبعه في تشهده يدعو بها، وما دام يدعو بها فهو يشير بها إلى الرب -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- إشارة حسية حقيقية؛ لأنه له علو القدر وعلو القهر وعلو الذات.

ومن ذلك أنه عندما قال: "**ألا هل بلغت**" بأعظم مجمع قالوا: نعم. قال: "**فاللهم فاشهد**"، وأشار بأصبعه إلى جهة السماء.[1]

ومن ذلك أنه عندما فاضت روحه الطاهرة ولقي ربه كان آخر ما عمل بعد أن إستاك وبعد ما قال ما قال من الوصايا، ومنها لعن الذين يتخذون القبور مساجد وما إلى ذلك، كان آخر عمل عمله أنه أشار بأصبعه إلى أعلى وقال: "**في الرفيق الأعلى، في الرفيق الأعلى، في الرفيق الأعلى**"[2] قال ذلك ثلاثا.

من ذلك التصريح بأنه في السماء كما في قوله تبارك وتعالىٰ: ﴿**أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا**﴾[الملك:١٦-١٧].

وفي حديث دعاء الرقية الثابت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء**"[3] إلى آخر الدعاء المعروف.

ومن ذلك عندما سأل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجارية قال: "**أين الله؟**" قالت: في السماء. قال لها: "**من أنا؟**" قالت: أنت رسول الله. قال: "**اعتقها فإنها مؤمنة**".[4]

هـٰذه بعض من الأوجه ومن أراد التوسع فيها فليرجع إليها في كتاب "اجتماع الجيوش الإسلامية" لشيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله تعالى، وغيره من كتب السلف ككتب شيخ الإسلام ابن تيمية كما في "الحموية" و"التدمرية" ذكر جملة من الأدلة، وفي سائر ما كتب في هـٰذا الباب.

إذن العلو أمر ثابت بالكتاب.

أما دليل الفطرة فإن كل واحد سلمت فطرته من أوضار الفلسفة والمنطق يجد ضرورة في قلبه وجوارحه، وهي ضرورة التوجه إلى العلو كلما ذُكر اسم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولاسيما عند الدعاء يجد نفسه مشدودا بجميع حواسه إلى أعلى، حتى إن الحيوانات تشخص بأبصارها إلى السماء إذا أحست بخطر.

([1]) **البخاري**: كتاب العلم، باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**رب مبلغ أوعى من سامع**))، حديث رقم (٦٧).
مسلم: كتاب الحج، باب حجة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم (١٢١٨).

([2]) **البخاري**: كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((لو كنت متخذا خليلا))، حديث رقم (٣٦٦٩).

([3]) **سنن أبي داوود**: كتاب الطب، باب كيف الرقى، حديث رقم (٣٨٩٢)، قال الشيخ الألباني: ضعيف.

([4]) **مسلم**: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، حديث رقم (٥٣٧).

ومن ذلك رفع الأيدي إليه في الدعاء.

وبهـٰذا الدليل الفطري أُحرج الشيخ الهمذاني أبا المعالي الجويني -إمام الحرمين- عندما كان يقرر على تلاميذه عقيدة الأشاعرة والتي منها انتفاء العلو؛ الاستواء.

فقال له: أيها الشيخ ما رأيك في هـٰذه الضرورة التي يجدها من يريد أن يدعو ربه وهي ضرورة التوجه إلى أعلى، كيف ندفع هـٰذه الضرورة، فنزل أبو المعالي الجويني من المنبر، وقال: حيرني الهمذاني حيّرني حيرني.

وأبو المعالي هو القائل:

لعمري لقد طفت المعاهد كلـها وسيرت طرفي بين تلك المعـالم

فلم أر إلا واضـعـ كـف حـائر على ذقن أو قارع سن نادم[1]

يعني أنه تحير حتى من كثرة الكلام، ومن علوم الكلام والمنطق، ثم إنه لعله رجع -كما ذكر ذلك غير واحد من أهل العلم- عن علم الكلام في آخر حياته، وبيّن ذلك في رسالته المسماة بـ"النظامية"، وأما كتابه الإرشاد فليس فيه رشاد؛ لأنه يقرر عقيدة الأشاعرة رحمه الله، ولاسيما أنه قد رجع إلى منهج السلف إن شاء الله تعالى.

هـٰذه بعض من أدلة العلو.

والدليل العقلي أيضا فإن الضرورة العقلية تحتم أن من كان مدبرا لهـٰذا العالم كله بسماواته وأرضه ومخلوقات العظيمة أنه لا بد أن يكون فوق تلك المخلوقات كلها، ولا بد أن يكون محيطا بها كلها، ولا يمكن أن يدبّرها وهو ليس محيطا بها وليس فوقها.

فهـٰذه بعض من الأدلة النقلية والفطرية والعقلية على ثبوت الاستواء.

وأما العرش، فإنّ العرش أعظم المخلوقات، وهو عرش الرحمـٰن الذي عليه استوى استواءً يليق بجلاله، وسيذكر الاستواء بعد قليل، وليس العرش هو الكرسي، فالعرش غير الكرسي، فالعرش هو أعظم المخلوقات.

وأصح قولي أهل العلم أنه أيضا أولها خلقا، وأنه أسبق من القلم، وأن الله خلقه قبل أن يخلق القلم لأنه عندما ذكر بعض المخلوقات قال: "**وكان عرشه على الماء**"[2] يعني عرشه مخلوق قبل ذلك، وأما حديث "**أولَ ما خلق اللهُ القلمَ**" فإن المراد به حينما خلق الله القلم "**قال له أكتب، قال: وماذا أكتب. قال:**

---

[1] هما لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨هـ. وقال أبو المعالي: يا أصحابنا، لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به.

[2] **مسلم**: كتاب القدر ، باب حجاج آدم موسىٰ عليهما السلام، حديث رقم (٢٦٥٣).

أكتب مقادير كل شيء إلى قيام الساعة»[1] هـٰذا أصح ما قيل في توجيه هـٰذا الحديث، وهناك أقوال لا نرى ضرورة للاستطراد فيها.

والمهم أن نعلم أن العرش هو أعظم المخلوقات.

و(**فَوْقَ عَرْشِهِ الْمَجِيدِ**) المجيد العظيم، والله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- قد صرّح في تسمية العرش بوصف العرش بأنه عظيم وأنه مجيد، وقد ثبتت قراءتان فيما أعلم لقوله تعالىٰ: ﴿**ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ**﴾[البروج:١٥]، على أنّ المقصود أنها صفة لمن؟ لله -عز وجل- و﴿**ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ**﴾ على أنّ ذلك صفة للعرش، ولا تعارض إذ أن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- له الكمال المطلق الذي يخصه، وأما العرش وغيره من المخلوقات فما فيه من مَجْد أو عِظَمٍ فإنه شيء محدود مهما عظم ومهما كان فإنه لا يقارن بالخالق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ لأن الله -عز وجل- لا تقارن صفاته بصفات خلقه، كما أن ذاته لا تقارن بذوات مخلوقاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

نعم، كلمة (**بِذَاتِهِ**) ما عرف هـٰذا الكلام إلا ربما مع بداية القرن الرابع كما صرّح بذلك غير واحد من السلف؛ ولكن السلف عندما قالوا: بذاته. لهم مقصود هنا وهو الرد على الحلولية، والرد على المؤولة الذين قالوا: إنه في كل مكان، و لم يصرِّحوا بالحلول، فهـٰذا رد على الفئتين، قصد بها السلف الذين ذكروا كلمة (لذاته) أو (بذاته) ليثبتوا أن له علوّ المكان كما أن له علو المكانة والمنزلة والقهر؛ لأن الأشاعرة وغيرهم من المتكلمين يقولون: إنه في كل مكان بذاته تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

ويلزمهم مذهب الحلولية من حيث لا يشعرون، الحلولية والاتحادية الذين قالوا: إن الله في كل مكان، بمعنى أنه حلّ في كل مكان، و لم يترهوه حتى عن أماكن لا تليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلذلك كلمة بذاته لها مدلول مهم عند السلف، وأنهم قصدوا أن له علو المكان كما أن له علو المكانة، فالله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- قد استوى على عرشه استواءً يليق بجلاله فهو عالٍ على جميع خلقه بذاته، يعني له علو المكانة وعلو المكان وعلو القهر، هـٰذا هو المقصود بكلمة (**بِذَاتِهِ**)، وإن كان السلف القدامى ما كانوا يعبّرون بهـٰذه العبارة لأنهم كانوا في غنى عن مثل هـٰذه التعبيرات[2]؛ ولكن لا غبار عليها لأن مقصودها أن الله -عز وجل- له علو المكان وعلو الشأن وعلو القهر والعظمة أيضا.

([1]) **سنن أبي داوود:** كتاب السنة، باب في القدر، حديث رقم (٤٧٠٠).

سنن الترمذي: كتاب القدر، باب (١٧)، حديث رقم (٢١٥٥)، وقال الترمذي: هـٰذا حديث غريب من هـٰذا الوجه.

قال **الشيخ الألباني**: صحيح، وأورده في السلسلة الصحيحة برقم (١٣٣).

[2] من هـٰذه العبارات مثلا: بذاته، بائن من خلقه، حقيقة، في كل مكان بعلمه، غير مخلوق. وللتفصيل أنظر عقيدة ابن أبي زيد القيرواني وعبث بعض المعاصرين بها.

(**بائن من خلقه**) أي منفصل عن خلقه؛ لأن استواءه على عرشه لا يعني أنه محتاج إليه أو مفتقر إليه، فالله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بائن من خلقه، وفي غنًى عنهم، ولذلك جاءت رواية عن ابن المبارك (إن الله مستوٍ على عرشه بائن من خلقه) قصد بها لئلا يفهم أحد من أنه يلزم من استوائه حاجته إلى العرش أو افتقاره إليه، فهو -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- موجود لا ابتداء قبل أن يخلق العرش وغير العرش، و لم يزدد ملكه شيئا بخلقه للعرش، و لم ينقص ملكه شيئا فيما لو أعدم العرش، فهو -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- غنيّ عمن سواه.

ولا يلزم أن يكون مفتقرا إليه كما يذكر بعض المؤولة، أنه يلزم أهل السنة أنه مفتقر إلى العرش، أو أن العرش يحيط به أو أنه يقلّه، أو أنه يحتاج إليه.. فهـٰذا كله كلام باطل، فإن الله -عز وجل- ليس بحاجة إلى شيء من خلقه. والذي أوقعهم في هـٰذا قياس الخالق بالمخلوق، وتشبيه الخالق بالمخلوق، ولو أنهم قالوا: استواء يليق بجلاله وعظمته، ووقفوا عند هـٰذا الحد لما وجدوا أنفسهم ملزمين بهـٰذا اللازم؛ لكن متى يلزم هـٰذا اللازم؟ يلزم إذا فُهم أن الاستواء استواء المخلوق على كرسيه، هنا يلزم هـٰذا اللازم، ولكن إذا قيل: استواء يليق بجلاله وعظمته، وعلوا يليق بجلاله وعظمته، وفوقية على جميع خلقه تليق بجلاله وعظمته، فإنه لا يلزم شيء من تلك اللوازم التي يعتقدها أو التي يتصورها بعض المعطلة وبعض المؤولة.

[المتن]

وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِعِلْمِهِ.

[الشرح]

قال: (**وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِعِلْمِهِ**) قال تعالىٰ: ﴿**وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ**﴾[البقرة:٢٥٥]، وقال تعالىٰ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[لقمان:٣٤]، وقال تعالىٰ: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[المجادلة:٧]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾[الأنعام:٥٩]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾[يونس:٦١].

والآيات كثيرة في هـٰذا الباب، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عالم بكل شيء ﴿**يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٧)**﴾[طه:٧]، وهـٰذه أدق آية في التعبير عن علمه الذي لا ينتهي بنهاية، كلمة ﴿**وَأَخْفَى**﴾

المعروف عند المخلوقين ليس هناك أخفى من السر -الشيء الذي تكنه في قلبك- فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يعلم ما هو أخفى من ذلك، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾[الحاقة:١٨].

لذلك قال المصنف: (وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِعِلْمِهِ) لأن المؤولة يقولون: في كل مكان بذاته. والسلف يقولون: في كل مكان بعلمه، ولذلك سمع نداء يونس عليه السلام في تلك الظلمات في بطن الحوت في جوف البحر عندما قال: ﴿لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[الأنبياء:٨٧].

[المتن]

[وَ]خَلَقَ الإِنْسَانَ وَيَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا، وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ.

[الشرح]

هـٰذا الذي بيناه قبل قليل من مدلول قول المصنف رحمه الله: (وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِعِلْمِهِ)، وأنه ما تخفى عليه خافية، وأنه ما تسقط من ورقة ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين، وأن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأنه يعلم السر وأخفى، ويعلم ما توسوس به النفس، وهو الذي لم تتكلم به وإنما هو خاطرة بالقلب، فهو يعلم تلك الخواطر.

ولذلك إن عزم على تلك الخاطرة أثم وإن لم يتحقق له ما أراد من الذنوب، وإن كانت مجرد وسوسة وخواطر قلبية فإنه لا يؤاخذ بها، ولذلك جاء الحديث الصحيح عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عندما قال الصحابة: يا رسول الله إننا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به. فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**وقد وجدتموه؟**"، قالوا: نعم، "**ذاك صريح الإيمان**"؛[1] يعني كونهم يستعظمون أن يتكلموا ببعض ما قد يجول في خواطرهم، هـٰذا هو محض الإيمان؛ يعني استعظامهم الكلام بما توسوس به نفوسهم، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[ق:١٦] حبل الوريد أقرب عرق إلى عظم الإنسان في الرقبة، فهو أقرب وأخفى العروق ومن أعظم ما يخفى، فالله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لا تخفى عليه خافية، ولذلك قال بعدئذ ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[ق:١٧-١٨]، والله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- في غنًى عن هؤلاء الملائكة الذين جعلهم يراقبون الإنسان ويسجلون عليه؛ ولكن اقتضت حكمته أن يوجد هؤلاء لإقامة الحجة على الخلق.

([1]) **مسلم**: كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، حديث رقم (١٣٢).

[المتن]

[وَ]عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، وَعَلَى الْمُلْكِ احْتَوَى.

[الشرح]

قال: (عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، وَعَلَى الْمُلْكِ احْتَوَى) قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥] ذكرها في سبعة مواضع من القرآن الكريم، وعقيدة السلف في الاستواء هي عقيدتهم في سائر صفات الله عز وجل، وكنت قد ذكرت لكم[١] أنه لا بد من مراعاة ستة أمور:

الأول: أنه لا بد من إثبات الصفة كما وردت في القرآن أو السنة.

والثاني: أنه لا بد من الإيمان بمعانيها.

والثالث: أن نؤمن بأن تلك المعاني لائقة بجلال الله.

والرابع: أن نؤمن بأنها لا تشبه صفات المخلوقين بحال.

والخامس: منع التأويل.

والسادس: تفويض الكنه والكيفية.

هـٰذه الأمور معلومة، نطبقها الآن على صفة الاستواء، وتعلمون أن الآيات ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥] جاءت في سبعة مواضع من القرآن الكريم.[٢]

قول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾[الفرقان:٥٩] قول من؟ قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، إذن نثبت هـٰذا الاستواء لأنه ورد في كلام الله عز وجل.

الأمر الثاني الإيمان بأنّ هـٰذا الاستواء له معنى، ليس (استوى) استواء لا نفهمه ولا نعقله، نعم لا نعقل كيفيته كما سنبينه؛ لكنه استواء معقول ومعلوم وثابت لله عز وجل، والاستواء بالمعنى اللغوي بمعنى علا وارتفع واستقر وصعد، وكلها تنطبق في باب صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فالله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- علا على جميع خلقه وصعد على جميع خلقه، وهو مستو على عرشه، وهو أيضا مستقر على عرشه؛ يعني كما اقتضت حكمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ، وهو مرتفع على جميع خلقه.

إذن هـٰذه المعاني كلها لائقة بجلال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ-، ولا يمكن أن يتصور أحد أنها تشبه صفات المخلوقين.

---

[١] أنظر الصفحة (٢٦).

[٢] وردت الآية ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ في القرآن في ستّ مواضع: الأعراف:٥٤، يونس:٣، الرعد:٢، الفرقان:٥٩، السجدة:٤، الحديد:٤. والسابعة هي: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥].

إذن الإيمان بمعنى الاستواء وهو أنه معنى ثابتا لله.

الثالث المعنى اللائق بجلال الله عز وجل، نثبت هـٰذا المعنى ونستبعد كل معنى يخطر ببالنا لا يليق بجلال الله، ولذلك أكثر ما يقول السلف: استوى استواء يليق بجلاله وعظمته.

رابعا نستبعد التشبيه، ليس كمثله شيء، هنا نستحضر أيضا كما بينا أنه استوى استواء يليق بجلاله وعظمته، وأن الاستواء له معنى لائقا بجلال الله، ونعتقد أنه ليس كمثله شيء في الاستواء كما أنه ليس كمثله شيء في سائر صفاته وأفعاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ.

فنقول: استوى لا كاستوائنا، كما تقدم لنا في موضوع السمع والبصر، يبصر لا كبصرنا، يسمع لا كسمعنا، يضحك لا كضحكنا، يتكلم لا ككلامنا.

إذن قطع النظر عن التشبيه أو نفي التشبيه.

الخامس رد التأويل، ما نقول: استوى بمعنى استولى كما تقوله الأشاعرة ومن نهج نهجهم من المتكلمين لأمور:

الأمر الأول أن الاستيلاء يلزمهم -على حد فهمهم- نظير ما يلزمهم في الاستواء، فإذا قالوا: نحن نفينا الاستواء وفسّرناه بالاستيلاء؛ لأن الاستواء لا يفهم منه إلا استواء المخلوق على كرسيه، نقول لهم: ويلزمكم في الاستواء نفس الشيء أو الشيء نفسه؛ لأن الاستيلاء لا يكون إلا عن مغالبة فكأن أحدا صارعه حتى استولى عليه، فلا يبعد أن يظهر -تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا- من يظهر مرة أخرى فيغالبه، ومن الذي يستولي بعد ذلك.

فإذن يلزمهم في الاستيلاء نظير ما يلزمهم في الاستواء.

الأمر الثاني أن جعل (استوى) بمعنى (استولى) لا تؤيده اللغة ولا يؤيده العرف.

وأما البيت الذي انتحلوه (كما استوى بشر على العراق) فهو بيت فاسد:

أولا ليس بصحيح.

والأمر الثاني أنه لم يعبر أحد من العرب بأن استوى بمعنى استولى.

الأمر الثالث تفويض الكيفية، انتبهوا؛ لأن المفوضة يخلطون بين تفويض الكيفية وتفويض المعنى فيفوضون المعنى.

أيهم أخطر المفوضة أم المؤولة؟ المفوضة أخطر؛ لأن المؤولة مهما كان فَهُمْ قد أثبتوا أمرا، بغض النظر عن خطئه وصوابه، المهم أنهم أثبتوا شيئا، وأما المفوضة فقد أثبتوا عدما، نسبوا الله إلى العدم، ولذلك المفوضة أخطر من المؤولة، فالمؤولة على ما عندهم أحسن حالا من المفوضة، غاية ما هناك أنهم أثبتوا معنى يعتقدونه، وإن كان هـٰذا المعنى فاسدا.

لذلك المفوضة أو المتوقفة هؤلاء خطيرون، لذلك قال السلف: إن المعطل -والمفوض هو المعطل- يعبد عدما والمشبه يعبد صنما.

إذن طبّقوا هـٰذه الخطوات الست في سائر أسماء الله وصفاته، وهـٰذه الخطوات الست هي التي يتضمنها قول الإمام مالك -رحمه الله تعالى- عندما سأله أحد المبتدعة عن الاستواء فقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أظنك إلا مبتدعا، ثم أمر بإخراجه من مجلسه.

(وَعَلَى الْمُلْكِ احْتَوَى) ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[المائدة:١٢٠]، ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء﴾[آل عمران:٢٦] بيده الأمر كله وبيده الخير كله ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[الملك:١].

ومن أسمائه الملك، المالك لكل شيء، أو المالك لجميع المخلوقات فهو يملكها وحده، فالله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- رب كل شيء ومليكه.

ومعنى (احْتَوَى) يعني أحاط بكل شيء كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾[البروج:٢٠]، فهو مالك لهم، ومحيط بكل شيء ومالكه.

[المتن]

وَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى، وَالصِّفَاتُ الْعُلَى، لَمْ يَزَلْ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ، تَعَالَى أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ مَخْلُوقَةً وَأَسْمَاؤُهُ مُحْدَثَةً.

[الشرح]

قال رحمه الله: (وَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ﴾[الأعراف:١٨٠].

أولا أسماؤه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- توقيفية أي لا يزاد فيها ولا ينقص؛ بل يقتصر فيها على ما ورد في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة.

ثانيا أسماؤه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- غير منحصرة، ولذلك جاء في الدعاء الذي تعرفونه: "**اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب**

عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، وجلاء همي وغمي، وذهاب حزني، وشفاء مرضي»[1] هذا الدعاء ثابت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عنْهُ، وأخبر عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أن من قاله وبه همّ أزال الله همه وأبدله به فرحا.

فاضرعوا إلى الله بهذا الدعاء في الأوقات المناسبة. وليس فيه دلالة على أن في قوله: «**أو علمته أحدا من خلقك**» أن هناك أسماء أنزلت على غير الأنبياء كما تزعمه الصوفية، عندما يخترعون أسماء من عند أنفسهم ويستدلون بمثل هذا الحديث، هذا استدلال باطل ولا يصح.

وأيضا لا يشكل على هذا قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها**»[2] وفي رواية: «**من حفظها دخل الجنة إن الله وتر يحب الوتر**» فالمقصود هنا ليس هو الحصر، وإنما المقصود الإخبار بأن له تسعا وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة، كما لو قلت لزيد: عندي مائة درهم. هذا لا يمنع أن يكون عندك ألف درهم، فالمعنى واضح، «**إن لله تسعة وتسعين اسما**» هذا لا يفيد الحصر، وإنما يفيد أن هذه الأسماء التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة.

ولذلك دأب السلف أنهم يتتبعون ويستقرئون الكتاب والسنة ويستنبطون بعض الأسماء، وما ورد أن حديث الوليد بن مسلم ليس ثابتا عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مرفوعا، وإنما هو موقوف على بعض السلف، فلذلك لعله من اختيارات بعض السلف.

ولذلك ثبت أن كثيرا من السلف عمدوا إلى مسألة الاختيار واختاروا أسماء ومن آخر من فعل ذلك -فيما أحسب- هو شيخنا فضيلة الشيخ محمد الصالح العثيمين -رحمه الله- فإن له اختيارا في هذا وأرجو أن يكون هذا الاختيار موفق، وإن كان سبقه من سبقه إلى اختيارات كثيرة في هذا الباب.

الأمر الثالث أن أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى كلها حسنى.

الأمر الرابع أنه يدعى بها لقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**فَادْعُوهُ بِهَا**﴾.

الأمر الخامس أن الأسماء تعتبر أعلاما وأوصافا، فالأسماء دالة على صفات، ولذلك تعتبر أعلاما وتعتبر أوصافا، فهي أعلام باعتبار تسمي الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بها، وهي أوصاف باعتبار دلالتها على الصفات، فالرحيم يدل على الرحمة، والحكيم يدل على الحكمة، والعزيز يدل على العزة.

---

(1) مسند أحمد (١/٣٩١، ٤٥٢)، واين حبان رقم (٢٣٧٢) ((موارد))، والحاكم (١/٥٠٩)، وأورده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٩٩).

(2) **البخاري**: كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار والشروط..، حديث رقم (٢٧٣٦).
مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب في أسماء الله تعالى ونضل من أحصاها، حديث رقم (٢٦٧٧).

الأمر السادس: أنها مترادفة باعتبار ومختلفة باعتبار آخر-فبعض المعتزلة يقولون أنها مترادفة مطلقا فلا فرق بين الرحيم والعزيز والحكيم والغفور لا من حيث المعنى ولا من حيث اللفظ وهـٰذا قول باطل-، فباعتبار أنها جميعا أسماء لمسمى واحد وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ، وهي مختلفة باعتبار أن كل اسم له دلالة معينة ويدل على صفة معينة بهذا الاعتبار تكون متباينة.

هـٰذا بعض ما ينبغي التنبه له في مسألة الأسماء.[1]

وأما الصفات فله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- الصفات الحسنى، والصفات العلى، الثابتة في كتاب الله -عز وجل- وفي سنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويجب أن يوصف بها، ومنهج السلف -كما تعلمون- أن يوصف الله كما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تأويل على حد قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[الشورى:١١].

ولعلنا نذكر بعض القواعد في باب الصفات في درس قادم -إن شاء الله-، والله أعلم وصلى الله وبارك على نبينا محمد.

[1] وقد استخرج العلامة ابن عثيمين من كلام السلف سبع قواعد لأسماء الله في كتاب «القواعد المثلى»، يحسن الاطلاع عليها وعلى شروحاتها.

بسم الله الرحمن الرحيم

الاثنين ٢٩ ليلة ٣٠ جمادى الأولى لعام ١٤١٦هـ بعد صلاة المغرب

[المتن]

[[و] كَلَّمَ مُوسَى بِكَلاَمِهِ الَّذِي هُوَ صِفَةُ ذَاتِهِ، لاَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَتَجَلَّى لِلْجَبَلِ فَصَارَ دَكًّا مِنْ جَلاَلِهِ][1]**، وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلاَمُ اللَّهِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ فَيَبِيدَ، وَلاَ صِفَةً لِمَخْلُوقٍ فَيَنْفَدَ.**

[الشرح]

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وأصحابه أجمعين.

أما بعد؛ فكان قد بقي لنا شيء يتعلق بصفة الكلام، وقلنا إن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يتكلم متى شاء إذا شاء كيف شاء، وأن الكلام يُعتبر من الصفات الذاتية باعتبار اتصافه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- به، وأنه متكلم متى شاء كيف شاء فهو بهذا الاعتبار صفة من الصفات الذاتية، وهو صفة فعلية أيضا باعتبار آحاده.

وذلك أنّ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- كلّم موسى في وقت معين، وكلّم من شاء من أنبياء آخرين في وقت معين، وكلم نبينا محمدا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في وقت معين، وأنزل القرآن في وقت معيّن، فهو في هذه الصفة بهذا الاعتبار تُعتبر من الصفات الفعلية.

ونحن مطالبون بالإيمان بذلك كله، سواء كانت صفة فعلية أو صفة ذاتية مادام الله قد وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم ذكر أن القرآن كلام الله الذي لا يبيد والذي لا ينفذ؛ ﴿**قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**﴾[الكهف:١٠٩]، فلا يمكن أن يحصى كلام الله عز وجل، والقرآن هو كلامه الذي تكلم به حقيقة، على ما يليق بجلاله وعظمته لفظه ومعناه، تكلم به الله، فالقرآن الذي نتلوه في المصاحف بلفظه ومعناه، وبكل ما يتعلق به هو كلام الله عز وجل، ما عدا الورق والحبر مخلوقان، وأما اللفظ والمعنى بالنسبة لكلام الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فهو كلامه -عزّ وجل- الذي تكلم به بصوت مسموع بحرف وصوت، وقيدنا بالحرف والصوت ردّا على من زعم أن الكلام هو المعنى

---

[1] لم يقرأه قارئ المتن.

القائم بالنفس، وزعم أنّ الله لم يتكلم بهـٰذا القرآن على الحقيقة، أو الذي قال: إن كلام الله مخلوق بما في ذلك القرآن، فهو مخلوق، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

وللناس في كلام الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أقاويل كثيرة لكن أشهرها أربعة:

الأول: منهج السلف، وهو أنّ الله عز وجل يتكلم متى شاء إذا شاء كيف شاء بحرف وصوت مسموع، و لم يختلف أهل السّنة في هـٰذا.

والثاني: أن كلام الله مخلوق مطلقا بهذا التصريح، وهـٰذا هو منهج المعتزلة.

والثالث: أن كلام الله هو المعنى القائم بالنفس الكامن فيها، وأما القرآن والتوراة والإنجيل فهي عبارة عن كلام الله، وليست هي حقيقة كلام الله.

والقول الرابع: أن القرآن هو كلام الله الذي خلقه في غيره وهو مذهب الماتريدية، فهم يتفقون مع الأشاعرة في أن الكلام هو القائم بالنفس؛ لكن الأشاعرة لا يصرحون أن القرآن مخلوق، وإنما يقولون: هو عبارة عن كلام الله، وأما الماتريدية فإنهم يقولون: إن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- خلق الكلام في الهواء ثم سُمع؛ يعني الكلام كلام الله؛ لكنه خلقه في الهواء ثم سمعه من سمعه من أنبيائه ممن أراد الله أن يسمعه من أنبيائه في الهواء.

تعالى الله عما تقول هـٰذه الطوائف علوا كبيرا.

وهناك شُبه للمعتزلة وشبه للأشاعرة والماتريدية، وهل ترون من الضروري أن نتعرض لها أو ننتقل إلى مواصلة الدرس؟

على كل حال، طوائف المعتزلة الذين زعموا أنّ كلام الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- مخلوق، وصرّحوا بذلك وفتنوا المؤمنين وحصلت فتنة بسبب ذلك أيام المأمون العباسي والمعتصم والواثق حيث حمل هؤلاء الخلفاء الثلاثة جميع المسلمين إلا من اعتصم فعصمه الله، حملوهم على القول بخلق القرآن وهي عقيدة المعتزلة، حتى جاء من أحيى به السنة، وهو المتوكل وأول ما تنبّه من كلمة يسيرة، قالها له أحد السلف عندما قال له: هل علم هـٰذا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي أم لم يعلموه؟ فأخذ يردد هـٰذه الكلمة، فخلا بنفسه ثم أيد وأعلن تأييده لمنهج أهل السنة، والإقلاع على ما كان عليه من كان قبله طيلة نحو ثلث قرن من الزّمان.

وشبههم كثيرة، لا نجد ضرورة للتعرّض لها جميعا؛ ولكن قد نطرح بعضها مما هو واضح.

فمن ذلك احتجاجهم بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[الحاقة:٤٠، التكوير:١٩] فقد زعموا أن هـٰذه الآية تدل على أن القائل ليس هو الله، والمقصود بالرسول الكريم هو إما جبريل وإما محمد.

والجواب عن ذلك أن معنى الآية ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ سواء قيل: إنه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في سورة الحاقة، أو أن المراد هو جبريل كما في سورة التكوير، والمقصود في كلا الحالين بقوله: ﴿إِنَّهُ

﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ أي إنه لتبليغ رسول كريم؛ أي بلّغ به الرسول الكريم، فالرسول جبريل بلّغه إلى الرسول محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، والرسول محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بلغه إلى الأمة.

فمعنى قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ليس المقصود أنه قوله الذي قاله ابتداء، وإنما نُسب إليه لكونه هو المبلغ له.

ولذلك أنت عندما تقرأ أبياتا من الشعر، ويقال: هـٰذا قولك، وهي لغيرك على سبيل أنك أنت الذي قلته الآن، ولا يعني هـٰذا أنك أنت الذي قلته ابتداءً، فأنت إذا قرأت قول حسان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

عدمنا خيلنا إن لم تروها تثير النقع موعدها كداء

لا أحد يقول: إن هـٰذا قولك، وإنما كل عاقل يعلم أن هـٰذا قول حسان، وإنما أنت كل ما في الأمر أنك قرأته أو بلّغته؛ بل أي شخص يقرأ رسالة غيره، فإنه قد يقال: قال فلان على سبيل التبليغ والبيان، وإلا فالرسالة تُنسب إلى من أرسلها.

إذن تبين أن الآية ليس لهم فيها استدلالا. [1]

استدل بعضهم بقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾[الزخرف:٣] وزعم أن (جعل) بمعنى (خلق)، والمقصود إنا خلقناه قرآنا عربيا.

وهـٰذا القول أيضا فاسد؛ لأن (جعل) تأتي على ضربين، فإن تعدت إلى مفعولين، فإنها تكون بمعنى صيّر، وإن تعدت إلى مفعول واحد تكون بمعنى خلق، مثال للأمرين:

تكون بمعنى (خلق) في مثل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾[الأنعام:١] أي: وخلق الظلمات والنور.

وتكون بمعنى (صيّر) في مثل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا﴾[الزخرف:١٩] أي: وصيروا الملائكة الذين هم عباد الرحمـٰن إناثا، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾[الزخرف:٣] أي صيرناه قرآنا عربيا، أو أنزلناه قرآنا عربيا، فإنها بمعنى صيّر أو أنزل هنا، فالله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- جعل القرآن باللسان العربي.

فتبين أن استدلالهم بهـٰذا استدلال فاسد.

---

[1] قال الشيخ صالح آل الشيخ في شرحه على لمعة الاعتقاد: نسبة القرآن إلى جبريل -أو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأنه قوله هـٰذه نسبة تبليغ، فإنّك إذا سمعت منّي كلاما أنقله عن أحد أهل العلم، فإن القول قولي، ولكن الكلام كلام من أنقل كلامه، ففرق بين القول وبين الكلام.

قال قائل منهم: إن قوله تعالىٰ: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[التوبة:٦]، أن المراد أنه من إضافة الخالق إلى المخلوق، كما تقول: كعبة الله، ورسول الله، ونحو ذلك، فكذلك يقال في: كلام الله، وكتاب الله.. ونحو ذلك، فإنها من إضافة المخلوق إلى خالقه.

والجواب أنّ الأمر فيه تفصيل:

- فإن كان المضاف أعيانا فهي من إضافة المخلوق إلى الخالق.
- وإن كان المضاف معاني؛ يعني صفة مشتقة فهي إضافة صفة إلى موصوف.[1]

فإضافة الأعيان كما إذا قلت: ناقة الله، ورسول الله، وكعبة الله، ونحو ذلك، هـٰذا من باب إضافة المخلوق إلى الخالق تشريفا لذلك المخلوق.

أما إذا كان المضاف أوصافا أو معاني كما لو قلت كلام الله ونحو ذلك وقدرة الله وسمع وبصر الله.. ونحو ذلك، فهـٰذه إضافة صفة إلى موصوفها، وهو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فتبين بهـٰذا أيضا أنّ هـٰذه الآية ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ ليس معناه أن الإضافة لابد أن تعني إضافة الخالق إلى المخلوق في كل حال هـٰذا، لا غير مسلّم، وإنما الأمر فيه تفصيل على ما ذكرنا:

من الشبه التي تعلقوا بها استدلالهم بقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الرعد:١٦، الزمر:٦٢] وقالوا: إن (كل) لفظ عام، والقرآن شيء فهو داخل في عموم (كل)، فيكون القرآن مخلوقا، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا؛ يعني الآن وجه شبهتهم أنهم قالوا: الله عز وجل قال: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الرعد:١٦-الزمر:٦٢] (كل) هنا تفيد العموم والقرآن شيء، إذن فيكون داخلا في عموم (كل).

والجواب: عن هـٰذه الشبهة أن يقال: إنّ (كل) لا تدل على العموم المطلق وإنما تدل على العموم؛ لكن يقيِّدها السياق الذي جاءت فيه، فقد تدل على العموم وقد يخرج منها بعض المخصوصات؛ بل إنها قد تأتي في جملة لا يراد بها العموم ولا تطلق على العموم، كما في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ عن بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ

---

[1] نحن نعلم أن ما يُضاف إلى الله جل وعلا –**وهـٰذه قاعدة**–:

- تارة يكون معنى. مثل: رضا الله، رحمة الله، كلام الله، ونحو ذلك.
- وتارة يكون ذاتا. وإذا كان ذاتا:
  - فتارة تكون ذاتا تقوم بنفسها. مثل: ناقة الله، بيت الله، فهـٰذه إضافة تشريف، يعني إضافة مخلوق لله للتشريف والتعظيم.
  - وتارة تكون ذاتا لا تقوم بنفسها. مثل يد الله، وجه الله، ساق الله، فهـٰذه صفات لله فهي إذن غير مخلوقة.

ملخصة من شرح الشيخ صالح آل الشيخ على لمعة الاعتقاد لموفق الدين بن قدامة.

﴿شَيْءٍ﴾[النمل:٢٣] ليس المقصود أنها أوتيت من كل شيء مطلقا، وإنما المقصود أوتيت من كل شيء يؤتاه الملوك من أمثالها، فكذلك قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾[الأحقاف:٢٥]، ومعلوم أنها لم تدمر الجبال، ولم تدمر الأرض، ولم تدمر، إلا ما أراد الله لها تدميره، والمقصود أنها تدمر كل شيء أراد الله تدميره أو قبل التدمير، وأما ما لا يقبل التدمير فإنها لم تدمره، ولو دمرته لما بقي على ظهر الأرض أحدا من الناس.

فإذن هٰذه بعض الشبه التي يتعلّق بها المعتزلة، والواقع أنها شبه باطلة ولا يثبت منها شيء؛ بل لا يقف أمام الأدلة القاطعة والبراهين السّاطعة على إثبات أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

أما موضوع الأشاعرة باعتبار أنهم أكثر العالم الإسلامي اليوم، [1] كلهم على هٰذا المذهب الأشعري القديم الذي انتقل إليه الحسن الأشعري بعد مذهب المعتزلة، ثم اختص لنفسه مذهب ابن كلاب، وهو إثبات الصفات السبع ونفي أو تأويل ما عداها، يثبتون الصفات السبع ويؤولون ما عداها، فيثبتون العلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والحياة والكلام على أنهم لا يثبتون الكلام على ما سيأتي بيانهم.

دليلهم أو شبهتهم التي تعلقوا بها قالوا: إن العقل هو الذي دل على إثبات هٰذه الأشياء، فالقدرة دليلها الإيجاد؛ يعني إيجاد الأشياء والخلق والتدبير ما إلى ذلك دليل على القدرة؛ يعني الأفعال التي أحدثها

---

[1] قال الشيخ صالح آل الشيخ في شرحه على الحموية: إن إضلال الناس وقع في هٰذه المسائل -مسائل الصفات- بأقوال علماء الضلال أو العلماء المخالفين، لهٰذا بعض الناس يقول: أكثر الأمة أشاعرة، هٰذا غلط وباطل؛ بل أكثر الأمة على السنة في الصفات؛ إلا إذا أتاهم مبتدع يعلمهم غير العقيدة الصحيحة، هنا ينتقلون، أما فطرتهم وما هم عليه، يسمع ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥]، ما يأتي في ذهنه المعنى الباطل إلا بالتعليم إنما يأتي في ذهنه التسليم ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيأتي من يقرر له خلاف العقيدة الصحيحة بالتعليم.

ولهٰذا نقول: أكثر هٰذه الأمة في الصفات على الفطرة، يعني على التسليم؛ إلا إذا أتاهم من يعلمهم العقيدة الأشعرية أو يقرر لهم العقيدة الماتريدية، فإنهم يخرجون عن ذلك وتقر في أذهانهم الأقوال المبتدعة؛ لأن العامي ما يعرف كيف يصرف لفظ الكتاب والسنة إلى التأويل، أو إلى المجاز، أو ينفي الحقائق التي دلت عليها النصوص، وإنما هٰذا بفعل علماء الضلال، الذين أضلوا الأمة، وهٰذا من المصائب الكبيرة. ا.هـ

وانظر أيضا خاتمة كتاب "القواعد المثلى" للشيخ ابن عثيمين وإجابته على من قال أنه الشاعرة يمثلون ٩٥ بالمائة من المسلمين اليوم. (ص٨٤). وأيضا رد الشيخ عبد المحسن العباد هٰذا القول من ثلاثة وجوه في الفائدة الثامنة ضمن الفوائد التي صدر بها شرحه لرسالة أبي زيد القيرواني (ص٣٥-٣٦)، فقال في الوجه الثالث: الثالث: أنَّ مذهب الأشاعرة إنَّما يعتقده الذين تعلَّموه في مؤسَّسات علمية، أو تعلَّموه من مشايخ كانوا على مذهب الأشاعرة، وأمَّا العوام -وهم الأكثرية- فلا يعرفون شيئاً عن مذهب الأشعرية، وإنَّما هم على الفطرة التي دلَّ عليها اعتقاد الجارية في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه، وقد تقدَّم. والعقيدة المطابقة للفطرة هي عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة.

من الخلق والإيجاد والإعداد والإمداد كل هـٰذا دليل على القدرة، وإحكام الأشياء كلٌّ في موضعه دليل وفي وقته دليل على صفة الإرادة، وكل قادر لابد أن يكون عالما سميعا بصيرا، كل قادر لا بد أن يكون حيا، وكل حي لا بد أن يكون سميعا بصيرا متكلما.

لماذا نفيتم الصفات الأخرى؟ قالوا: العقل ما دل عليها كما دلنا على هـٰذه الأشياء.

قلنا لهم: ما الفرق؟ فإن ما نفيتموه عليه من الأدلة العقلية ما يلزمكم مثل ما نفيتم، تماما بتمام؟

فلذلك نقول لهم: كما أن الفعل الحادث دل على القدرة، والإحسان دل على العلم، وأيضا الانتقام دل على الغضب، والثواب دل على الرحمة، ووجود الثواب والجنة والنار دليل على الرحمة والسُّخط والغضب.

فلا بد من التنبه لهـٰذا؛ لأن الذي نفوه يلزمهم فيه نظير ما أثبتوه، فإذا قال: الفعل الحسن دل على الإرادة قلنا والانتقام دل على الغضب، والجنة والنعيم دلّ على الرحمة ودل على الرضا.

فإذا قالوا: إنّ الرحمة، أو إن الفرح والرضا والغضب له أعراض تظهر على الإنسان، فالفرح يبدو منه انبساط الوجه وتهلل أساريره، والغضب ينتج عنه احمرار الوجه وانتفاخ الأوداج واحمرار العينين.. وما إلى ذلك.

فنقول لهم –تنزّلا إلى قولهم–: والسمع لا بد أن يكون بعينين وحدقتين وما إلى ذلك؛ ولكن نحن لا نقول ذلك؛ بل نؤمن بأنه سميع بصير وأن له عينان تخصه لا تشبه أعين الخلق وسمع، لا يشبه سمع الخلق وبصر لا يشبه بصر الخلق، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ﴾[يونس:٣٢].

فإذن إذا قالوا: نحن نثبت هـٰذه الصفات السبع على وجه يليق بالخالق وبعيدا عن التشبّه بالمخلوق.

فنقول: ويلزمكم أن تثبتوا ما نفيتموه كالرحمة والغضب و الضحك والوجه واليدين وما إلى ذلك، وأيضا يعني يلزمكم فيه مثلما لزمكم فيما نفيتموه؛ فأشد الناس تناقضا الأشاعرة، حتى من المعتزلة، لذلك المعتزلة ألزمتهم في باب في موضوع الرؤية؛ لأنهم يتفقون مع المعتزلة في نفي العلو مع أنهم يثبتون رؤية الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ، فتقول لهم المعتزلة أنتم بين أمرين:

- إما أن تثبتوا لله جهة معينة من أجل أن تثبتوا الرؤية في الآخرة.
- وإما أن تنفوا هـٰذا.

فإذن الخلاصة أنهم يلزمهم في كل ما نفوه نفس الشيء الذي يلزمهم فيما أثبتوه، فيجب عليهم إثبات الكل كما أمر الله عز وجل، وكما أنزله في كتابه وفي سنة رسوله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– من العلوم النافعة.

والمقصود هنا الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه، وبما وصفه به رسوله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، ولا تشبيه ولا تأويل.

من أدلة الأشاعرة الواهية استدلالهم ببيت منسوب إلى الأخطل يقول هـٰذا البيت المزعوم:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

قالوا: إن هـٰذا البيت يفيد بأن الكلام الحقيقي هو المعنى القائم بالنفس؛ ولكن جُعل هـٰذا اللسان ليعبر عما يجول في النفس.

قالوا: إن الكلام هو المعنى القائم في النفس، وإنما اللسان دليل على هـٰذا الكلام، ومخبر عنه، وإلا فالأصل المعنى القائم بالنفس.

هـٰذا البيت استدلالهم به فاسد من وجوه:

الوجه الأول: أن نسبة البيت إلى الأخطل غير صحيحة وغير ثابتة، إذن ثبّت العرش ثم انقش. كما يقال، إذن البيت غير ثابت.

الوجه الثاني: حتى لو ثبت فإنه لرجل نصراني، والنصارى معروف عندهم التحريف والتبديل، إذن البيت لرجل نصراني -إن صح- وهو غير ثقة، ولا يستدل به، فإذن البيت لرجل نصراني فلا يؤمَن أن من عقيدته هـٰذا المعتقد.

الوجه الثالث: أنه معارض لما ثبت في القرآن والسنة، فالله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أخبرنا في كتابه العزيز بأنّ من أكره وتكلم بالكلام فإن الله -عز وجل- يعفو عنه، طالما أنه أضمر الإيمان، فلا يؤاخذ بهـٰذا الكلام الذي صدر منه تحت الجبر، وأيضا فإنّ الإنسان لا يؤاخذ بما توسوس به نفسه وما تحدثه به نفسه، ولذلك يقول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنّ الله تجاوز عن أمتي ما حدّثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمله**»، [1] فلو كان يؤاخذ بحديث النفس لما بقي أحد غير مذنب.

وأمر آخر: لما أخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن هـٰذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس**»،[2] وقد أجمع أهل العلم على أن من أضمر شيئا في نفسه، فإن صلاته لا تبطل؛ بل تصح.

إذن الاستدلال بالبيت لا يصلح من الأصل، وليس بآية وليس بحديث، ولم ينسب لأحد من الصحابة، ولا من أهل العلم بعدهم.

هـٰذه بعض شبه الأشاعرة والمعتزلة والرد عليها.

ولعل موضوع القدر يؤجل لدرس آخر إن شاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.؛ لأنه كلام مستقل.

([1]) **البخاري**: كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق والكره، حديث رقم (٥٢٦٩).

مسلم: كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذتا لم تستقر..، حديث رقم (١٢٧).

([2]) **مسلم**: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته، حديث رقم (٥٣٧).

[الأسئلة]

سؤال (٠٧): **فضيلة الشيخ قلتم: إن معظم العالم الإسلامي أشاعرة، سمعنا من بعضهم أن هـٰذا الحكم غير صحيح؛ لأن معظم العالم عوام، والعوام لا يعدون من الأشاعرة كما هو معلوم، فنرجو التفصيل؟**

الجواب: أولا علينا أن نعلم أن انتسابهم إلى أبي الحسن الأشعري غير صحيح؛ لأنّ أبا الحسن الأشعري -رحمه الله تعالى- قد تاب من عقيدة ابن كلاب، ورجع إلى منهج السلف، وبين ذلك في كتابه المسمى بـ"الإبانة عن أصول الديانة"، والذي اعترف بنسبته إليه حتى كبار الأشاعرة أمثال الحافظ ابن عساكر وغيره، مفهوم؟

الأمر الثاني أن العوام أتباع لعلمائهم، وكثير من العالم الإسلامي أقول: إن أكثر العالم الإسلامي اليوم على هـٰذه العقيدة؛ لأنهم ورثوها عن الآباء والأجداد من علماء وغيرهم، لو نظرت في كل مكان، لوجدت لا يدرس فيها إلا هـٰذه العقائد مثل النسفية، وأم البراهين الكبرى، والبراهين الصغرى، والجوهرة ومتن ابن عاشر، ونحو ذلك فكلها تدرس على هـٰذا المنهج التعبان.

ولو أن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- جعلهم يستجيبون ويتحاكمون إلى كتاب الله تعالى، وإلى سنة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَكَما عدلا لما وقعوا فيما وقعوا فيه.

ومع ذلك نحن لا نقول لهم: كفار كالجهمية وغلاة الباطنية والرافضة على الصحيح، وإنما هم مسلمون مبتدعة، و لم يقل أحد بتكفيرهم؛ ولكن هـٰذا لا يعني السكوت عن أخطائهم وبيان ما عندهم.

فهـٰذه مغالطة قول القائل: إن أكثر العالم الإسلامي اليوم عرفوا المنهج السلفي الصحيح، هـٰذا ليس بصحيح.

نعم، صحيح هم أكثرهم عوام؛ لكن على أي منهج، لو سألت واحد أين الله؟ يقول لك: في كل مكان، وهو لا يدري عن خطورة قوله: (إن الله في كل مكان)، لا يدري عن خطورته لو عرف خطورته لما قاله.

لكن الجارية التي على فطرتها، حتى العوام أفسدت فطرهم، إنما الجارية لما قيل لها: "**أين الله؟**" قالت: في السماء. [1]

---

[1] سبق تخريجه في الصفحة (٣٥).

أي في العلو.

فإذن الفطر هـــٰذه أفسدت أيضا؛ ويعني حُرّفت وغيرت.

بل أقول لك شيئا: إمام عندنا في قرية ما.

معلوم، ولله الحمد والمنة، أننا في هـــٰذه البلاد ما يدرّس إلا منهج السلف من الصف الأول الابتدائي؛ بل من الروضة إلى أعلى المراحل الجامعية، وهـــٰذا من فضل الله عز وجل، ثم من بركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ومؤازرة الأئمة ابتداءً من الإمام محمد بن سعود رحمه الله تعالى، وذريته من بعده الذين آزروا التوحيد وعقيدة التوحيد، وثبتوا عليها وصمدوا عليها وحوربوا من أجلها وسقطوا مرارا من أجلها ثم يعودون دائما لإظهار لما اندرس من السنة بفضل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- علينا وعلى الناس.

فإذن أقول: إمام في قرية بعيد عن العلم والتعليم أخذ كتاب تفسير الجلالين، وزرناه يوما ما، ونحن مع مركز الدعوة، فإذا بالرجل يدرس العوام الذين عنده في المسجد فيقول لهم: ﴿وَجَاء رَبُّكَ﴾[الفجر:٢٢]، أي وجاء أمره، استوى بمعنى ظهر وغلب واستولى.

هؤلاء عوام، من أين عرفوا هـــٰذا؟ من الكتاب الذي تتلمذ عليه، وهو لا يعرف شيئا، مع أنه يعيش في بلاد التوحيد وعلى فطرته؛ لكن بمجرد ما بُيّن له رجع وترك الكتاب وأعطي من الكتب ما هو خير له.

سؤال (٠٨): **ما الفرق بين القرآن مخلوق وما بين أنه كلام الله، رجاء التفصيل؟**

الجواب: الفرق بين مخلوق وبين أنه كلام الله، إذا قلنا: إن منهج أهل السنة أن القرآن كلام الله أنه تكلم به على الحقيقة فهو صفة من صفاته، وهو الذي نبه على ذلك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللّهِ﴾[التوبة:٦]، فإذا قلنا: إنه كلام الله وهو الحق، فهو صفة من صفاته، كلامه الذي تكلم به على الحقيقة وأنزله على نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذا سرنا على هـــٰذا المنهج .....

بسم الله الرحمن الرحيم

[المتن]

وَالإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حُلْوِهِ وَمُرِّهِ.

[الشرح]

هـٰذه الفقرة التي أوردها الشيخ رحمه الله تعالى: (وَالإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حُلْوِهِ وَمُرِّهِ) من الله تعالى، تتعلق بالركن السادس من أركان الإيمان، فقد ثبت من حديث عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في قصة مجيء جبريل إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وكان من الأسئلة التي قالها له: أخبرني عن الإيمان، فقال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**» [1] وهو أن يعتقد المؤمن أن الخير والشر مقدّران من الله، وأن كل ما يجري إنما يجري بقضاء الله وقدره، لا راد لقضائه ولا معقّب لحكمه، وأنه لا يخرج شيء عن هـٰذا القدر، وله مراتب سوف نشير إليها إن شاء الله تعالى.

والمهم أن نعلم أن جميع الكون مقدّر من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وعالم به قبل التقدير، وقدره في الأزل، ثم إنه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- يخلق ما يخلق، ويجري ما يجري وفْق ما قدّر -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- في الأزل، فالإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، فمن أنكر القدر فقد كفر بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وخلع رَبقة الإيمان من عنقه، ذلك أن هـٰذه الأركان الستة الكفر بواحد منها يقوّض جميعها، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) وَمَا أَمْرُنَا إِلاَ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠)**﴾[القمر:٤٩-٥٠]، وقال تعالى: ﴿**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢)**﴾[الفرقان:٠٢]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿**وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا (٣٨)**﴾[الأحزاب:٣٨]، فجميع الكون والخلق إنما جرى بقضاء الله وقدره، وما من مصيبة تجري أو فرح أو طرح أو مرض أو خير أو شرٍّ أيا كان إلا وهو بقضاء الله وقدره، ﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا**﴾[الحديد:٢٢]، أي من قبل أن نخلقها، فكل الأمور تجري وفق مقادير الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ولا يخرج عن القدر شيء البتة، ومن اعتقد أن شيئا يخرج عن قدر الله -عز وجل- فقد كفر بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

([1]) **مسلم**: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان.. حديث رقم (٠٨).

وقد ضلّت طوائف في هـٰذا الباب، سوف نتعرض لذكر بعضهم، والمهم أن نسلم بقضاء الله وقدره، وهو أن يعلم المؤمن أنّ ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن كل شيء يجري بقضاء الله وقدره، وأن كل شيء عنده بمقدار، ولا يجوز الشك في ذلك ولا الارتياب فيه؛ لأنه أساس من أسس الإيمان، وركن من أركانه.

ثم إنه يجب التنبيه إلى أمر وهو أنه لا ينبغي الخوض في القدر؛ لأنه سر من الأسرار وهو سر الله في خلقه، إلا بقدر ما يبين به الدليل، أو بقدر ما يرد به على أهل البدع والأهواء، وأما التعمّق وكثرة الخوض، فإنه قد يورث الشك والحيرة والعياذ بالله.

والمهم أن يعلم المؤمن أن كل شيء في ملك الله، وأن الله -عز وجل- بيده الخير كله وبيده الأمر كله، وإليه يرجع الأمر كله، وأنه لا يُسأل عما يفعل، وأن جميع الكون وأن جميع أمور الدنيا والآخرة كلها من قدره سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ، وكل شيء عنده بمقدار ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ (٨)﴾[الرعد:٠٨]، ﴿يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩)﴾[الرعد:٣٩].

[المتن]

وَكُلُّ ذَلِكَ قَدْ قَدَّرَهُ اللَّهُ رَبُّنَا، وَمَقَادِيرُ الأُمُورِ بِيَدِهِ وَمَصْدَرُهَا عَنْ قَضَائِهِ.

[الشرح]

كل ما يجري في الكون إنما قضاه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- وقدّره، وذلك أن القدر له أربع مراتب -أو درجات- من فهمها تماما ووقف عند حدها -لأن لها دلائل من الكتاب والسنة- سلم من الغوائل وسلم من مزلّات القدم التي زلت فيها كثير من الطوائف المنحرفة، وهـٰذه المراتب هي:

المرتبة الأولى علم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- بالأشياء قبل كونها؛ لأن علمه ليس له ابتداء وليس له انتهاء، ولا يحيط أحد بشيء من علمه، ولا ينفذ علمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ، ولا يقف عند حد، فهو عالم بما كان، وما يكون، وما لم يكن أن لو كان كيف يكون، فهو -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- عليم بكل شيء ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٢)﴾[العنكبوت:٦٢]، ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾[البقرة:٢٥٥]، ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (١١٠)﴾[طه:١١٠]، فعلمه -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- بسائر الأمور قبل أن تقع، وقبل أن تكون.

هـٰذا هو الذي يجب اعتقاده، وهو أول مراتب القدر، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠)﴾[الأحزاب:٤٠]، ﴿إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٨)﴾[التوبة:٢٨]، ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ

فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء (٥)﴾[آل عمران:٥]، الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- قد علم الأشياء قبل خلقها وقبل كونها.

المرتبة الثانية الكتابة: أن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- كتب مقادير هـٰذه الأشياء قبل أن يخلق السمٰوات والأرض، فإن الله -عز وجل- كتب مقادير كل شيء قبل خلق السمٰوات والأرض، ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾[الحديد:٢٢]، وقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[الأنعام:٣٨]، وقال تعالى: ﴿يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩)﴾[الرعد:٣٩]، وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ (٢٢)﴾[البروج:٢١-٢٢] فالقرآن مما كتب في اللوح والمحفوظ قبل خلق السمٰوات والأرض، وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ (٨)﴾[الرعد:٠٨] فالله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ كتب كل شيء، ولذلك ثبت في الحديث أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «**أول ما خلق الله القلم، فقال له: أكتب. قال: ماذا أكتب؟ قال: أكتب مقادير كل شيء إلى قيام الساعة**»،[1] وقال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة**»،[2] فقد كتب مقادير الأشياء قبل خلق السمٰوات والأرض، وقبل خلق جميع الخلق، ولذلك جاء في الحديث الآخر «**إن الله كتب الحسنات والسيئات**».[3]

المرتبة الثالثة المشيئة: فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو أن يعتقد المؤمن أنه لا يخرج شيء عن مشيئة الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- أن يعتقد أنه لا يخرج شيء عن مشيئة الله -عز وجل-، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ﴿مَن يَشَإِ اللّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٩)﴾[الأنعام:٣٩]، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَ أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)﴾[التكوير:٢٩]، فعال لما يريد ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧)﴾[هود:١٠٧]، والآيات في هـٰذا الباب كثيرة.

إذن المرتبة الثالثة المشيئة العامة النافذة.

---

[1] سبق تخريجه في الصفحة (٣٧).

[2] **مسلم**: كتاب القدر ، باب حجاج آدم موسىٰ عليهما السلام، حديث رقم (٢٦٥٣).

[3] **البخاري**: كتاب الرقاق، باب من هم بحسنة أو بسيئة، حديث رقم (٦٤٩١).

مسلم: كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا بسيئة لم تكتب، حديث رقم (١٣١).

المرتبة الرابعة الخلق والإيجاد وفق ما قدر في الأزل، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[الفرقان:٢]، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩)﴾[القمر:٤٩] إذن الخلق والإيجاد والإعداد والإمداد كل ذلك يجري بقضاء الله وقدره، ولذلك يخلق وفق ما قدّر خلْق السمٰوات والأرض والحيوان والإنسان والجماد والنبات وجميع الكون وفق ما قدر في الأزل قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة، ثم هو يخلقه في الوقت الذي اقتضت مشيئته أن يَخلقه فيه تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ.

إذن نخلص من هٰذا أن مراتب القدر أربعة:

الأولى العلم؛ علم الله بالأشياء قبل كونها.

المرتبة الثانية الكتابة؛ أن الله كتب مقادير الأشياء كلها قبل أن يخلق السمٰوات والأرض.

المرتبة الثالثة المشيئة العامة؛ وهو أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

المرتبة الرابعة وهو الخلق والإيجاد وفق ما اقتضته مشيئته، ووفق ما قدر سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ، فخلق كل شيء، ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الرعد:١٦، الزمر:٦٢].

هٰذه هي مراتب القدر، ولذلك يجب أن يؤمن العبد بأن الله -عز وجل- خلق جميع الأشياء، وهو خالق الخير والشر، وهو خالق الأمور كلها سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ.

[المتن]

[وَ]عَلِمَ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلَ كَوْنِهِ، فَجرَى عَلَى قَدَرِهِ، لاَ يَكُونُ مِنْ عِبَادِهِ قَوْلٌ وَلاَ عَمَلٌ إلاَّ وَقَدْ قَضَاهُ، وَسَبَقَ عِلْمُهُ بِهِ، ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[الملك:١٤].

[الشرح]

هٰذه العبارة هي تلخيص للمراتب الأربعة التي ذكرت: علم كل شيء، وكتبه، وشاءه، وخلقه، ولذلك قال: ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[الملك:١٤]، ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ لأنه عالم بما خلق، وبما سيخلق في الأزل فلا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، فهٰذه المراتب لخصها الشيخ في جمل قصيرة ، عَلِمَ وكتب وشاء وخلق.

[المتن]

يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ فَيَخْذُلُهُ بِعَدْلِهِ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُوَفِّقُهُ بِفَضْلِهِ، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ بِتَيْسِيرِهِ إِلَى مَا سَبَقَ مِنْ عِلْمِهِ وَ[قَدَرِه] مِنْ شَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ.

[الشرح]

قال رحمه الله: (يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ.. بِعَدْلِهِ)، (وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ.. بِفَضْلِهِ) الهدى والضلالة بيد الله، يضل من يشاء ويهدي من يشاء، فمن شاء هداه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بفضله وتكرّمه وإحسانه، ومن شاء من أضله بعدله؛ لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

أولا: لا يسأل عما يفعل.

وثانيا: أن ذلك ملكه، يتصرّف فيه، حيث يشاء، ومن تصرف في ملكه فلا اعتراض عليه، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه. فبيده الأمر كله.

الثالث: أن العبد ميسر لما قدره الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- له في الأزل، لا يمكن أن يخرج قيد أنملة عما قدر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- له.

وهـٰذا يتطلب الكلام على أقسام المشيئة، فالمشيئة قسمان:

- مشيئة كونية قدرية خلقية.
- ومشيئة دينية شرعية أمرية.

والثانية داخلة في الأولى، فما شاءه دينا وشرعا وأحبه ورضيه داخل فيما شاءه كونا وقدرا؛ ولكن ليس كل ما شاءه كونا وقدرا يريده دينا وشرعا وأمرا ومحبة ورضا، والفرق بين المشيئتين أن المشيئة الكونية القدرية هي المشيئة العامة النافذة التي يدخل فيها جميع الخلق، فالله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- فعال لما يريد، وهـٰذه تشمل الجميع، من يشأ الله أن يضلله، ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم، فمن يريد الله أن يهديه ﴿مَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾[الأنعام:١٢٥]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧)﴾[هود:١٠٧]، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)﴾[التكوير:٢٩]، لذلك فإن المشيئة الكونية القدرية تشمل كل ما أراده الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وقدّره في الأزل من خير أو شر، فإنه لا يخرج شيء البتة عن قدر الله -عز وجل- الكوني القدري، لا يمكن أن يخرج شيء عن مشيئته القدرية الكونية، عرفنا الأدلة من القرآن على ذلك.

أما المشيئة أو الإرادة الدينية الشرعية الأمرية هي التي تتضمّن ما يحبه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- ويرضاه، فليس كل ما شاءه قدرا وكونا يريده ويحبه دينا وشرعا وأمرا، وإن قد يشاؤه قدرا؛ يعني أمورا كثيرة يدخل فيها الخير والشر ويدخل فيها كل ما شاءه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولذلك فإن القدرية أنكروا هـٰذه المشيئة العامة، ووقعوا فيما وقعوا فيه كما سنبين في نهاية الدرس في الرد على بعض الطوائف.

وخالفتهم الجبرية فجعلوا كل ما شاءه الله كونا وقدرا مأمورا به شرعا، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

المشيئة الأمرية الدينية هي المتضمنة لما يحبه الله ورضاه، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[البقرة:١٨٥]، وكما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣)﴾[الأحزاب:٣٣]، وما قال تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾[المائدة:٠٦]، والآيات كثيرة أيضا في هـٰذا الباب.

فإذن هـٰذه المشيئة الدينية الشرعية متضمنة للأمر ولما أمر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- به.

فتجتمع الإرادتان الكونية القدرية والدينية الشرعية في حق المطيع، فالمطيع الذي يمتثل أوامر الله -عز وجل- وافق المشيئة الكونية القدرية، وفي الوقت نفسه وافق المشيئة الأمرية الدينية الشرعية.

وتختلفان في حق العاصي، فإن العاصي داخل في المشيئة العامة الكونية القدرية، ولا يدخل في المشيئة الدينية الشرعية التي تتضمن ما يحبه الله ويرضاه، والذين وقعوا في مخالفة في هـٰذا السبيل، إنما وقعوا لكونهم لا يفرّقون بين المشيئة الدينية والشرعية من جانب، ولا بين الكونية القدرية من جانب آخر، أو من جهة كونهم خلطوا بين هذين الأمرين، فاختلط عليهم الأمر وأصبحوا لا يميزون بين الحق والباطل بسبب هـٰذا المعتقد الفاسد وبسبب التخبّط وعدم الرجوع إلى كتاب الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسنتكلم عن بعض الطوائف التي أنكرت القدر في نهاية الدرس.

[المتن]

تَعَالَى [الله] أَنْ يَكُونَ فِي مُلْكِهِ مَا لاَ يُرِيدُ، أَوْ يَكُونَ لأَحَدٍ عَنْهُ غِنًى، أَوْ يَكُونَ خَالِقٌ لِشَيْءٍ إِلاَّ هُوَ، رَبُّ الْعِبَادِ وَرَبُّ أَعْمَالِهِمْ، وَالْمُقَدِّرُ لِحَرَكَاتِهِمْ وَآجَالِهِمْ.

[الشرح]

هنا بيّن أمورا فيها رد على القدرية والجبرية، فإن:

(**تَعَالَى الله أَنْ يَكُونَ فِي مُلْكِهِ مَا لاَ يُرِيدُ**)، وهـٰذا رد على القدرية الذين قالوا: إن العبد هو الذي يخلق فعله، فمعنى ذلك أنه كان في ملكه ما لا يريد تعالى عما يقولون علوا كبيرا.

(أَوْ يَكُونَ لِأَحَدٍ عَنْهُ غِنًى) البتة، فإن الخلق محتاجون إليه في جميع أمورهم، لا غنى لهم عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، عن إرادته، عن فضله، عن حكمته، عن رحمته، لا غنى لهم في هٰذا.

(وَالْمُقَدِّرُ لِحَرَكَاتِهِمْ وَآجَالِهِمْ)؛ أيضا فيه رد على القدرية الذين يقولون: إن المقتول إنما وقع له أمر قبل أجله، وجعلوه هو الذي أوقع هٰذا الإنسان نفسه؛ لأنهم يعتقدون أن الإنسان الخالق لفعله، والله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- رد عليهم بقوله: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الرعد:١٦، الزمر:٦٢]، وبقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦)﴾[الصافات:٩٦]، فجميع الخلق، وجميع الأمور إنما خلقها الله عز وجل بقدره وكونه ومشيئته النافذة العامة، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

والعبد له مشيئة ولكنها تابعة لمشيئة الله عز وجل، ولا تخرج عن المشيئة الكونية القدرية، فالله -عز وجل- فعال لما يريد، ولا يقع في ملكه إلا ما يريد، ولا غنى لأحد عنه ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥)﴾[فاطر:١٥]، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم**» [1] ونحو ذلك مما يبيّن أن العبد محتاج إلى ربه ويحتاج إلى لطف ربه، وإلى فضل ربه في كل لحظة من لحظات حياته، فيسأله الثبات على الأمر والعزيمة على الرشد، ويسأله الثبات لأن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمٰن يقلبها كيف يشاء، ولذلك يسن للمؤمن دائما أن يقول في سجوده: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك. كما أمر الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يقال ذلك في السجود،[2] فلابد للمسلم أن يسأل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- دائما الثبات على الأمر والعزيمة على الرشد.

بقيت مسائل تتعلق بهذا الباب:

المسألة الأولى: مواقف الناس من القدر، الناس تجاه هٰذا الأمر ثلاث طوائف:

أهل السنة والجماعة، وقد بينا عقيدتهم كما ذكره المصنف رحمه الله تعالى، وهو أنهم يؤمنون بأن كل شيء يجري بقضاء الله وقدره، وأنه لا يخرج شيء عن قدره، وأنه خالق الأسباب والمسببات،

---

(١) **مسلم**: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم (٢٥٧٧).

(٢) **سنن الترمذي**: كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمٰن، حديث رقم (٢١٤٠)، قال الشيخ الألباني: صحيح.

وأنه خالق العباد وأفعال العباد، وأنه الخالق لكل شيء، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن كل شيء ميسر لما خُلق له، ويعتقدون أيضا أنه لا حجة لأحد من الخلق بالقدر، وأن الخوض في القدر من علامات أهل البدع، وأن الآجال بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن العبد له مشيئة، وأن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- له المشيئة النافذة، وأن مشيئة العبد مقيدة بمشيئة الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- العامة والكونية.

هـٰذه خلاصة معتقد السلف في باب القدر، الإيمان بالقدر، وأنه ركن من أركان الإيمان، وأن من أنكره كفر، وأن كل شيء يجري بقضاء الله وقدره، وأن الخالق الرّازق المالك، وأن الله هو الذي علم، ثم كتب، ثم قدر -يعني شاء-، ثم خلق وفق ما قدر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

هـٰذه خلاصة عقيدة أهل السنة في هـٰذا الباب.

أما المنحرفون فهم طائفتان:

الأولى **القدرية**، وهم الذين قالوا: لا قدر والأمر أنف؛ يعني: أن الله -عز وجل- لم يعلم الأشياء قبل كونها، وآخرون قالوا: إنه يعملها ولكنه لم يخلقها؛ بل العبد هو الذي خلق فعله، أما من أنكر العلم والخلق معا فهـٰذا كافر بإجماع الأمة.[1]

وأما الذين عرضت لهم شبهة في باب الخلق، ولهم شبهة مفادها أن الله -عز وجل- لو كان خالقا لأفعال العباد ثم يعذبهم على ما اقترفوا من شر كان الله ظالما لهم، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

وأول من ظهر عنه هو معبد الجهني الذي قتله عبد الملك بن مروان سنة ثمانين للهجرة، لذلك لما بلغ عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -وكان قد عُمِّر- ظهور هـٰذه الطائفة قال: إذا لقيتموهم فأخبروهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني.

فهؤلاء جعلوا العبد هو الذي يخلق فعله، وأما إن ضموا إليه إنكار علم الله بالأشياء هـٰذا كفر والعياذ بالله عز وجل، ولذلك يقال لهم: إنكم شابهتم باعتقادكم هـٰذا المجوس، وقد جاءت في هـٰذا آثار أكثرها موقوفة، ومختلف في صحة رفعها للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن كان معنى هـٰذا الآثار صحيح، وأن المختلف فيه هو رفعها إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وهي «**القدرية مجوس هـٰذه**

---

[1] وحتى من أنكر علم الله السابق فقط فهو كافر، قال الشافعي رحمه الله: ناظروا القدرية بالعلم فإن أنكروه كفروا وإن أثبتوه خصموا. والله أعلم.

الأمة، إذا مرضوا فلا تعودوهم، وإذا ماتوا فلا تشيعوهم»[1] وهـٰذا مختلف في رفعه، وعدم رفعه؛ ولكن حتى في حال وقفه فإنه مما لا مجال للاجتهاد فيه.

ووجه الشبه بينهم وبين المجوس أنهم أثبتوا خالقين فقالوا: الله خالق العبد، والعبد خالق الفعل، فأشبهوا المجوس من جهة أن المجوس ثانوية يثبتون خالقين، فيقولون: نور خالق الخير، وظلمة تخلق الشر. من هنا أشبهت القدرية المجوس بقولهم: إن الله خالق العبد والعبد خالق الفعل، وأولئك قالوا هناك خالقان: فالنور خالق الخير والظلمة خالقة الشر.

وهؤلاء محجوجون بالآيات الشرعية والكونية، منها قوله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦)**﴾[الصافات:٩٦]، وبقوله تعالى: ﴿**اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾[الرعد:١٦، الزمر:٦٢]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَ أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)**﴾[التكوير:٢٩]، ونحو ذلك من الآيات الكثيرة التي تردّ عليهم، وأن كل شيء يجري بقضاء الله وقدره، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿**قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللّهِ فَمَا لِهَـؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٧٨)**﴾[النساء:٧٨]، والمعتزلة كلهم دخلوا في هـٰذا القدر أو في إنكار أن يكون الله –عز وجل– خالق أفعال العباد؛ بل إن العبد هو الذي يخلق فعله، والعجب كل العجب كما تقدم لنا أنهم جعلوا ما ليس مخلوقا مخلوقًا عندما أدخلوا صفات الله في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿**اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾[الرعد:١٦، الزمر:٦٢]، بينما يخرجون أفعال العباد من لفظ ﴿**كُلِّ شَيْءٍ**﴾ فتناقضوا، وضاعوا، وهكذا شأن كل من اتخذ أو استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

والفرقة الثانية **الجبرية**، والجبرية عكس القدرية، قالوا: إن العبد كالغصن في مهب الريح، حيثما تميِّله يميل، وقالوا: إن العبد ليست له مشيئة. القدرية أعطوا للعبد مشيئة مستقلة عن مشيئة الله، الجبرية سلبوا العبد المشيئة، فجعلوا أفعال العباد هي عين أفعال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ، مع أن عقيدة السلف أنها من الله كونا وقدرا، ومن العبد اكتسابا ومباشرة وفعلا، والله خالق الأسباب والمسببات، فهؤلاء يقولون: إن العبد كما قيل:

ألقاه في اليم متكتوفا اليدين	وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء

ولذلك رتب بعضهم على هـٰذا أنه لا يمكن تعذيبه؛ لأنه لو عذبه فهو قد أجبره وسلبه الاختيار، فإنه لا يعذب كما يقول هؤلاء، تعال الله عما يقولون علوا كبيرا.

([1]) **سنن أبي داوود**: كتاب السنة، باب في القدر، حديث رقم (٤٦٩١)، قال الشيخ الألباني: حسن.

وهؤلاء الجبرية عكسوا معتقد القدرية تماما، ففي الوقت الذي تقول القدرية: إن العبد خالق لفعله، تقول الجبرية: إن العبد ليست له مشيئة مطلقا، فكفرت القدرية، بقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَ أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)﴾[التكوير:٢٩]، وكفرت الجبرية بقوله تعالى: ﴿لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨)﴾[التكوير:٢٨].

المسألة الثانية: لو قال بعض المتحذلقين: فيم العمل وقد كتب الله مقادير الأشياء؟ هنا أجابه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما قال لسراقة بن مالك بن جعشم عندما قال له: يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، فيم العمل اليوم؟ أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير، أم فيما نستقبل؟ قال: "**لا، بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير**"، قال: ففيم العمل؟، قال: "**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**".(١)

فالإنسان لا يعلم ماذا كتب له حتى يحتج بالقدر، وإنما هو علم طواه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- عن عباده، ولذلك يروى عن علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه قال: "القدر سر الله في خلقه فلا تكشفه" فمن حاول كشفه ضاع وضل عن سواء السبيل. فيجب العمل ؛ لأن كل ميسر لما خلق له، وأنت أيها العبد لا تعلم ما قُدر لك حتى تحتج بهذا القدر.

ولذلك يقال: إن عمر قطع يد سارق، فقال: كيف تقطع يدي وقد قدر الله علي أن أسرق؟ قال: قد قدر الله عليّ أن أقطع يديك.

وقال أحد السلف: إذا احتج قدري من قدرية الجبرية على فعل معصيته بالقدر فاصفعه على وجهه، فإن أنكر عليك ذلك، فقل: قدر الله علي أن أصفعك.

ولذلك لما جاء أعرابي إلى عمرو بن عبيد أحد زعماء المعتزلة القدرية في أواخر القرن الثاني الهجري، وقال له: أيها الشيخ إن ناقتي قد سُرقت فادع الله أن يردها عليّ، فقال عمرو بن عبيد داعيا: اللهم إنك أردت أن لا تسرق ناقته وأراد الشيطان أن تسرق فارددها عليه، فقال الأعرابي الذي على فطرته: لا، لا، ليس لي حاجة بدعائك، فإنه ما دام أنه أراد أن لا تسرق فسرقت، فكيف يستطيع ردها، غلبت إرادة أحدهما الآخر. تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

فالاحتجاج بالقدر يكون في باب المصائب لا في المعايب، يعني لا يحتج بالقدر في باب المعاصي، الذي يفعل معصية ويريد أن يبرر فعله بالقدر، هـٰذا لا يقبل منه هـٰذا الاحتجاج، ولذلك رد الله -

(١) **مسلم**: كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه ..حديث رقم (٢٦٤٨).

تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- على الكافرين ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾[الأنعام:١١٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَـكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (٢٥٣)﴾[البقرة:٢٥٣]، وقال تعالى: ﴿لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾[الأنعام:١٤٨]، إذن الاحتجاج بالعلم، هل عندك علم بالقدر حتى تحتج به على ما تقارف من معاصي وما تفعل من آثام؟

المسألة الثالثة: وهي خلاصة القول أن الواجب على العبد الكف في باب القدر، إلا ما دعت إليه الضرورة، فلذلك يقول أحد السلف: نظرت في القدر ،ثم نظرت فيه فتحيرت، ثم نظرت فيه فتحيرت، ثم نظرت فيه فتحيرت، ثم نظرت فيه فوجدت أن أكثر الناس إيمانا به أكثرهم كفا عنه، وأكثرهم شكا فيه أكثرهم شكا فيه أكثرهم خوضا فيه.

الواجب أن يكف المسلم، وإذا حصل له بعض الوساوس، فعليه أن يقول: آمنت بالله ويحول ما موضوع آخر، وإلا فالإنسان قد يوسوس له الشيطان، ولذلك عندما قال الصحابة: إنا لنجد في أنفسنا ما لا نستطيع التكلم به، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ذاك صريح الإيمان**» [1] أي علامة الإيمان كونك تستعظم أن تتكلم به، هـٰذا هو صريح الإيمان.

[المتن]

الْبَاعِثُ الرُّسُلَ إِلَيْهِمْ لإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ.

[الشرح]

ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- أن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- هو الذي بعث الرسل ليقيم الحجة على خلقه، وليخرج الذين آمنوا من الظلمات إلى النور، وليُعْبَد الله في الأرض حق العبادة ولإقامة دين الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، فإن إرسال الرسل لإقامة الحجة على الخلق؛ ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[النساء:١٦٥]، ولذلك كان إرسالهم متتابعا، كلما ذهب رسول خلفه رسول آخر فضلا من الله منة، ليبين للناس شرع الله، وليحيي ما اندرس منه، وليقيم عليهم الحجة، وليبصرهم في دينهم، وليرد شاردهم، ويعيد من تولى منهم إلى جادة الصواب والحق، فيفردوا الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بالعبادة، وينبذوا عبادة من سواه، أرسلهم مبشرين ومنذرين، أرسلهم مخوفين، وأرسلهم مبلغين ليبلغوا رسالات ربهم، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة، وأنزل معهم الكتب كما سيأتي

[1] سبق تخريجه في الصفحة (٣٩)

بيان دلالة ما يتعلق بالكتب، وأعطاهم البراهين القاطعة والحجج الواضحة والمعجزات الباهرة والآيات العظيمة التي تبهر العقول وتذهل الأفئدة، وذلك من خلال قرائن كثيرة لا يسع العاقل أمامها إلا التسليم أنهم مبعوثون من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ، وأنهم مرسلون منه، أنظروا على سبيل المثال إلى القرائن التي احتفت برسالة نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتي منها سيرته الذاتية، قبل البعثة وبعدها، ومنها بعض الإرهاصات والدلائل العظيمة، ولذلك لقبوه بالصادق الأمين عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، قبل أن يبعث نبيا ورسولا، وكانوا يحتكمون إليه لفضّ نزاعاتهم وإشكالاتهم، و لم يسجد -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- لصنم قط، وتجنب كثيرا من الأوضار التي كان يمارسها الجاهليون، إلى أدرجة أنه أخذ يعبد ربه وحده في مكان خال ويناجيه فيه ربه، ذلك المكان العظيم الذي نزل عليه فيه الوحي، غير أن هـٰذا المكان لا يخصّ بعبادة أو طقوس معينة كما يتصوره بعض المخرِّفين والجهلة، الذين يتتبعون مثل هـٰذه الأماكن من أجل أن يقيموا فيها طقوسا وبعض العبادات، أو يصلون فيها، أو يأخذون من ترابها أو ما إلى ذلك، فإن ذلك كله من تلبيس إبليس وتزيين الشيطان.

ومن تلك القرائن أنه لما أوحي إليه، وجاء يبلغ أقرب الناس إليه، وهي زوجه أم المؤمنين خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْها بشرته وقالت: والله لن يخزيك الله أبدا، فإنك تحمل الكَلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف. إلى أن قالت: وتعين على نوائب الدهر. ولما جاءت إلى ابن عمها ورقة عرف أن هـٰذا هو الناموس -أي الوحي- الذي أنزل على موسى وعيسى.[1]

ولما جاء وفد كفار قريش إلى هرقل عظيم الروم، وسألهم أسئلة اكتشف من خلال الإجابة أنه نبي مرسل من عند الله، ولذلك بعد تلك الأسئلة الطويلة المعروفة لديكم من السيرة، قال: والله إذا كان الأمر كما قلتم، فإنه سيملك موضع قدمي هاتين. فقال أبو سفيان: قد أَمِرَ أمر ابن أبي كبشة، ويقول رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعد أن أسلم، وقد عرفت من ذلك الوقت أن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ ناصر دينه ومعلٍ كلمته، وأنه سوف يظهر على الخلق.[2]

---

[1] **البخاري**: كتاب بدء الوحي، باب (٠٣)، حديث رقم (٠٣).

مسلم: كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم (١٦٠).

[2] **البخاري**: كتاب بدء الوحي، باب (٠٦)، حديث رقم (٠٧).

مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، حديث رقم (١٧٧٣).

والشاهد أن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بعث الرسل واختارهم من بين أممهم من خيرهم سيرةً وسمعة وما إلى ذلك، حتى يكونوا مؤهلين لحمل هـٰذه الأمانة، قبل أن يبعثهم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- مبشرين ومنذرين.

[المتن]

ثُمَّ خَتَمَ الرِّسَالَةَ وَالنِّذَارَةَ وَالنُّبُوَّةَ بِـ[مُحَمَّدٍ] نَبِيِّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَجَعَلَهُ آخِرَ الْمُرْسَلِينَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا.

[الشرح]

هنا مسائل تتعلق بالبعثة وبالأنبياء -عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، ومنها ما ذكر المصنف من ختم الأنبياء بنبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه أرسل بشيرا ونذيرا للناس كافة، ولذلك فإنه هنا عدة أمور لابد من الكلام عليها:

الأمر الأول: **ما الفرق بين النبي والرسول؟**

الأمر الثاني: **من هو أو رسول و أول نبي؟**

والأمر الثالث: **أولي العزم من الرسل.**

الأمر الرابع: **هل يُفَضَّل بعض الأنبياء على بعض؟**

الأمر الخامس: **ختم النبوة.**

الأمر السادس: **عموم رسالة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.**

فأما المسألة الأولى، وهي الفرق بين النبي والرسول، فإن هناك أقوالا في الفرق بين النبي والرسول:

فمنهم من قال: النبي ما أوحي إليه بشرع و لم يؤمر بتبليغه، والرسول ما أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه.

ومنهم من قال: الرسل هم من ذُكروا في القرآن، والأنبياء ما عدا ذلك.

ومنهم من قال: إن الرسول من تلقى الوحي مباشرة من الله، والنبي هو الذي يوحى إليه بواسطة الملك.

وأقوال كلها لا تستند إلى حق، ولعل من خير التعريفات التي ذكرها العلماء، ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، ووافقه كثير من السلف والخلف، من أن المبعوث إن أرسل إلى قوم مكذبين ومعاندين سواء أرسل ابتداءً أو كان مكمّلا لرسالة قبله فهو الرسول، وإن أرسل إلى قوم

موافقين غير مكذبين، سواء كانت رسالته ابتداءً -أي: أوحي إليه بشرع جديد- أو مقررا لشريعة نبي قبله فإن هـٰذا هو النبي.

ولعل هـٰذا أرجح الأقوال من أقوال كثيرة ذُكرت في هـٰذا الباب، فإن أرسل إلى قوم معاندين فكذبوه وعارضوه فهو الرسول، وإن أرسل إلى قوم موافقين سواء كان ذلك ابتداء أو مكملا لرسالة نبي قبله فهو النبي.

وأول الرسل نوح عليه السلام، وآخرهم وخاتمهم وأفضلهم نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جاء في الحديث الصحيح الذي في قصة الشفاعة، أنهم يذهبون إلى نوح، فيقولون: يا نوح أنت أول رسول أرسل إلى الأرض.[1] مع أنه بالإجماع قبله أنبياء منهم إدريس وشيث؛ بل وآدم عليه السلام فإنه نبي مكلم كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأما مسألة أولي العزم من الرسل، فقيل: إنهم من ذكروا في القرآن الكريم.

وقيل: من جاء ذكرهم في القرآن والسنة.

وقيل: إنهم خمسة فقط، ولعلّ هـٰذا هو الأرجح وهم: نوح، وإبراهيم، موسى، وعيسى، وخاتمهم وأفضلهم نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. يدل لذلك قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[الشورى:١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾[الأحزاب:٠٨]، فالشاهد أن هؤلاء الخمسة هم أولوا العزم من الرسل؛ يعني هم أفضل الرسل عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وأما المفاضلة بين الأنبياء فإن ذلك لا يجوز، إذا كان يؤدي إلى مخالفة الشرع، مع أنه ولا شك أن بعضهم يفضل بعضا، ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾[البقرة:٢٥٣]، فلا شك أن الرسل يفضل بعضهم بعضا، وأن نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أفضلهم وخيرهم، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، أنا أول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفّع**».[2]

([1])**البخاري**: كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، برقم: (٧٥١٠).

مسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم: (١٩٣).

[2] **مسلم**: كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على جميع الخلائق، حديث رقم (٢٢٧٨).

إذن الأنبياء يتفاضلون، وأفضلهم وأعظمهم نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن أشكل على هـٰذا لو قال قائل: كيف تقولون بالمفاضلة بين الأنبياء، بينما نرى أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا تفضّلوني على موسى**»؟ فما الإجابة عن هـٰذا الإشكال؟

الإجابة عن هـٰذا الإشكال أن للقصة سببا جعلتهم يتصورون هـٰذا التصور، وذلك أنّ رجلا مسلما لطم يهوديا بعد أن سمعه قال: ولا والذي فضل موسى على البشر. قال: يقول هـٰذا والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أظهرنا، فلطمه ذلك المسلم، فشكا اليهودي أمره إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنهاهم النبي عن التفضيل الخاص، وقال: «**لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش جانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله**»[1] وهـٰذا يعني أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا يعلم الغيب المطلق.

من هـٰذا نقول: إن التفضيل بين الأنبياء محرم إذا خرج عن التفضيل العام، كما لو خصص فلانا، فقال: فلان أفضل من فلان، أو أنا أفضل من فلان، ويجاب عن هـٰذا الإشكال بأجوبة منها:

الأمر الأول: أن سبب ورود الحديث يبين هـٰذا الأمر، وهو أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنكر عليهم تفضيلهم -وإن كان هو أفضل الأولين والآخرين-؛ لكن هـٰذا من تواضعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الأمر الثاني: أن التفضيل المحرم بين الأنبياء هو التفضيل الذي يكون على سبيل الحمية والعصبية والتفاخر.

الأمر الثالث: أن المحرم الذي هو التفضيل الخاص كما لو قيل: فلان أفضل من فلان، فإن هـٰذا لا ينبغي، وأما إذا قيل: إذا كان هـٰذا التفضيل عاما، كأن تقول: إنّ محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أفضل البشر فهـٰذا مطلوب ومحبوب كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر**»،[2] «**أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يُمحى بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر**

---

[1] **البخاري**: كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهودي، حديث رقم (٢٤١١).
مسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى، حديث رقم (٢٣٧٣).

[2] **سنن ابن ماجه**: كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، حديث رقم (٤٣٠٨). قال الشيخ الألباني: صحيح. وأوله في صحيح **مسلم**: كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم (٢٢٧٨).

الناس على عقبي، وأنا العاقب»[1] والعاقب الذي ليس بعده شيء، كما سيأتي، فالتفضيل الخاص لا ينبغي، ويجوز التفضيل العام.

الأمر الرابع: أن هـٰذا قبل أن تنزل الآية أو النصوص التي تفضل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على غيره، وهـٰذا بعيد.

الأمر المهم هو أن نعلم أن التفضيل المنهي عنه هو التفضيل الخاص، أما التفضيل العام فإنه مشروع؛ بل دلت عليه النصوص، ومنها قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**».

أما التفضيل إذا كان على سبيل الحمية أو العصبية فلا يجوز، أما إن كان المقصود به التواضع فهـٰذا وجه ذكر التفضيل والمفاضلة بين الأنبياء.

بقي أن نتكلم عن قضية ختم النبوة وعموم الرسالة، فإن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هو خاتم النبيين، قال تعالى: ﴿**مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾[الأحزاب:٤٠]، وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، نصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون**»، [2]

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأجمله وأحسنه إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون له ويقولون: هلاّ وضعت هـٰذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**»)،[3] قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: («**أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يُمحى بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي، وأنا العاقب**») والعاقب الذي ليس بعده شيء، أو كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأما عموم الرسالة فقد قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَ كَافَّةً لِّلنَّاسِ**﴾[سبأ:٢٨]، وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)**﴾[الأنبياء:١٠٧]، وقال تعالى: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١)**﴾[الفرقان:٠١]، وقال تعالى: ﴿ **رُّسُلاً**

---

[1] **مسلم**: كتاب الفضائل، باب في أسمائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم (٢٣٥٤).

[2] **مسلم**: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم (٥٢٣).

[3] **البخاري**: كتاب المناقب، باب خاتم النبيين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم (٣٥٣٥).
مسلم: كتاب الفضائل، باب ذكر كونه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم الأنبياء، حديث رقم (٢٢٨٦).

﴿مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[النساء:١٦٥]، هـٰذا ما تعلق بمسائل موضوع الأنبياء، اختصرنا فيها؛ لأنها واضحة لا تحتاج إلى نزيد توضيح.

[المتن]

وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ الْحَكِيمَ، وَشَرَحَ بِهِ دِينَهُ الْقَوِيمَ، وَهَدَى بِهِ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ.

[الشرح]

قال رحمه الله: (وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ الْحَكِيمَ) ليبين للناس ما نُزِّل إليهم، وليبين من خلال تلك الكتب ما أمرهم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- به من عبادته ما نهاهم مما حرم -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، والكتب المنزلة يجب الإيمان بها جميعا وعدم التفريق بينها، والتي ذكرت في القرآن هي: الفرقان والتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى من قبل، هـٰذه الكتب التي أنزلت على الرسل -عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يجب الإيمان بها وعدم التفريق بينها، ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾[البقرة:٢٨٥]، والذي بقي لم يحرّف منها هو القرآن الكريم، وأما بقية الكتب حرفت وبدلت؛ لأن الله -عز وجل- ما تكفل بحفظها كما تكفل بحفظ القرآن، وإنما وكّل حفظها إلى العلماء آنذاك، ولذلك قال: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء﴾[المائدة:٤٤]؛ ولكن القرآن صرح بأنه سيحفظه بنفسه، قال تعالى مبينا أن الله -عز وجل- قد تكفّل بحفظه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)﴾[الحجر:٠٩]، المقصود بالذكر القرآن الكريم، ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢)﴾[فصلت:٤١-٤٢]، ولذلك لما صار النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يتعجل خشية أن يتفلّت منه، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧)﴾[القيامة:١٦-١٧]، فبقي الكتاب وسيبقى محفوظا إلى أن يرث الأرض ومن عليها.

[المتن]

وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَ رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ يَمُوتُ، كَمَا بَدَأَهُمْ يَعُودُونَ.

[الشرح]

قال رحمه الله: (وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَ رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ يَمُوتُ، كَمَا بَدَأَهُمْ يَعُودُونَ) الساعة المقصود بها يوم القيامة، وتسمى الساعة، والقيامة، والقارعة، والحاقة، والغاشية،

والزلزلة، وما إلى ذلك من تسمياتها المخيفة، تسمياتها الخطيرة التي تشعر بالهول وبعظم الأمر، فالمقصود أن الساعة لا تأتي إلا بغتة، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا (٤٥) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (٤٦)﴾[النازعات:٤٢-٤٦]، ولذلك قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ﴾[الأعراف:١٨٧]، ولذلك فإن البعث حق للروح والجسد معا، وليس للروح فقط أو للجسد فقط، مهما كان الأمر، فإنّ البعث أمر محقق وهو أهون على الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- من الخلق من العدم، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (٥٥)﴾[طـه:٥٥]، وقال تعالى: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (٢٥)﴾[الأعراف:٢٥]، قال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧)﴾[التغابن:٠٧].

[المتن]

وَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ [وَتَعَالَى] ضَاعَفَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْحَسَنَاتِ، وَصَفَحَ لَهُمْ بِالتَّوْبَةِ عَنْ كَبَائِرِ السَّيِّئَاتِ وَغَفَرَ لَهُمُ الصَّغَائِرَ بِاجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ، وَجَعَلَ مَنْ لَمْ يَتُبْ مِنَ الْكَبَائِرِ صَائِرًا إِلَى مَشِيئَتِهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[النساء:٤٨، ١١٦].

وَمَنْ عَاقَبَهُ بِنَارِهِ أَخْرَجَهُ مِنْهَا بِإِيمَانِهِ فَأَدْخَلَهُ بِهِ جَنَّتَهُ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾[الزلزلة:٧].

[الشرح]

هٰذه العبارة تتضمن مسائل:

المسألة الأول: أن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- يضاعف الحسنات ويكتب السيئات كما هي، كما قال عز وجل: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾[الفرقان:٧٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (١١٤)﴾[هود:١١٤]، وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١)﴾[البقرة:٢٦١]، وقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيما يرويه عن ربه جل

وعلا: «**إذا همّ عبدي بحسنة ولم يعملها كتبتها له حسنة، فإن عملها كتبتها عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه، فإن عملها كتبتها سيئة واحدة**».[1] ﴿**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (٤٠)**﴾[النساء:٤٠]، فالحسنات تضاعف، والسيئات تكتب كما هي، إلا أنها تضاعف في مثل مكة والمدينة، قال تعالى في حق مكة وحرمها ﴿**وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٥)**﴾[الحج:٢٥]، وقال رسول الله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**المدينة حرم من عير إلى ثور، قمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا**».[2]

المسألة الثانية: أن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- يتجاوز عن الكبائر بالتوبة فيمحوها جميعا، ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)**﴾[الزمر:٥٣]، وهٰذا في حق من تاب، يغفر الله له جميع ما فعل حتى ولو كان الشرك بالله؛ لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- قد امتن بعباده بهذه المنة فهو يعفو عن السيئات ويقبل التوبة عن عباده.

المسألة الثالثة: أن من مات بمعاصيه فإنه يكون تحت المشيئة، إن شاء الله غفر له بفضله، وإن شاء عذّبه بعدله.

المسألة الرابعة: أن من دخل النار من أهل الكبائر فإنهم لا يخلّدون في النار، وإنما يخرجون منها بعد تمحيصه.

المسألة الخامسة: أن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- يغفر الصغائر إذا اجتنبت الكبائر، ولذلك قيل: قال السلف: لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار.

---

[1] **لبخاري**: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾، حديث رقم (٧٥٠١).

مسلم: كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب، حديث رقم (١٢٨).

[2] **البخاري**: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو في الدين والبدع، حديث رقم (٧٣٠٠).

مسلم: كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها بالبركة..، حديث رقم (١٣٧٠).

المسألة السادسة: أن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، يعلم دبيب النمل في الليلة المظلمة على صفاة سوداء، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

المسألة السابعة: أن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- هو المتصرِّف في ملكه، لا رادّ لقضائه، ولا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل.

هـٰذا والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الاثنين ٢٠ ليلة ٢١ جمادى الآخرة ١٤١٦هـ بعد صلاة المغرب

[المتن]

وَيَخْرُجُ مِنْهَا بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَنْ شَفَعَ لَهُ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِهِ.

[الشرح]

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى أهله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قول المصنف رحمه الله: (وَيَخْرُجُ مِنْهَا) أي من النار من شاء الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بشفاعته، أي: (بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ذلك أنه قد ثبت في الحديث أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ قال: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي».[1]

والمقصود بالكبائر -لعله تقدم لنا تعريفها- وأرجح ما قيل في تعريفها: أنها كل ما ختم بلعن، أو غضب، أو بعذاب، أو كلمة ويل، أو فيه تهديد بالخلود في النار.. أو نحو ذلك. هذا هو أرجح ما قيل في تعريف الكبائر كما ذكر أهل العلم.

والصغائر ما دون ذلك، والصغائر تكفّر باجتناب الكبائر كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾[النجم:٣٢] وكما رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهنّ، إذا اجتنب الكبائر»[2]، قول الله عزّ وجل: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾[النساء:٣١]، والمقصود بهذه السيئات أيضا الصغائر، ويقول تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[آل عمران:١٣٥] وكما قلنا: الصغائر تكفر باجتناب الكبائر، وأما الكبائر فإنها لا تكفر إلا بالتوبة،

([1]) **سنن الترمذي**: كتاب صفة القيامة ، باب ما جاء في الشفاعة، حديث رقم (٢٤٣٥). قال الشيخ الألباني: صحيح.

([2]) **مسلم**: كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهنّ، إذا اجتنب الكبائر، حديث رقم (٢٣٣).

ومن مات و لم يتب من الكبائر فهو تحت مشيئة الله، إن شاء غفر له بفضله، وإن شاء عذبه بعدله، ولا يظلم ربك أحدا، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾[النساء:١١٦].

فجميع الذنوب التي هي دون الكفر، وهي الكبائر التي قيل فيها: إنها سبع أو سبعين أو أكثر أو أقل، والمهم ما اندرج تحت التعريف السابق، ما قرن بلعن، أو غضب، أو كلمة ويل أو تهديد بالعذاب، أو الوعيد بالنار، أو الخلود فيها ونحو ذلك، فإن هـٰذه ما كان فيها دون الكفر بالله والشرك به، ما لم يستحلّه العبد فهو تحت مشيئة الله عز وجل، ولاشك أنها خطيرة لا يستهين العبد بالكبائر ويقول: إنها سهلة وإن الله غفور رحيم، نعم حقا إنه غفور رحيم؛ ولكن لا تنس أنه شديد العقاب، كما أنه غفور رحيم فإنه شديد العقاب، فلا يجوز أن تحتقر الذنوب ولا أن يهون من شأنها، ومعظم النار من مستصغر الشرر، فإن العبد إذا أذنب ذنبا كان في قلبه نكتة سوداء فإذا زاد زادت حتى يختم على قلبه، وذلكم الران المذكور في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[المطففين:١٤].

فانتبه يا عبد الله ولا تستهن بشأن الكبائر، وإذا علمت أن الله -عز وجل- لا يغفرها إلا بالتوبة وأن مرتكبها تحت المشيئة، فإن هـٰذا لا يعني التهاون بها، ولا الاستخفاف بشأنها، ولا احتقارها، فإنها بريد الكفر، ربما تؤدي بصاحبها إلى الكفر، وربما استحلها فأصبح كافرا.

ولذلك فإن عقيدة أهل السنة والجماعة أن أهل الكبائر في النار لا يخلدون بشرط أن لا يستحلوا تلك الكبائر، أما من استحلها واعتقد أنها حلال فإنه يكون كافرا، فمن فعل الزنا واعتقد أنه حلال فهو كافر، ومن شرب الخمر واعتقد أنها حلال فهو كافر، ومن أكل الربا واعتقد أنه حلال فهو كافر، من أكل مال اليتيم واعتقد أنه حلال فهو كافر، ومن حكم بغير ما أنزل الله واعتقد أن حكم الله لا يصلح، أو أن حكم الله لم يعد صالحا، أو أن حكم البشر أفضل، أو أن حكم البشر مساويا لحكم الله فهو أيضا كافر.

وأما من فعل شيئا من هـٰذه الكبائر وهو يعتقد أنه مذنب ويرجو المغفرة ويتحين الفرصة للتوبة؛ لكن غلبه هواه أو شهوته فإن مثل هـٰذا لا يحكم بكفره؛ بل هو تحت المشيئة؛ بل هو غفر له بفضله وإن شاء عذبه بعدله ولا يظلم ربك أحدا.

ولذلك جاء في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي وغيره بسند صحيح: "**إن الله سيخلِّص رجلا من أمّتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا، كل سجل منها مد البصر**" سجل الذنوب والكبائر: "**ثم يقول: أتنكر من هـٰذا شيئا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا ربّ، فيقول: أفلك عذر؟ فيهاب الرجل، فيقال: بلى، إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها أن لا إلـٰه إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، فيقول احضر وزنك، فيقول: يا رب ما هـٰذه**

البطاقة مع السجلات، فقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء»[1]، وهـٰذا لاشك أن عنده من قوة التوحيد والإيمان الصادق ما غلب على تلك الذنوب والكبائر.

والناس يختلفون في قوة الإيمان وضعفه:

فمنهم من هو إيمانه قويا لا تزعزعه الزعازع.

ومنهم من إيمانه ضعيف؛ بل يضعف حتى يكون أقل من مثقال ذرة أو حبة، ولذلك يقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان**» وفي رواية: «**أدنى، أدنى من مثقال ذرة من إيمان**»[2].

فإذن هـٰذه عقيدة أهل السنة فيما يتعلق بأصحاب الكبائر، وهي تتلخص فيما يأتي:

أولا: أنه لا يكفر بارتكاب تلك الكبيرة إلا إذا استحلها.

ثانيا: أنه لا يخلد في النار.

ثالثا: أنه تحت مشيئة الله إن شاء غفر له بفضله وإن شاء عذبه بعدله.

رابعا: أنه لا يسلب عنه اسم الإيمان، ولا يعطى كمال الإيمان؛ لا يرفع عنه اسم الإيمان ولا يعطى الإيمان المطلق أي الكامل.

وخامسا: أنه على خطر عظيم ويجب أن يحذر منه.

سادسا: أنه تشمله شفاعة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بنص قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**».[3]

هـٰذه خلاصة عقيدة السلف تجاه مرتكب الكبيرة، هـٰذا الذي بيناه هو مذهب أهل السنة والجماعة، الفرقة الناجية، الطائفة المنصورة، أتباع السلف، السلفيون، إذ لا فرق بين هـٰذه المسميات، هـٰذه كلها

([1])**سنن الترمذي**: كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إلـٰه إلا الله، حديث رقم (٢٦٣٩).

سنن ابن ماجه: كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، حديث رقم (٤٣٠٠)

قال الشيخ الألباني: صحيح.

([2])**البخاري**: كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، حديث رقم (٤٤).

مسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث رقم (١٩٣).

([3]) سبق تخريجه في الصفحة (٧٤).

تعني مسمى واحداً، وإن دندن من دندن وشكك من شكك حول تسمية السلفية من متعصبة هـٰذا العصر، من مرضى القلوب، الذين مرضت قلوبهم وغصت بهـٰذه التسمية العظيمة لأنهم يجهلون معناها.

وهي تماما بتمام تعني كلمة أهل السنة، تعني الجماعة، تعني الفرقة الناجية، تعني الطائفة المنصورة؛ تعني أهل الحق، أهل الإيمان، أهل التقوى، أهل المغفرة، أتباع السلف، السلفيون، من فرق بين هـٰذه المسميات فهو جاهل؛ بل هو أجهل من حمار أهله.

ومن ادّعى أن السلفية أو منهج السلف حزب جديد أو منهج جديد، فلا شك أنه مغالط ومريض ومداهن لأن هـٰذا يظهر ما هو عليه من انحراف عن منهج السلف، ويخالف ما هو عليه من منهج أهل السنة والجماعة ،سواء في باب التوحيد أو في المنهج أو في الحكم على الناس، أو في أي مسألة هو يخالف فيها، وذلك لكثرة الطوائف، أن الطوائف قد كثرت والأحزاب قد كثرت، وأصبح كثير من الناس لا ينهج منهج السلف في مسألة الكبائر وفي غيرها؛ بل نجد من الناس من يكفر اتباعا للخوارج والعياذ بالله.

والناس تجاه مرتكب الكبيرة على أقسام أربعة، وإن شئت قلت ثلاثة إذا أدخلت المعتزلة مع الخوارج، والفرق لأنه بينهم فرق طفيف جدا، فالفرق بينهم في أمر الحياة الدنيا:

القسم الأول منهج أهل السنة، وقد بيناه لكم وهو يتلخص في النقاط التي ذكرناها فاحفظوها جيدا: أنه لا يخلد في النار، أنه لا يكفر ولا يخرج من ملة الإسلام، أنه تحت مشيئة الله، أنه تشمله شفاعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه على خطر ولا شك، أنه لا يسلب الإيمان ولا يعطى كمال الإيمان، أن ذلك كله مشروط بعدم استحلاله، هـٰذا ملخّص منهج أهل السنة، افهموه جيدا؛ لأن الناس يغالطون في هـٰذا الزمان.

يقابله منهج الخوارج، الخوارج وما أكثر الخوارج لا كثّرهم الله، بدأوا يعودون من جديد في هـٰذه الأيام، الذين يكفرون المسلمين، الذين يكفرون كل من يخالف آراءهم؛ بل إن مكفرة هـٰذا العصر أخطر من الخوارج؛ لأن الخوارج عندهم زهد وعندهم ورع ويحرّمون الكذب، وهم إنما أوتوا من قبل شبهة عنت لهم وعقيدتهم أن مرتكب الكبيرة كافر خارج حلال الدم والمال؛ بل مرتكب الذنب عندهم سواء كان كبيرة أو صغيرة؛ يعني ما يرونه هم أنه كبيرة هـٰذا مخالفه أو مرتكبه عندهم كافر ولو كان يشهد أن لا إلـٰه إلا الله وأن محمدا رسول الله، ولو أقام الفرائض واجتنب بقية النواهي وارتكب محظورا منكرا واحدا، أو كبيرة واحدة، فهو عندهم خالد مخلد في النار، وهو غير معصوم الدم والمال.

لكن كما قلت لكم: إنهم أورع من خوارج هـٰذا العصر؛ لأن من ميزاتهم الصدق في الكلام، لذلك هم لا يكذبون في الحديث؛ لأنهم يرون أن الكذب -الخوارج القدامى- يرون أنه كفر، وأما مكفّرة هـٰذا

العصر الذين يكفرون المسلمين ويستحلون دماءهم وأموالهم وأزواجهم وأعراضهم، أيضا هؤلاء من أعظم ما عندهم أنهم يستحلون الكذب لمصلحة الدعوة، على قاعدة الذين يضعون الحديث يقولون: نكذب له.

ولذلك هم أشد انحرافا من الخوارج القدامى، الخوارج القدامى أوتوا من قبل سوء فهمهم للنصوص، وأما الخوارج المحدثون الآن وإن لم يتسموا بهـٰذا الاسم فإنهم أوتوا من قبل منهج معين اختصوه لأنفسهم أو خصه لهم شخص معين، فعندهم القول ما قالت حذام، يوالون ويعادون في سبيل منهج هـٰذا الشخص، حقا قال أم باطلا، هـٰذا هو واقع أكثر الذين التزموا منهج التكفير في هـٰذا العصر، سواء أولئك الذين يستحلُّون دماء المسلمين في بعض بلاد المسلمين الآن ويدّعون أن ذلك جهادا وهو والله ليس بجهاد، وإنما هو خدمة لأعداء المسلمين، والله قدموا لأعداء المسلمين خدمة لم يقدمها أحد سواهم بما أحدثوه من فتن وما أحدثوه من مصائب من استحلال لدماء المسلمين وأموالهم، ولاسيما ما يجري في بعض البلاد الإسلامية من نسف وتدمير وتفجير وتخريب وقتل للأبرياء وقتل للناس وتفجير للمحلات العامة والحافلات والأماكن العامة وما إلىٰ ذلك.

هـٰذا والله الذي لا إلـٰه غيره يخدم أعداء المسلمين ويقدم لهم أعظم خدمة يتمنونها:

أولا هو منهج خطير، منهج تكفيري مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة.

وثانيا هو يقدم خدمة لأعداء المسلمين ما قدمت لغيرهم.

ولذلك هم يدعمونهم وإن أظهروا للناس أنهم يحاربون ما يسمونه هم بالإرهاب، وهم أكبر ممول له على مستوى العالم، على أية حال هـٰذا هو مذهب الخوارج، يكفر القدامى والمحدثون منهم المسلمين، القدامى يكفرون بالكبائر من وجهة نظرهم والمحدثين يكفرون من يخالف منهجهم الذي اختصوه لأنفسهم.

مع هؤلاء الخوارج في النهاية المعتزلة، المعتزلة يقولون: مرتكب الكبيرة لا كافر ولا مسلم في الدنيا، في الدنيا هو في منزلة بين المنزلتين لا نقول عنه كافر، ولا نقول عنه مسلم؛ لكن إذا مات وهو على ذلك فهو كافر خالد مخلد في النار.

وهـٰذا أحد أصولهم الخمسة وهي:

١- **التوحيد**، ويعنون به نفي الصفات.

٢- **والعدل**، ويعنون به نفي القدر، ونفي خلق أفعال العباد؛ لأن الله لو عذبهم وقد خلق أفعالهم لكان ظالما، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

٣- **والمنزلة بين المنزلتين**، وهو أن مرتكب الكبيرة لا كافر ولا مؤمن في الدنيا، وإذا مات على ذلك فهو خالدا مخلدا في النار.

٤- **إنفاذ الوعيد**، وهو ما يدعون أن إنفاذ الوعيد الذي توعد به أهل الكبائر لا بد أن ينفذ ولا يتخلف، ونسوا قول الله عز وجل: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[النساء:٤٨-١١٦] نسوا أن الوعيد مقيد بهـــٰذه الآية.

٥- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، ويعنون به الخروج عن مخالفيهم، الخروج على الأئمة لاسيما من يخالف منهجهم.

هؤلاء هم المعتزلة، في نهاية المطاف اتفقوا مع الخوارج.

تقابلهم على النقيض منهم المرجئة الغلاة ولا يتسع الوقت للتفصيل في مذاهبهم وأقسامهم، ولكن نعني بالمرجئة الغلاة الذين هم مرجئة الجهمية القدامى الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

بمعنى أن الإنسان إذا صدّق، له أن يفعل ما يشاء وليس عليه ذنب، يسرق، يزني، يشرب الخمر، يأكل الربا، كل ذلك لا حرج عليه طالما أنه مصدق، والإيمان عندهم محصور على التصديق فقط، وهؤلاء على النقيض من منهج الخوارج، فإذا وصل بهم الأمر إلى استحلال ما حرم الله فهـــٰذا كفر ينقل عن الملة وهم أنواع وأقسام،

لعل هـــٰذا الشرح لا يناسب التفصيل في بيان مذاهبهم واختلافها.

المهم نعود إلى أن نبين أن منهج أهل السنة هو ما قررناه، وما قرره أهل العلم وسلفنا الصالح من أنهم لا يكفرون بكبيرة، وأن مرتكبها تحت المشيئة، وأنه تشمله شفاعة الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وأنه لا يسلب اسم الإيمان، وأنه على خطر، وأنه إذا استحل كان كافرا.

[المتن]

وَأَنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ- قَدْ خَلَقَ الْجَنَّةَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لأَوْلِيَائِهِ وَأَكْرَمَهُمْ فِيهَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَهِيَ الَّتِي أَهْبَطَ مِنْهَا آدَمَ نَبِيَّهُ وَخَلِيفَتَهُ إِلَى أَرْضِهِ بِمَا سَبَقَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ. وَخَلَقَ النَّارَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ، وَأَلْحَدَ فِي آيَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَجَعَلَهُمْ مَحْجُوبِينَ عَنْ رُؤْيَتِهِ.

[الشرح]

تضمن هـــٰذا الكلام للشيخ رحمه الله عدة مسائل:

المسألة الأولى: أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان.

المسألة: الثانية: أنهما لا تفنيان.

المسألة الثالثة: رؤية المؤمنين ربهم في الجنة.

المسألة الرابعة: حجب الكفار عن هـٰذه الرؤية.

المسألة الأولى عقيدة أهل السنة والجماعة أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، والأدلة عليها كثيرة.

فمن أدلة وجود الجنة قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣)**﴾[آل عمران:١٣٣]، وقوله تعالى: ﴿**أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ**﴾[الحديد:٢١]، وقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لقيت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأنّ غِراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إلـٰه إلا الله، والله أكبر**»[١]، ومن ذلك ما أري إياه النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– من عجائب في الجنة ليلة أسري به، وأيضا عندما كشفت الشمس تناول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئا، يعني مد يده كأنه يريد أن يتناول شيئا فسألوه فأخبرهم: «**أنه كان قد أدني إليه عنقود من عنب الجنة ولو أنه أخذ منه لأكلوا منه إلى قيام الساعة**».[٢]

كل هـٰذه دلائل على وجود الجنة، وأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يزيد فيها ما شاء، وأيضا مما يؤيد ذلك ما ورد أن «**أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تروح وتغدو إلى قناديل معلقة في الجنة**»[٣]، وما بشر الله به الشهداء في هـٰذا الباب.

كل هـٰذه دلائل على أن الجنة مخلوقة موجودة.

أما خلق النار ووجودها فمما يدل عليه قول الله عز وجل: ﴿**إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا**﴾[النبأ:٢١-٢٢] أي أرصدت لهم قبل أن يبعثوا، وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾[آل عمران:١٣١] يعني هيئت، فهي جاهزة، وما ورد من أحاديث في عذاب القبر، وقول الله –عز وجل– في آل فرعون:﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾[غافر:٤٦].

---

(١) **سنن الترمذي**: كتاب الدعوات، باب (٥٩)، حديث رقم (٣٤٦٢)، قال الترمذي: هـٰذا حيث حسن غريب من هـٰذا الوجه، قال الشيخ الألباني: حسن.

(٢) حسنه الشيخ الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، كتاب صفة الجنة، فصل في شجر الجنة وثمارها، حديث رقم (٣٧٣١)، وقال: رواه أبو يعلى بإسناد حسن.

(٣) **مسلم**: كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة..، حديث رقم (١٨٨٧)، بألفاظ قريبة من هـٰذا.

وما أخبر به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يوم تقهقر عندما كشفت الشمس وأخبر أنه رأى النار، وما أخبر به عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عندما سمع صوتا صوت وجبة[1] أي صوتا عظيما أخبر أن ذلك «**حجر ألقي في النار منذ سبعين سنة**»[2] عافانا الله وإياكم من ذلك.

وما جاء في قصة عذاب القبر والرجلين اللذين أخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنهما يعذبان**»،[3] وما أخبر به من «**أن الكافر يفتح عليه باب من النار فيأتيه من حرها وسمومها إلى قيام الساعة**».[4]

كل هـٰذه أدلة ثابتة صحيحة واضحة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، وأن الله -عز وجل- يزيد فيهما بحسب ما تقتضيه مشيئته سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ.

خالف في هـٰذا المعتزلة وقالوا: إن الجنة والنار لم توجدا بعد، لماذا يا معتزلة؟

قالوا: لأننا لو قلنا: إنهما موجودتان فإنهما لابد أن تفنيان قبل قيام الساعة؛ لأن كل شيء لا بد أن يفنى قبل قيام الساعة، والله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يقول: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾[الرحمن:٢٦-٢٧].

زعموا أيضا أن وجودها الآن قبل أن يبعث أهلها أن ذلك عبث -تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا-.

والرد عليهم بالإضافة إلى ما تقدم من أدلة ثابتة من كتاب الله -تعالى- وسنة رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، الرد على هـٰذه الشبهة أن يقال: إن المقصود بقوله تعالى: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**﴾ أي كل شيء كتب الله عليه الفناء فهو فان؛ بدليل أن العرش لا يفنى، وبدليل أن الروح لا تفنى، بأن الملائكة لا تفنى أو يفنى بعضهم.

فإذن المقصود بأن ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**﴾ بما كتب الله عليه الفناء مما كُتب عليه ذلك. ومعلوم أن العرش والجنة والنار والروح وما إلى ذلك، أن هـٰذه الأشياء لا تفنى، وإنما تبقى كما أراد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فإذن هـٰذا القول قول ساقط ولا يلتفت إليه.

---

(1) قال النووي في شرح صحيح مسلم: (وَجْبة) بفتح الواو وإسكان الجيم، وهي: السّقطة.

(2) **مسلم**: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها..، حديث رقم (٢٨٤٤).

(3) **البخاري**: كتاب الوضوء، باب ما جاء في غسل البول، حديث رقم (٢١٨).

مسلم: كتاب الطهارة، باب الدليل على النجاسة البول ووجوب الاستبراء، حديث رقم (٢٩٢).

(4) **سنن أبي داوود**: كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، حديث رقم (٤٧٥٣)، قال الشيخ الألباني: صحيح.

وأما قولهم: إن الجنة تفنى أو النار تفنى فهـٰذا قول ساقط أيضا، فالله -عز وجل- أوجد الجنة والنار لتبقيان، وما زعمه جهم من أن النار تبقى ولكن يتحولون إلى جمادات بحيث لا يحسون بحرها، أو أنهم يتحولون إلى ناريين يعني تصبح من طبيعة أجسامهم، أو كما قال بعض الفلاسفة من أنها تفنى حركاتهم ويبقون جامدين. أو زعم أنها تفنى بعد فترة أو نحو ذلك. كل هـٰذه أقوال فاسدة لا دليل عليها.

والذي عليه الدليل أن الجنة والنار تبقيان، وأنّ أهلها الذين يدخلونها لا يخرجون منها لاسيما الكفار بالنسبة للنار.

وأما الجنة فإن الله -عز وجل- وصف أهلها بالخلود فيها فقال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً (١٠٨)﴾[الكهف:١٠٨]، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمٰوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾[هود:١٠٧]، والمشيئة في الاستثناء هنا المقصود به بيان أنه لا يخرج شيء عن مشيئة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- ولذلك قُيِّد كل شيء بالمشيئة.

وأنّه يؤتى بالموت على هيئة كبش فيذبح بين الجنّة والنار، فيقال: يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت. (١)

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (١٣)﴾[الأعلى:١٣]، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾، ﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾[النبأ:٢٣] أي دهورا لا نهاية لها، فالكفار لا يخرجون منها أبدا، وأما العصاة الذين شاء الله أن يعذِّبهم فإنهم لابد أن يخرجوا منها، ويُدخلوا الجنة بعد أن يمحّصوا وبعد أن ينظفوا وينقوا ويطهروا.

وأما الحديث عن الرؤية التي أشار إليها هنا، فسنرجئه إلى الدرس القادم إن شاء الله، وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(١) **البخاري**: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾، حديث رقم (٤٧٣٠).

مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، حديث رقم (٢٨٤٩).

[الأسئلة]

سؤال (٠٩): **كيف الجمع بين اعتقاد أهل السنة والجماعة في الكبيرة والآية التي تدلّ على أن قاتل النفس خالد مخلد في النار؟**

الجواب: منهج أهل السنة والجماعة في مثل هـٰذه الآيات -مثل آية قاتل النفس- يرون أنها آيات وعيد، تمر كما جاءت ولا تؤول، ومع ذلك فهي مقيّدة بالمشيئة ولا تخرج عنها.

وقد يُذكر التأبيد أحيانا ولا تخرج عنها، وقد يذكر التأبيد أو الخلود أحيانا ولا يراد به التأبيد بالكلية، ولا يراد به الخلود بالكلية، وله نظائر في القرآن، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ نفى عن الكفار أنهم يتمنون الموت في الدنيا قال: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾[الجمعة:٧]، ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾[البقـرة:٩٥] بينما هم يوم القيامة يقولون: ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[الزخرف:٧٧].

فموضوع هـٰذه الآيات الوعيد سواء آية القاتل أو الآية التي تنذر بالعذاب أو الويل.. أو ما إلى ذلك مما هو دون الكفر، هـٰذه يسميها أهل السنة نصوص الوعيد، ومنهجهم في نصوص الوعيد الكف عن القول فيها مع تقييدها بمشيئة الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- التي نصّ عليها في قوله: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[النساء:٤٨، ١١٦].

سؤال (١٠): **ما الدليل على أن العرش والملائكة لا تفنيان؟**

الجواب: أما العرش فقد جاء ذكره أنه موجود يوم القيامة، وأن هناك من يظله الله في ظله، وأن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يسجد تحت العرش يومئذ ويشفع، وأنه يقوم من البعث فيجد موسى باطش جانب العرش، كل هـٰذا دليل على أن العرش لا يفنى، فأما الملائكة فلعل بعضهم، والله أعلم، مثل من يأمره الله بالنفخ في الصور والله أعلم؛ يعني الملائكة ما فيه دليل قاطع على أن بعضهم لا يفنون، ولعل بعضهم قد كتب الله لهم البقاء بمشيئته سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ.

سؤال (١١): **نرجو من فضيلتكم توضيح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾[النساء:١٨] هل هم أصحاب الكبائر وجزاكم الله خيرا؟**

الجواب: يقول الله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾[النساء:١٨] هـٰذه الآية تشمل أصحاب الكبائر وتشمل الكفار.

والمقصود كما وضّح النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذلك: «**إن الله تُقبل توبة العبد ما لم يغرغِر**»؛[1] يعني ما لم تبلغ الروح الحلقوم، فإذا بلغت الروح الحلقوم لا تقبل التوبة ولا يغفر الذنب.

بقي أن نقول: إنّ من مات بكفر فهو خالد مخلد في النار، ومن مات بالكبائر فهو تحت المشيئة، ولو لم تقبل توبته؛ لأن المقصود بالذي يكون تحت المشيئة هو من مات على غير توبة، وأما من تاب قبل أن يغرغر فإنه لا يدخل في مسألة المشيئة؛ بل إن الله يتوب عليه ﴿**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ**﴾[النساء:١٧]، ولذلك يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»[2] ويقول الله -عز وجل- بعد أن ذكر جملة من المعاصي منها الإشراك بالله والزنا وقتل النفس ونحو ذلك: ﴿**إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ**﴾[الفرقان:٧٠] المقصود بالآية ﴿**وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ**﴾[النساء:١٨].

المقصود بها أهل الكبائر كما أن المقصود بها الكفار؛ يعني التوبة لا تقبل بعد الغرغرة وبعد أن تبلغ الروح الحلقوم، بعد أن يأتي ملك الموت عند الرأس لا تقبل التوبة حينئذ.

ثم إذا مات ولم يتب فإن كان الذي لم يتب منه كفرا أو شركا فهو خالد مخلد في النار، وإن كانت معاصي فهي تحت مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ، وهي المراد بقوله عز وجل: ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾[النساء:٤٨، ١١٦].

هـٰذا والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

---

[1] **سنن الترمذي**: كتاب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده، حديث رقم (٣٥٣٧). قال الترمذي: هـٰذا حديث حسن غريب.

سنن ابن ماجه: كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، حديث رقم (٤٢٥٣).

قال الشيخ الألباني: صحيح.

[2] **سنن ابن ماجه**: كتاب الزهد، باب ذكر التوبة ، حديث رقم (٤٢٥٠) قال الشيخ الألباني: حسن.

بسم الله الرحمن الرحيم

الاثنين ٢٧ ليلة ٢٨ جمادى الآخرة ١٤١٦هـ بعد صلاة المغرب

[المتن]

وَأَنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ- قَدْ خَلَقَ الْجَنَّةَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لأَوْلِيَائِهِ وَأَكْرَمَهُمْ فِيهَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَهِيَ الَّتِي أَهْبَطَ مِنْهَا آدَمَ نَبِيَّهُ وَخَلِيفَتَهُ إِلَى أَرْضِهِ بِمَا سَبَقَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ.

وَخَلَقَ النَّارَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ، وَأَلْحَدَ فِي آيَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَجَعَلَهُمْ مَحْجُوبِينَ عَنْ رُؤْيَتِهِ.

[الشرح]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إلـــه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعدُ؛ تكلمنا حول هـــٰذه الجملة من كلام المصنف رحمه الله على مسألتين:

المسألة الأولى: خلق الجنة والنار وأنهما موجودتان مخلوقتان الآن.

والمسألة الثانية: بقاء الجنة والنار و أنهما لا تفنيان.

وبقيت مسألتان أخريان:

المسألة الثالثة: لا طائل تحتها ولا من البحث فيها، والجدل فيها لا طائل من ورائه، وهو: هل جنة الخلد التي يُدخلها الله المؤمنين هل هي نفس الجنة التي أهبط منها آدم أم غيرها؟

وهـــٰذا يسميه أهل العلم من المسائل الفضولية، أي أن البحث فيها:

أولا: لا تترتب عليه أحكام شرعية.

وثانيا: ليست هناك أدلة قاطعة ترجّح هـــٰذا أو ذاك. أليس كذلك؟

إذن مادام الأمر كذلك فالأولى هو الكف عنها، وهو نظير البحث في هل الأفضل الملائكة أم صالح البشر؟ كذلك البحث فيها لا طائل من ورائه ولا جدوى منه؛ بل هو بحث لا فائدة فيه.

هل نحن متعبدون بأن نعرف هل الجنة التي أهبط منها آدم هي جنة الخلد أم غيرها؟ لا؛ لسنا متعبدين بذلك. [1]

وإن كان الشيخ ابن أبي زيد -رحمه الله- يرى أن الجنة التي أهبط منها آدم هي جنة الخلد، هـٰذا رأيه رحمه الله.

ونحن في الحقيقة لا اعتراض لنا على رأيه ولا على رأي مخالفيه، ولذلك نقول: إن الخلاف في هـٰذه المسألة خلاف لا طائل تحته.

المسألة الرابعة: في هـٰذه المسألة -فيما ذكره المصنف هنا- مسألة نظر المؤمنين إلى وجه ربهم الكريم، وهي من أجلّ المسائل وأعظمها؛ بل هي أعظم مسألة؛ لأنها مسألة شرّف الله بها عباده المؤمنين، وأنكرها من أنكرها من أهل الكلام على الرغم من دلالة القرآن والسنة بشكل لا يتطرّق إليه أي احتمال، القرآن والسنة دلاّ على رؤية المؤمنين لربهم في الجنة يوم القيامة، في الوقت الذي يحجَب فيه الكافرون عن رؤية ربهم، نسأل الله أن يمتعنا وإياكم بالنظر إلى وجهه الكريم.

وهـٰذه مسألة لا ينكرها مؤمن، ولا ينكرها إلا من في قلبه مرض، ولا ينكرها إلا من لم يفقه القرآن والسنة.

وقد دلت الآيات والأحاديث المتواترة التي رواها بالمعنى واللفظ ما يزيد على ثلاثين صحابيا من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أعني أحاديث الرؤية-؛ رؤية المؤمنين لربهم، يرونه عيانا، بيانا، بشكل واضح، ويكلمونه ليس لهم من دونه ترجمان.

ويدل لذلك من القرآن عدة آيات، ومن تلك الآيات قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾[القيامة:٢٢-٢٣] الأولى بالضاد أخت الصاد، والثانية بالظاء أخت الطاء، ناضرة من البهجة والسرور إلى ربها ناظرة؛ ترى ربها وتنظر إليه عيانا بيانا ليس بينها وبينه أي حاجز، ووجه دلالة الآية عليها من عدة وجوه:

الوجه الأول: أنه عبر عليها بالوجوه، والوجوه مشتملة على العينين، والعينين هما محل النظر.

والوجه الثاني: أنه عدّى النظر بـ(إلى)، فقال: ﴿**إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾[القيامة:٢٣] ولا يعدى بـ(إلى) إلا في الرؤية بالعين؛ لأن (نظر) تأتي لازمة وتأتي متعدية بـ(إلى) وتأتي متعدية بـ(في).

فإن جاءت لازمة فالمقصود بها الإمهال، ومنه قوله تعالى: ﴿**انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ**﴾[الحديد:١٣] يقوله المنافقون يوم القيامة للمؤمنين، ﴿**قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ**

[1] لابن القيم بحث طويل أول مفتاح دار السعادة، وناقش فيه القولين.

بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾[الحديد:١٣-١٤]. والعياذ بالله.

قلنا: الأولى أنها لازمة ومنها ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾.

والثانية: إذا عديت بـ(في)، والمقصود بها التفكر والتأمل والتدبر في ملكوت الله، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾[الأعراف:١٨٥].

الثالثة: أن تعدى بـ(إلى)، والمقصود بها حينئذ النظر بالعين المجردة المباشرة ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة:٢٣]، ﴿انظُرُواْ إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾[الأنعام:٩٩]، ومنه قوله تعالى: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾[المطففين:٢٣]، وهناك تقدير أي ينظرون إلى ربهم الكريم هذا وجه.

إذن وجه الاستدلال بالآية من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: أنه عبّر بالوجه الذي هو محل النظر لاشتماله على العينين.

والأمر الثاني: أنه عبر بكلمة (ناظرة).

والوجه الثالث: أنه عداها بـ(إلى) ، والتعدية بـ(إلى) تفيد النظر بالعين.

ومنه قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[يونس:٢٦]، بيّن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذه الزيادة وأنها النظر إلى وجهه الكريم، ﴿الْحُسْنَى﴾ الجنة، والزيادة النظر إلى وجهه الكريم تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وقد أجمع على هذا التفسير أهل العلم الذين يعتد بتفسيرهم، فالزيادة المراد بها النظر إلى وجه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ومنه قوله تعالى أيضا: ﴿لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[ق:٣٥] فالمزيد هو النظر إلى وجه الله الكريم يوم القيامة، هذا بالنسبة للآيات.

وأما الأحاديث فهي كثيرة أيض،ا ومنها قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته**"، وفي رواية: "**لا تضارون في رؤيته**"[1] وهذا الحديث يضربه أهل العلم خصوصا أهل الحديث مثالا لأي قسم من أقسام الحديث؟ المتواتر المعنوي.

([1]) **البخاري**: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾[ق:٣٩]، حديث رقم (٤٨٥١).

مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، حديث رقم (٦٣٣).

والمتواتر اللفظي يضربون له مثلا بقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار**".[1]

فأحاديث الرؤية متواترة، لا يتطرّق إليها الشك، والمتواتر -كما تعلمون- هو ما رواه جمع عن جمع مثلهم يحيل العقل والعادة تواطؤهم أو توافقهم على الكذب.

فإذن هذا الحديث من هذا النوع، فهو حديث متواتر وهو يفيد القطع إجماعا، كما أن الأحاديث الصحيحة وإن كانت إجماعا تفيد القطع وتفيد العلم؛ لكن تنزّلا مع بعض الناس نقول: إنها تفيد العلم إجماعا أيضا، تفيد العلم بالإجماع؛ حتى المخالفين يقولون تفيد العلم.

لكن الذين أنكروا الرؤية أولوها برؤية الثواب، وأولوها بتأويلات مجازية لا طائل تحتها.

إذن الأدلة كثيرة على الرؤية.

وقد أنكر الرؤية عدة طوائف وهم الجهمية والمعتزلة والرافضة، وإحدى طوائف الخوارج، المهم أن هناك عدة طوائف أنكرت رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة وحريّ بهم أن يحرموا من تلك الرؤية، وهم الرافضة والجهمية والمعتزلة وبعض فرق الخوارج كالإباضية من الخوارج.

فهؤلاء كلهم ينكرون الرؤية، فيأولون الأحاديث تأويلات مجازية، ويقولون: المقصود رؤية الثواب، أو رؤية الأعمال، أو رؤية بعض آيات الله في الجنة أو نحو ذلك من تأويلاتهم الفاسدة.

ولذلك نرى الزمخشري عند قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى-وهو معتزلي- ﴿**فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ**﴾[آل عمران:١٨٥] قال: وأي فوز أعظم من هذا؟ ماذا يقصد هنا؟ يقصد نفي الرؤية، وهذا لا يخطر ببال أحد إلا من عرف عقيدة القوم؛ يعني لو قاله أحد من أهل السنة قد يكون أمره يقصد به أنه فوز عظيم؛ يعني الفوز بالجنة فوز عظيم ولا يعني به إنكار الرؤية.

لكن الزمخشري الذي استخرجت منه اعتزاليات بالمناقيش، يقول: وأي فوز أعظم من هذا. يهدف من هذا إلى إنكار رؤية المؤمنين للباري -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يوم القيامة.

ما هي شبهة الذين نفوا الرؤية يوم القيامة؟ لن نتطرق لكل شبههم؛ بل سنكتفي بشبهتين:

الأولى: استدلالهم بقوله تعالى حكاية عن موسى: ﴿**قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي**﴾[الأعراف:١٤٣]، فقالوا: إن قوله: ﴿**لَن تَرَانِي**﴾ نفي للرؤية، وهذا النفي يشمل النفي في الدنيا والآخرة، بدليل أنه عبر بـ(لن) التي تفيد التأبيد على زعمهم.

([1]) **البخاري**: كتاب العلم، باب إثم من كذب على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم (١١٠).

مسلم، مقدمة صحيح مسلم، باب تغليظ الكذب على رسول الله، حديث رقم (٠٣).

وقالوا أيضا: إن هناك نفي صريح للرؤية في يوم القيامة.

والرد على استدلالهم بهـٰذه الآية من وجوه:

الوجه الأول: أن الله -سبحانه- عندما خاطب موسى ما قال له: إنني لا أرى، أو لم يراني أحد، وإنما قال له: ﴿لَن تَرَانِي﴾، أنت بهـٰذه الحال؛ لأنك في الحياة الدنيا، والله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- اقتضت حكمته ألا يراه أحد في الدنيا يقضة.

الوجه الثاني: أن موسى بتكوينه الدنيوي المعروف، وغيره من البشر لا يتحملون الرؤية، ولا يتحملون التجلي؛ بدليل أنه لما تجلى إلى الجبل جعله دكا.

الوجه الثالث: أنه لم يقل: إنني لا أُرى، وإنما أمره أن ينظر إلى التجلي، ومعنى ذلك أنّ الرؤية ممكنة؛ ولكن الذي لا يمكن هو التحمل في الحياة الدنيا، فإذا بعث يوم القيامة ودخل الجنة وأعطاه الله من القوة ما أعطاه فإنه يقدر حينئذ على الرؤية.

الوجه الرابع: أن الجبل اندك بتجليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ، فمعنى ذلك أن التجلي ممكن؛ ولكن لا يمكن تحمله فاندك الجبل بمجرد تجلي الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- له على الوجه الذي يعلمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ.

الوجه الخامس: أنه لا يُظن بكليم الله موسى أن يطلب أمرا مستحيلا؛ بل إنه طلب أمرا ممكنا، ولذلك لما طلب بعض الأنبياء بعض الأمور التي علم الله في الأزل وقدّر أنها لا يمكن أن تحصل، فأنكر على نوح عليه السلام قال: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ ثم قال: ﴿فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦)﴾[هود:٤٦]؛ لكن ما أنكر على موسى هنا، بينما أنكر على نوح عليه السلام طلبه؛ لأنه طلب غير ممكن، وموسى لم ينكر عليه مما يدل على أن الطلب هـٰذا ممكن الحصول.

وأما استدلالهم بكون (لن) تفيد التأبيد فهـٰذا منقوض من وجهين:

الوجه الأول: أن (لن) لا تفيد التأبيد بكل حال، وإنما بحسب ما يقتضيه السياق، فإن اختار السياق التأبيد دلت على التأبيد، وإن لم يعبر بلفظ التأبيد وإن لم يدل السياق على التأبيد فإنها لا تدل عليه.

قال ابن مالك صاحب الألفية:

ومن رأى النفي بلن مؤبدا فقوله اردد وسواه فاعضدا

فهي لا تفيد التأبيد.

الأمر الثاني: أنها قد جاءت مقرونة بالتأبيد ومعنى ذلك فإنها لا تفيد التأبيد، بدليل قوله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- عن المشركين: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[البقرة:٩٥]، بينما دل الدليل

على أنهم يتمنونه يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ (٧٧)﴾[الزخرف:٧٧]. فإذن هي لم تفد التأبيد هنا رغم اقترانها بلفظ التأبيد.

فتبين بهذا أن استدلالهم بـ(لن) في غير محله، وأن استدلالهم بالآية ﴿لَن تَرَانِي﴾ في غير محله؛ بل الآية دليل على ثبوت الرؤية، وإنما هي دليل على نفي الرؤية في الحياة الدنيا.

وهذا يتطلب أن نبين مسألة وهي: هل رأى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ربه في الحياة الدنيا؟

هناك قولان مرويان عن ابن عباس وعن عائشة رضي الله عنها:

- فقد روى ابن عباس أنه رآه.
- وأنكرت عائشة تلك الرؤية.

وبالنظر إلى القولين نجد أن القول بعدم الرؤية هو الأصح، وذلك أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل: هل رأيت ربك؟ فقال: «**نور أنى أراه؟**»[١] وفي رواية: «**حجابه النور**»[٢] أي كيف أراه وحجابه النور.

إذن الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نفسه نفى أن يكون قد رأى ربه؛ أعني في اليقظة.

ولذلك تقول عائشة رَضِيَ اللهُ عنْها: ثلاث من ادعاهن فقد أعظم على الله الفرية: من زعم أن محمدا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رأى ربه بعيني رأسه -يعني في الدنيا- فقد كذب. ومن زعم أن محمدا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كتم شيئا مما أوحى إليه به ربه فقد كذب. ومن زعم أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلم ما في غد فقد كذب.[٣]

فيتضح من هذا أن النبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ- لم ير ربه في الحياة الدنيا هو ومن معه من المؤمنين جعلنا الله وإياكم منهم.

هذا بالنسبة لهذه المسألة، وبالمقابل فإن الكفار يحجبون عن الله، ولذلك استدل الإمام الشافعي بقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين:١٥] استدل بهذه الآية على ثبوت الرؤية للمؤمنين لربهم يوم القيامة؛ لأنه مادام يحجب عنه الكافرون فإنه يراه المؤمنون.

[المتن]

وَأَنَّ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[الفجر:٢٢]، لِعَرْضِ الأُمَمِ وَحِسَابِهَا وَعُقُوبَتِهَا وَثَوَابِهَا.

---

(١) **مسلم**: كتاب الإيمان، باب في قوله عَلَيْهِ السَّلاَمُ ((نور أنى أراه)) وفي قوله ((رأيت نورا)) حديث رقم (١٧٨).

(٢) **مسلم**: كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام: ((إن الله لا ينام)) وفي قوله ((حجابه النور..))، حديث رقم (١٧٩).

(٣) **البخاري**: كتاب التفسير، باب سورة والنجم، حديث رقم (٤٨٥٥).

[الشرح]

قال رحمه الله: (وأَنَّ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[الفجر:٢٢]، لِعَرْضِ الأُمَمِ وَحِسَابِهَا) تشتمل هـٰذه الجملة على مسألتين:

المسألة الأولى: صفة المجيء لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والمسألة الثانية: العرض والحساب.

فأما **المسألة الأولى** وهي مجيء الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يوم القيامة للفصل بين الخلائق فقد دلت الأدلة على ذلك:

منها قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[الفجر:٢٢].

ومنها قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾[الأنعام:١٥٨].

فقد دلت الآيات على إثبات مجي ء الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وملائكته للفصل بين الخلائق.

والذي عليه أهل السنة والجماعة إمرار هـٰذه الصفات كغيرها كما جاءت مع اعتقاد معانيها، وتفويض كيفيتها، اعتقاد معانيها على الوجه الذي يليق بالله جل وعلا، واعتقاد تفويض كيفيتها إلى الله عز وجل.

فنمرها كما جاءت، ونثبتها على الأوجه الستة التي ذكرناها لكم عندما بدأنا في شرح هـٰذا الكتاب في باب الصفات.

فنقول:

أولا: إن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يجيء ويأتي للفصل بين الخلائق؛ لأن الدليل قد دل على ذلك.

ثانيا: نؤمن بأنها معنى حقيقيا ثابتا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ثالثا: نؤمن بأنه معنى حقيقيا يليق بالله جل وعلا.

رابعا:نؤمن بأن هـٰذا المجيء لا يشبه مجيء المخلوقين من أماكنهم إلى أماكن أخرى وإنما مجيئا يليق بجلاله وعظمته.

خامسا: لا نؤول المجيء بمجيء الأمر كما فعلت الأشاعرة وغيرهم من المتكلمين الذين قالوا: وجاء ربك؛ أي وجاء أمره، فإن هـٰذا قول فاسد وباطل؛ بل هو تعطيل لصفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

سادسا: نفوض كيفية هـٰذا المجيء إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وأما **المسألة الثانية** وهي العرض والحساب، فإنّ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- سوف يحاسب الخلائق بعد أن يعرض عليهم أعمالهم ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾[الحاقة:١٨]، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ

وَاللَّهُ رَءُوفُ بِالْعِبَادِ﴾[آل عمران:٣٠]، وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[يس:٥٤]، وقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في الحديث القدْسي الذي يرويه عن ربه جل وعلا أنه قال: "**يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**".[1]

والحساب على نوعين: حساب مناقشة، وحساب عرْض.

أما حساب العرض فإن صاحبه يدخل الجنة مباشرة بعد العرض وتقريره بذنوبه.

وأما حساب المناقشة فإنه يعقبه الهلاك، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**من نوقش الحساب عذب**" ولذلك كيف نجمع بينه وبين قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[الانشقاق:٧-٨]؟ الجمع بينهما أن عائشة -رَضِيَ اللهُ عنْها- سألت النبي عن ذلك فقال: "**إنما ذلك العرْض**"؛[2] يعني تُعرض أعماله عليه فيقال: فعلت يوم كذا كذا وكذا، وقد سترتها عليك في الدنيا وها أنا أغفرها لك اليوم.

فالمقصود بالحساب اليسير فهو العرض، وأما حساب العسير فهو المناقشة و"**من نوقش الحساب عذب**".

علما أن هناك من يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، ومنهم السبعون ألف الذين بشر بهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته.[3]

فتبين بهـٰذا أن مسألة الحساب والعرض يختلفان، الحساب اليسير هو العرض وتقرير أعماله مع أن الله قد غفرها له، وحساب المناقشة هو الذي يعقبه الهلاك والعذاب، عافانا الله وإياكم من ذلك.

[المتن]

وَتُوضَعُ الْمَوَازِينُ لِوَزْنِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ، ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[الأعراف:٨، المؤمنون:١٠٢]، وَيُؤْتَوْنَ صَحَائِفَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ: فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا، وَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَأُولَئِكَ يَصْلَوْنَ سَعِيرًا.

([1]) سبق تخريجه في الصفحة (٦٠).

([2]) **البخاري**: كتاب العلم، باب من سمع شيئا فراجع حتى يعرفه، حديث رقم (١٠٣).

مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب، حديث رقم (٢٨٧٦).

([3]) **البخاري**: كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب، حديث رقم (٦٥٤١).

مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، حديث رقم (٢١٦).

[الشرح]

تتضمن هـٰذه المسألة ثلاثة أمور:

الأمر الأول: الميزان.

الأمر الثاني: أحوال الناس بعد وزن الأعمال.

الأمر الثالث: الكتاب الذي يأخذه الإنسان يوم القيامة.

ونبدأ بالميزان؛ لأن الميزان قبل ذلك، وعقيدة أهل السنة والجماعة أن في الآخرة ميزان الأعمال[1]؛ يزن الله به أعمال العباد بصفة وكيفية لا يعلمها إلى هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقد أنكرت المعتزلة ومن على شاكلتهم الميزان، وقالوا: إنه لا يُعرف إلا ميزان البقال والفوال، فكيف نشبه الله بهؤلاء؟ وقولهم باطل؛ فإن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- قد بيّن الأدلة على ثبوت هـٰذا الميزان، وأن له كفتين، وأنه لا يمكن أن يكون فيه حيف ولا غش كموازين الحياة الدنيا، قال الله تعالىٰ: ﴿**فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ**﴾[المؤمنون:١٠٢-١٠٣]، وقال تعالىٰ: ﴿**فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١)**﴾[القارعة:٦-١١]، قال تعالىٰ: ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ**﴾[الأنبياء:٤٧]. فإذن ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ**﴾ هـٰذه أدلة صريحة لا تحتمل التأويل على ثبوت الميزان.

وصح عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الحديث الذي هو آخر حيث أورده الإمام البخاري في صحيحه «**كلمتان ثقيلتان في الميزان خفيفتان على اللسان حبيبتان إلى الرحمـٰن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**».[2]

وثبت في الحديث الصحيح عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان**».[3]

---

[1] قال الشيخ زيد المدخلي حفظه الله في شرحه على أصول السنة للإمام أحمد: وثبت في السنة المطهّرة أن أعمال العباد توزن، وصحائفهم توزن، وهم يوزنون، فالذي يوزن ثلاثة أشياء: العامل وعمله وصحيفته، وردت بذلك النصوص الصحيحة.

[2] **البخاري**: كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، حديث رقم (٦٤٠٦)، وهو أيضا آخر حديث في البخاري.
مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، حديث رقم (٢٦٩٤).

[3] **مسلم**: كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، حديث رقم (٢٢٣).

وثبت في الترمذي وغيره بالسند الصحيح في حديث صاحب البطاقة حيث «**إن الله سيخلِّص رجلا من أمّتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا، كل سجل منها مد البصر، يقول: أتنكر من هـٰذا شيئا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا ربّ، فيقول: أفلك عذر؟ فيهاب الرجل**» وينسى كل شيء، لأنه يرى هـٰذه السجلات متراكمة عليه والعياذ بالله- «**فيقال: بلى، إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها أن لا إلـٰه إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، فيقول احضر وزنك، فيقول: يا رب ما هـٰذه البطاقة مع السجلات، فقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء**»،[1] ويدخل الرجل الجنة، وهـٰذا من فضائل من مات على التوحيد، وعلى الإيمان الصادق، فإنه حري أن يُغفر له وأن تثقل موازينه بهـٰذا التوحيد.

إذن الأدلة صريحة على ثبوت الميزان ولا تحتمل التأويل بأي حال؛ بل هي واضحة صريحة.

الميزان له كفتان، وهل له لسان؟ ذكره بعض أهل العلم؛[2] ولكن لا يوجد حديث صحيح يدل على موضوع اللسان، وأما الكفتان فهما ثابتتان من خلال الأحاديث التي سمعتموها، كون البطاقة توضع في كفة والسجلات في كفة نص على أن للميزان كفتين، ونحن لا نقيس بموازين الدنيا، قد يكون له لسان الله أعلم؛ لأن هـٰذه المسائل غيبية، لا يقال فيها إلا بنص ثابت من الشرع.

هـٰذه أمور غيبية طواها الله عنا، لو لم يكن الآن ميزان لما اعترفنا به ولما اعتقدنا وجوده؛ ولكن لما بين الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أن ثمة ميزان يزن به أعمال العباد، والذي خلق كل شيء، والذي هو أعلم بكل شيء، فقادر على أن يحول الأعمال والأعراض إلى أشياء تثقل في الميزان، وإلى أشياء لها وزنها ولها ثقلها فيزنها كما يريد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والمسألة الثانية أحوال الناس عند أخذ الكتب، فمن آخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله، قال الله تعالىٰ: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا**﴾[الانشقاق:٧-١٢] والعياذ بالله لماذا؟ ﴿**إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ (١٤) بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا**﴾[الانشقاق:١٣-١٥].

---

[1] سبق تخريجه في الصفحة (٧٦).

[2] قال موفق الدين في لمعة الاعتقاد: **والميزانُ له كِفَّتانِ ولِسانٌ**.

وقال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ﴾[الحاقة:١٩-٢٠]؛ أي أيقنت بالحساب ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة:٢١-٢٤].

نسأل الله الكريم رب العرش الكريم أن يثقل موازيننا وإياكم، وأن يجعلنا ممن يأخذ كتبهم بأيمانهم، وأن يغفر لنا ويتوب علينا، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم

الاثنين ٥ ليلة ٦ رجب ١٤١٦هـ بعد صلاة المغرب

[المتن]

وَأَنَّ الصِّرَاطَ حَقٌّ، يَجُوزُهُ الْعِبَادُ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ؛ فَنَاجُونَ مُتَفَاوِتُونَ فِي سُرْعَةِ النَّجَاةِ عَلَيْهِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَقَوْمٌ أَوْبَقَتْهُمْ فِيهَا أَعْمَالُهُمْ.

[الشرح]

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعدُ؛ ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- الصراط، والصراط جسر ينصب على متن جهنم يقسمها إلى نصفين، مستقيم، وهو أدق من الشعرة، وأحد من السيف، يجوزه الناس عبر متن جهنم، وهم يتفاوتون في مرورهم على حسب أعمالهم:

فمنهم من يمر كالبرق الخاطف.

ومنهم من يمر كالريح.

ومنهم من يمر كجواد الخيل.

ومنهم من يزحف زحفا.

ومنهم من يصعد ويهوي تارة عافانا والله وإياكم.

ومنهم من يريد العبور فتخطفه كلاليب جهنم فيقع فيها، والعياذ بالله.

وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾[مريم:٧١].

ولذلك لما سألت حفصة -رَضِيَ اللهُ عنها- النبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ- لما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لن يدخل النار رجل بايع تحت الشجرة**»[1] فاستشكلت ذلك، وسألت النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقالت: إنه يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾[مريم:٧١]، فبيّن لها النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنّ المراد هو المرور على الصراط، وقال لها: «**ألا ترين أنه قال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾**[مريم:٨٢]» فاتضح بذلك أن المقصود

([1]) **مسلم**: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، حديث رقم (٢٤٩٦).
سنن الترمذي: كتاب المناقب، باب في فضل من بايع تحت الشجرة، حديث رقم (٣٨٦٠) ، واللفظ له.

بالورود هنا هو المرور على الصراط، والكل يمر، ولا يلزم من الورود الدخول، ولا يلزم من الورود أنها تنال منهم، فإن من كتب الله له النجاة فإنه يمر عليه خلال أقل من مقدار صلاة يؤديها مصل خفيفة.

لذلك فإن الأمر خطير وكلاليب جهنم عن يمينه وعن شماله، والواجب الاستعداد له والتزود بما يؤهلك للمرور عليه وعبوره والسلامة من كلاليب جهنم عافانا الله وإياكم منها.

وطريق النجاة إنما هو بالسير على هدي سيد المرسلين نبينا محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَفق منهج السلف الصالح، بعيدا عن الإفراط والتفريط والغلو والتقصير، والجدّ في ذلك، والعض عليه بالنواجذ، والثبات عليه إلى أن تلقى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

والموقف من وفقه الله في هٰذا الباب وغيره.

ولذلك يجب على المسلم أن يعمل ويدعو ويسأل الله الثبات، لذلك كان من دعاء النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في سجوده: «**يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك**»، [1] ودعاء المؤمنين وهم يجوزون الصراط «**اللهم سلم، سلم**»؛ [2] أي سلمنا من الوقوع فيها؛ لأنها عن أيمانهم وعن شمائلهم، يرونها رأْي العين فدعاؤهم وهم يعبرون «**اللهم سلم سلم**»، والسالم من سلمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيجب الاستعداد لتلك المواقف بالعمل الصالح الذي نُخلص فيه لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ونتابع فيه هدي إمامنا وقدوتنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يجوزه بسلام.

[المتن]

وَالإِيمَانُ بِحَوْضِ رَسُولِ اللَّهِ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] تَرِدُهُ أُمَّتُهُ، لاَ يَظْمَأُ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ [أبدًا]، وَيُذَادُ عَنْهُ مَنْ بَدَّلَ وَغَيَّرَ.

[الشرح]

ثم ذكر الإيمان بالحوض، ولعل الحوض والميزان كلها قبل الصراط، فذكره المصنف هنا لا يقتضي تقديما ولا تأخيرا، وإلا فإن الترتيب أن الحوض قبل الصراط ولاشك؛ لأن من نجا من الصراط لا يمكن أن يذاد عن الحوض؛ ولكن الحوض والميزان والشفاعة؛ الأشياء هٰذه كلها قبل الصراط قبل المرور على الصراط.

---

(1) **سنن الترمذي**: كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمٰن، حديث رقم (٢١٤٠)، قال الشيخ الألباني: صحيح.

(2) **سنن الترمذي**: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في شأن الصراط، حديث رقم (٢٤٣٢)، وقال: هٰذا حديث غريب. قال الشيخ الألباني: ضعيف.

وهـٰذا الحوض العظيم أخبر عنه النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بأنه: «**حوض طوله مسيرة شهر وعرضه كذلك وعدد آنيته عدد نجوم السماء وهو أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج من شرب منه شربة لا يضمأ منها أبدا**»[1]، نسأل الله أن يسقينا منه وأن لا يحرمنا. وأنه يشخب فيه ميزاب من الجنة، وأنه يأتي الناس يتدافعون يريدون الشرب منه.

والحوض فيه أحاديث متواترة المعنى، يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا فرطكم على الحوض، وإنه ليذاد عنه أقوام**» ومعنى «**فرطكم**» أسبقكم إليه وأولكم ورودا له؛ لأن الفرط معناه السابق، ثم إنه يذاد عنه أقوام؛ يدفع عنه أقوام يمنعون من الشرب منه فيقول: «**ربي أمتي أمتي** –وفي رواية– **أصحابي أصحابي. فيقال: إنهم ليسوا من أمتك إنك لا تدري ما بدلوا بعدك**» إنهم غيروا وبدّلوا فيقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: «**سحقا سحقا لمن غير وبدل**»[2]، ومعنى (سحقا) أي بُعدا؛ يتبرأ منهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والرافضة قاتلهم الله يحملون هـٰذا على أصحاب رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– الذين عاصروه ولقوه وآمنوا به وماتوا على ذلك؛ لأنهم يعتقدون أنهم ارتدوا. وهم أولى بهـٰذا اللقب والوصف. فالصحابة كلهم عدول ولا ينال منهم إلا منافق بيّن النفاق أو ملحد من الملاحدة؛ ولذلك يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تسبوا أصحابي فإنّ أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**»[3] وهم الذين قال فيهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ**﴾[التوبة:١٠٠]، وقال فيهم: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾[الفتح:١٨]، وقال فيهم: ﴿**رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ**﴾[الأحزاب:٢٣]، وقال فيهم: ﴿**لَقَد تَّابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ**﴾[التوبة:١١٧] فالواجب أن نحبهم وأن نواليهم، وأن نوالي من يواليهم، وأن نعادي من يعاديهم؛ لأنهم الذين قام بهم القرآن، وبه قاموا وبهم نطق الكتاب، وبه نطقوا، وهم الذين نقلوا إلينا هـٰذا الدين كما سمعوه من رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بكل أمانة وصدق وإخلاص و لم يدّخروا وسعا في تبليغ ما أمرهم الله به، وما أمرهم به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

([1]) **البخاري**: كتاب الرقاق، باب في الحوض، حديث رقم (٦٥٧٩).
مسلم: كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصفاته، حديث رقم (٢٢٩٢).

([2]) **مسلم**: كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصفاته، حديث رقم (٢٢٩٦، ٢٢٩٧).

([3]) **البخاري**: كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**لو كنت متخذا خليلا**))، حديث رقم (٣٦٧٣).
مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة، حديث رقم (٢٥٤١).

فمن اعتقد ارتدادهم فهو المرتد، ومن اعتقد كفرهم فهو الكافر، ومن اعتقد فسقهم فهو الفاسق، ومن نال منهم فهو الذي يجب أن ينال منه.

الصحابة -رضوان الله عليهم- بلا استثناء كلهم عدول، وكلهم قد زكاهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكفا بذلك تزكية.

ولذلك لا نخوض حتى فيما جرى بينهم من الأمور؛ لأن الخوض يجرِّئ على النيل منهم، وإنما نعتقد أن كلهم عدول، وكلهم مجتهدون، وأنهم مأجورون على اجتهادهم.

نعود إلى الحديث فيقول: "**أمتي، أمتي**" وفي رواية "**أصحابي**" وفي رواية "**أن عليهم آثار الوضوء**" يعني من أهل القبلة ويقال: "**إنهم غيروا وبدلوا، إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**" فيتبرأ منهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: "**سحقا، سحقا لمن غير وبدل**" فمن يبتدع في دين الله ما ليس منه فقد غيّر وبدّل، ومن أخضع الدين للعقل ينفي ويثبت كما يحلو له وكما يروق له، فقد أعظم على الله الفرية، فيتبرأ ممن غيّر وبدل في دين الله، يتبرأ منهم ويبتعد عنهم، وإذا تبرأ منهم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فلن ينالوا خيرا ولن يجدوا خيرا؛ لأن تبرؤ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- منهم ومن أعمالهم يدل على فساد تلك الأعمال، ويدل على سوء طوية، ويدلّ على مخالفة أمر الله وأمر رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور:٦٣].

فلذلك يجب الإيمان بالحوض وكل ما أخبر الله عنه من المغيّبات وأخبر عنه رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحريّ بأهل البدع والأهواء الذين يُدخلون في دين الله ما ليس منه أن يكونوا ممن يذادون عن الحوض، والعياذ بالله؛ لأنّهم في الواقع غيروا وبدلوا، غيروا دين الله وأدخلوا في ما ليس منه، وقالوا عن الله ما ليس فيه وافتروا على الله الكذب، وأحدثوا تشريعات من عند أنفسهم ما أنزل الله بها من سلطان، لذلك فإنهم خليقون بهـٰذا اللقب، وأنهم حريون بهـٰذا الأمر؛ أعني من المنع من الشرب من حوض رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، نسأل الله أن يسقينا منه شربة لا نضمأ بعدها أبدا.

[المتن]

وَأَنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَإِخْلاَصٌ بِالْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، يَزِيدُ بِزِيَادَةِ الأَعْمَالِ، وَيَنْقُصُ بِنَقْصِهَا، فَيَكُونُ فِيهَا النَّقْصُ، وَبِهَا الزِّيَادَةُ، وَلاَ يَكْمُلُ قَوْلُ الإِيمَانِ إِلاَّ بِالْعَمَلِ.

[الشرح]

لخص المصنف -رحمه الله- هنا عقيدة السلف في باب الإيمان، أو في تعريف الإيمان، وهو ينبني على دعائم ثلاثة: القول والعمل والتصديق، ولابد من تلازم هـٰذه الأمور الثلاثة وإلا فلا إيمان، قول باللسان، وتصديق بالقلب وعمل بالجوارح.

فلا يكفي التصديق عن القول، ولا يكفي القول عن التصديق، ولا يكفي العمل عن التصديق والقول، ولا يكفي القول والعمل عن التصديق، ولا يكفي العمل والتصديق عن القول، المهم أن هـٰذه الأشياء الثلاثة متلازمة.

ولذلك عرف السلف الإيمان أنه قول باللسان وتصديق بالجنان -الذي هو القلب- وعمل بالجوارح؛ أي: العمل بما أمر به -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بالعمل به.

وهناك تعريفات أخرى للإيمان عند الطوائف المنحرفة.

يقول بعض غلاة الصوفية: إن الإيمان المقصود به مجرد المعرفة، فيكفي الإنسان أنه يعرف ربه، عندها يكون مؤمنا، ولو لم يعمل شيئا من الطاعة.

يقولون: الإيمان هو مجرد المعرفة فإذا عرف الإنسان ربه، فإن هـٰذا يكفي في الإيمان ولو لم يقر به، ولو لم يعمل بمقتضاه، ومقتضى هـٰذا القول الفاسد أن يكون إبليس وفرعون مؤمنين أليس كذلك؟ لأنهم يعرفان الله قال تعالى عن فرعون: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[النمل:١٤]، وقال تعالى عن إبليس: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[ص:٨٢] فهو يعرف الله: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف:١٦] وهو يعرف الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ولكنه معرض عنه.

فهـٰذا مذهب فاسد وهو قول ابن عربي وأضرابه بأن الإيمان مجرد المعرفة، لذلك يقول ابن عربي قاتله الله: إن فرعون كان أهدى من موسى عندما قال: أنا ربكم الأعلى. لماذا؟ قال هـٰذا في فصوصه، وفصوصه مليئة بالمنكرات والمخالفات الشرعية.

إذن هـٰذا قول فاسد وتترتب عليه أقوال أفسد.

ومن قائل: إن الإيمان هو مجرد الإقرار وهم الجهمية وبعض المرجئة، ومقتضى قولهم هـٰذا أن يكون المنافقون مؤمنين؛ لأنهم يقرون في الظاهر وإن كانوا يجحدون في الباطن، ومقتضى هـٰذا التعريف الفاسد أن يكون المنافقون مؤمنين، وهـٰذا باطل؛ بل هو عين الباطل؛ بل من أبطل الباطل.

ومن قائل: إن الإيمان هو التصديق، وهـٰذا قول طوائف المرجئة وهم على ضربين.

منهم من يقول: الإيمان التصديق، ويرون أنه لا يضر مع الإيمان ذنب وهؤلاء غلاة المرجئة والجهمية، مرجئة جهم، وهؤلاء خطيرون جدا، وإذا وصل بهم إلى الاستحلال وارتكاب الذنوب يرون أن هـٰذا حلال، فإن هـٰذا يكون كفرا ينقل عن ملة الإسلام.

والطائفة الثانية مرجئة الحنفية، فهؤلاء يوجبون الأعمال ولكن يروها خارجة عن مسمى الإيمان، ولا يرون دخول الأعمال في مسمى الإيمان، ولا يرون دخول الإيمان في مسمى الإيمان، ويقولون: الإيمان وحده هو التصديق وحده، الإيمان هو التصديق فحسب.

وهؤلاء لنا معهم وقفة؛ لأن الطوائف الأولى سواء الذين يرون أن الإيمان مجرد القول والنطق، أو الذين يرون أنه مجرد المعرفة، أو الذين يرون أنه مجرد الإقرار، أو الذين يرون أنه مجرد التصديق، ويرتبون عليه أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، فهؤلاء المرجئة وقد سبق أن تكلمنا عنهم.

ولكن لنا وقفة يعني قصيرة مع مرجئة الحنفية، هم يرون وجوب الأعمال لا يرون سقوط الأعمال، ومع ذلك لا يدخلونها في ماهية الإيمان ويرون أنها ليست من أركان الإيمان.

وهـٰذا القول قول فاسد أيضا، ولذلك رتبوا عليه مسألة خطيرة، وهي أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص؛ بينما عقيدة أهل السنة أن الإيمان يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والأدلة قائمة على هـٰذا سنذكرها إن شاء الله تعالىٰ.

ولكن من المهم أن نعلم أنهم يرون أنّ الإيمان هو مجرد التصديق وأن أهله في أصله سواء، وهـٰذا باطل.

وهـٰذا من الأخطاء التي وقع فيها حتى الإمام الطحاوي -رحمه الله- في عقيدته الطحاوية عندما قال: وأهله في أصله سواء. وعندما قال: الإيمان هو التصديق.

فلا يمكن أن يقارن إيمان مثل أبي بكر الذي أخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن وقر في قلبه وقال: «**ما طلعت الشمس على أفضل من أبي بكر**»[1] وبين سائر الناس ولو كانوا أكثر منه عبادة وأكثر منه زهادة حتى ولو وجد صنف من الناس فإنهم لم يبلغوا عشر معشار أبي بكر الذي أخبر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه: «**ما طلعت الشمس على أفضل منه**» رَضِيَ اللهُ عنْهُ وأرضاه.

وهؤلاء متمسكون بلفظة التصديق قالوا: الإيمان هو التصديق. والإيمان قد يكون مرادفا للتصديق، وقد يكون على غير التصديق.

فإذن الحنفية تصوّروا أن الإيمان متساوٍ عند جميع المسلمين، وهـٰذا تصور فاسد ومعارض للنصوص.

والله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- دائما يصف المؤمنين بأوصاف كثيرة منها العمل الصالح، منها ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ**﴾[يونس:٩]، ﴿**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾[ص:٢٤]، ﴿**لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[المائدة:٩٣]، دخل العمل في الإيمان.

---

[1] أورده شيخ الإسلام في كتاب الفرقان.

ولذلك جاء في حديث وفد عبد قيس تعريف الإيمان بالأعمال الظاهرة، قال: «**أتدرون ما الإيمان؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس**»[1] فأطلق الإيمان على العمل.

وأيضا أخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أن الإيمان بضع وسبعون شعبة** –وفي رواية– **بضع وستون شعبة**[2]– **أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق. والحياء شعبة من الإيمان**»[3] فدل هذا على إطلاق الإيمان على العمل، وليس الإسلام الظاهر فقط هو الذي يدل على العمل؛ بل إنّ الإيمان هو الذي تصحّ الأعمال من خلال صحته وتفسد بفساده، فالإيمان ليس مجرد التصديق، وإنما الإيمان ينطبق على هذه الشعائر الثلاث القول والعمل والاعتقاد.

وإذا كان الإيمان قد أطلق على الأعمال، فإن الناس يتفاوتون في هذا، والإيمان يزيد وينقص كما بينا، ويدل على زيادته قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾[الأنفال:٢]، وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا**﴾[المدثر:٣١]، وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى**﴾[محمد:١٧]، وقوله تعالى: ﴿**وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**﴾[الكهف:١٣] والآيات كثيرة فإن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

ولذلك جاء في الحديث أن الإيمان قد يتلاشى فيكون أقل من الذرة، ومن هنا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يخرج من النار من كان في قلبه أدنى من مثقال ذرة من إيمان**».[4]

فدل هذا على أن الإيمان يزيد وينقص.

وأما دعواهم أن زيادته كفر ونقصه نفاق أو فسوق، فإن هذا مما لا طائل تحته؛ بل هو قول باطل يمكن لأي واحد أن يقول مثل هذه الدعوة؛ لكن العبرة بما دل عليه الدليل، والعبرة بإقامة الحجة.

وأما ما يرددونه من أحاديث في هذا الباب من عدم زيادة الإيمان ولا نقصه، فهي أحاديث باطلة لا يصح شيء منها، ولذلك قال: شعبة في رواية أحدها وهو أبو المهزم قال: لو أعطوه فلسا لوضع لهم سبعين حديثا، والعياذ بالله.

---

(1) **البخاري**: كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان، حديث رقم (٥٣).
مسلم: كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..، حديث رقم (١٧)

(2) أنظر أيضا **البخاري**: كتاب الإيمان، باب أمور من الإيمان، حديث رقم (٠٩).

(3) **مسلم**: كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، حديث رقم (٣٥).

(4) سبق تخريجه في الصفحة (٧٦).

فإذن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، والأعمال داخلة في مسمى الإيمان، والإيمان لا يصح إلا بالمتابعة.

[المتن]

وَلاَ قَوْلَ وَعَمَلَ إلاَّ بِالنِّيَّةِ، وَلاَ قَوْل وَلا عَمَلَ وَنِيَّةٌ إلاَّ بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ.

[الشرح]

بعد أن بين دعائم الإيمان التي ينبني عليها ذَكَر النية ويعني بها الإخلاص (**وَلاَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ إلاَّ بِالنِّيَّةِ**)، «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**»[1] هكذا يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هنا أشار المصنف إلى أمرين:

الأمر الأول: أنه لا قول ولا عمل إلا بنية؛ أي لا بد من الإخلاص.

والأمر الثاني: أنه لا بد من الموافقة والمتابعة وهي أن يكون العمل موافقا لهدي وسنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهـٰذا يذكرنا بشروط قبول العمل، وهو أن أي عمل نريد أن نتقرب به إلى ربنا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- فإنه لا بد أن يكون:

- خالصا لوجه الله.
- وصوابا على منهج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهـٰذان الشرطان متلازمان، لا ينفك أحدهما عن الآخر، فلا إخلاص بلا متابعة، ولا متابعة بلا إخلاص.

فالإخلاص عظيم وعزيز، قد يفتقده كثير من الناس، وهو عمل قلبي لا إطلاع لأحد عليه إلا الله.

لذلك كل واحد منا أدرى بنفسه فيما إذا كان مخلصا أم -والعياذ بالله- العكس.

وكذا الاقتداء برسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ويدل على وجوب الإخلاص قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ**﴾[الزمر:٢]، ﴿**قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ**﴾[الزمر:١١]، ﴿**أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾[الزمر:٣]، وقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته لله ورسوله**

---

[1] **البخاري**: كتاب بدأ الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... حديث رقم (٠١).

مسلم: كتاب الإمارة باب قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما الأعمال بالنية وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال. حديث رقم (١٩٠٧).

فهجرته لله ورسول، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[1]، ويقول رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيما يرويه عن ربه جل وعلا: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه غيره تركته وشركه**»،[2] ولما سأل أبو هريرة -رَضِيَ اللهُ عنْهُ- قائلا: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**من قال: (لا إله إلا الله) خالصا من قلبه**».[3]

وأما المتابعة والموافقة المقصود بها الاقتداء بالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في أفعاله وأقواله وتقريراته قال الله تعالىٰ: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ**﴾[الأحزاب:٢١]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾[الحشر:٧]، ويقول سبحانه وتعالىٰ: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**﴾[المائدة:٣]، ويقول عز وجل: ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ**﴾[التوبة:٢٤].

فإذن لا بد من وجود الإخلاص والمتابعة معا؛ لأن هذين الشرطين لا ينفك أحدهما عن الآخر.

فالواجب علينا أن نتأسى برسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في أقواله وأفعاله وتقريراته وأن نجتهد فيما يقربنا إلى الله عز وجل.

نسأل الله -عز وجل- أن يأخذ بأيدي الجميع لما يحب ويرضى، وأن يرزقنا الإخلاص والمتابعة، والسير على منهج السلف الصالح، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

---

(1) سبق تخريجه في الصفحة (١٠٣).

(2) **مسلم**: كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، حديث رقم (٢٩٨٥).

(3) **البخاري**: كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، حديث رقم: (٩٩).

[الأسئلة]

سؤال (١٢): **البعض يرون العمرة في رجب لها فضل كبير، ويرون أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أسري به في رجب، فهل هـٰذا صحيح؟**

الجواب: هـٰذا السؤال يذكرنا بأشياء أخرى، فجزى الله السائل خيرا.

ليس لشهر رجب أي ميزة على بقية الأشهر سوى أنه من الأشهر الحرم، ولم يخص شهر من هـٰذه الأشهر بأي عبادة معينة، لا من باب الصوم، لا صوم ولا صلاة تخص رجب ولا حفلة في يوم معين، ولا عيد في يوم معين في رجب؛ لأن العيد في الإسلام ثلاثة عيد الفطر وعيد الأضحى وعيد الأسبوع الذي هو يوم الجمعة.

وما زاد من أعياد أخرى سواء جعلوها في السابع والعشرين من شهر رجب أو الثاني عشر أو الخامس عشر من شعبان أو ما إلى ذلك، فتلك أعياد ليس عليها دليل لا من كتاب الله -تعالى- ولا من سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فإذن لا تخصيص لشهر رجب لأية عبادة كانت.

والحديث الذي يردده العوام (رجب شهركم، وشعبان شهري ورمضان شهر الله) هـٰذا حديث باطل؛ بل موضوع.

فإذن لا بد أن لا نخصص شيئا لعبادة معينة إلا إذا كان رسول الله قد خصصها، ولم يخصص شهر رجب بأية عبادة.

وبعض الناس تأخذه العادة ويسمع بعض الوعاظ يرددون بعض الأحاديث المختلقة والمكذوبة في فضل رجب وفي فضل شعبان والنصف من شعبان، وكل هـٰذا لا يصح، ولو رأينا بعض الوعاظ والخطباء يرددون هـٰذه الأحاديث المكذوبة والمختلقة عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والتي لا تصح بأي حال بوجه من الوجوه.

ولذلك نقول: إنه لم يرد تخصيص رجب لا بعمرة ولا بصيام ولا بصلاة ولا بحج ولا بعيد مولد...

بسم الله الرحمن الرحيم

الاثنين ١٩ ليلة ٢٠ رجب ١٤١٦هـ بعد صلاة المغرب

[المتن]

وَأَنَّهُ لاَ يَكْفُرُ أَحَدٌ بِذَنْبٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَة.

[الشرح]

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال رحمه الله: (**وَأَنَّهُ لاَ يَكْفُرُ أَحَدٌ بِذَنْبٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَة**)، هـٰذه العبارة تأكيد لما سبق؛ لكن الأوْلى أن يقيّده كما قيده الإمام الطحاوي وغيره من السلف الصالح بقوله (ما لم يستحله) ، فتصبح العبارة: (ولا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب من أهل القبلة ما لم يستحله) [1] فإذا استحله بعد معرفته الدليل والحكم وقيام الحجة، فإنه إذا استحل أمرا مما هو معلوم من الدين بالضرورة فالذي عليه أهل السنة أنه يكفر، وأما إذا فعل الذنب معترفا بذنبه، معترفا بخطيئته، عارفا بأنه مخطئ في ذلك ويتمنى لو أنه لم يفعل فإن هـٰذا لا يكفر، وإنما يُخاف عليه ويذكر لعله يزدجر، ولا يكفّر كما تفعل الخوارج والمعتزلة، كما أسلفنا في الدرس الماضي من أن الخوارج يكفرونه صراحة فيخرجونه من الإسلام ويستحلون دمه وماله، وأن المعتزلة يقولون: إنه في مترلة بين المترلتين في الدنيا؛ أي في الدنيا ليس بمؤمن وليس بكافر؛ ولكنه في الآخرة خالد مخلّد في النار.

أما أهل السنة والجماعة فإنهم يقولون: إنه مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، أو مؤمن ناقص الإيمان، أو لم يبلغ درجة الإيمان الواجب. هـٰذه العبارات المعروفة عند السلف.

وأما عقيدة الخوارج والمعتزلة فقد بيناها غير مرة، وأنها عقيدة مباينة لمنهج القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ولذلك فإنّ رأيهم خارج عن رأي أهل السنة والجماعة؛ بل هم ليسوا من أهل السنة والجماعة كما هو معروف.

---

[1] قال الشيخ صالح آل الشيخ في العقيدة الطحاوية بعد أن ساق قول الطحاوي: يعني أن أي ذنب لا يُكَفَّر به حتى يستحله، وهذا ليس هو معتقد أهل السنة والجماعة على هذا الإطلاق وإنما يعبرون بتعبير آخر وهو مراد الطحاوي يقولون –كما يقوله طائفة من أئمة الدعوة–: **لا نكفر أحدا من أهل القبلة بمجرّد ذنب**، أو **لا نكفر أحدا من أهل القبلة بكلّ ذنب**. كما يقوله أيضا طائفة من العلماء المتقدّمين ومنهم شارح الطحاوية تبعا لغيره.

وهؤلاء لهم الآن أذناب تنتشر في هـٰذا العصر وفي هـٰذا الزمان من أنصاف المتعلمين وأشباه المتعلمين، وهم أناس لم يرجعوا في علمهم إلى العلماء كما أمرهم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بذلك ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[النساء:٨٣].

والمقصود بهم في عهد الرسول هو الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه، ثم بعد ذلك المقصود هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، الذين زهد كثير من الناس فيهم في هـٰذا الزمان، نحن أصبحنا في زمان تصدّر للفتوى كثير ممن ليسوا أهلا لها، وتطفل عليها كثير من المتطفلين الطفيليين من الشباب الذين تزببوا قبل أن يتحصرموا -كما يقال- فنصبوا أنفسهم مفتين ومؤلفين.

مثل الآن طالع علينا كتاب جديد لواحد **طبيب**، ليس متخصصا في الشرع ينكر عذاب القبر، وينكر كثيرا من المسائل، وينكر الحجاب، وينكر كثيرا من الغيبيات، ويقول: إنه عن طريق العلم توصل إلى هـٰذه الحقيقة، ويقول: ينظر إلى القبور يقول: افتحوا جميع القبور وانظروا هل يوجد فيها أحد يعذب أو ينعم؟ فهو مسكين أوتي من قبل أنه لا يؤمن بالغيب.

وما أكثر المفتين الآن، الآن يأتي بعض الناس يكفرون المسلمين بأي ذنب؛ بل ربما بدون ذنب وإنما بمجرد مخالفتهم لمنهجهم الذي هم عليه، لا شك أن هـٰذه الآراء وهـٰذه الأفكار دخيلة على الإسلام ودخيلة على أهل السنة؛ بل إن الخوارج القدامى على ما عندهم من اعتقاد بتكفير الأمة وإخراجهم من الإسلام، إلا أنهم أصدق من التكفيريين المعاصرين؛ لأن التكفيريين المعاصرين يستحلون الكذب ويرونه قربة؛ مثل التقية عند الرافضة فهم في الوقت الذي يكفرون فيه الناس يستحلون الكذب، ومن استحل الكذب عند قيام الحجة عليه فهو كافر.

إذن هم أولى بهـٰذا الحكم، إذا كانوا يعلمون الحكم، وإذا كانوا من أهل الشبه، نسأل الله أن يبصرهم ولا شك أن كثير منهم جهال؛ بل أجهل من حمار أهله، يأتي ويتطفل على العلم، ويدعي أنه لا يحتاج.

مثلا قبل ثلاث سنوات ظهر عندنا واحد يعمل على الكمبيوتر جاء من بلد ما وعاش فترة في وظيفته ثم أخذ يسرق المخطوطات ويؤلف ويتطفل على العلم ويتنقّص العلماء واخترع له مذهبا جديدا وهو التبديع والتفسيق والتكفير من وجهة نظره هو فقط، فصار جرثومة أخرى أضيفت إلى تلك الجراثيم التي تطالعنا بين الفينة والأخرى في هـٰذا الزمان.

لما سئل هـٰذا الرجل الذي أشرت إليه لم لَم تدرس على أهل العلم؟ قال: إنه لا يريد أن يضيع وقته. طيب يا شيخ إذا رحت عند ابن باز وعند الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ودرست على الشيخ صالح الفوزان، على الشيخ الغديان، على الشيخ عبد المحسن، على المشايخ الأفاضل، الشيخ محمد أمان، الشيخ

ربيع؟ قال: لا ما أريد أن أضيع وقتي، ما شاء الله، ما يريد أن يضيع وقته؛ لكن يريد أن يضيع وقته في التلفيق وفي الخلط، وفي ضرب أقوال السلف بعضها ببعض وفي عدم الفقه في الدين.

وإذا سئل أتى بما لم تأت به العوام، وتسمع منه غرائب وعجائب من التبديع والتفسيق والتكفير، كما يحلو له وكما يروق لزبالة فكره المريض.

ففكر هؤلاء يجب أن يتصدى لهم، وأن يقوم العلماء بالرد عليهم؛ لأنهم فتنوا صغار الشباب، وانخدع بهم كثير منهم واتبعوهم في نحلتهم هـٰذه.

وهـٰذا زمن الأعاجيب، كل يوم تخرج علينا نحلة وجماعة جديدة تتسمى باسم جديد، والاسم إذا نظرت إليه ربما كان اسما إسلاميا، ويتمسح بالإسلام؛ ولكن إذا نظرت إلى التطبيق والمبادئ والمنهج والأسس تجدها مناهضة كل المناهضة ومجانبة كل المجانبة، لعقيدة الإسلام.

إذن عقيدة أهل السنة -نعود إلى عبارة الشيخ- أنه لا يكفَّر أحد بذنب ما لم يستحله، وحبذا لو أن الشيخ قيد بهـٰذا القيد لكن هو يعني ذلك، ولو لم يقيده رحمه الله.

بالمناسبة ما يتعلق بأمور التكفير أمرها خطير جدا، ولا بد فيها من ملاحظة شروط وموانع؛ من شروط التكفير للمكفر بروز وظهور الحجة وبلوغها، هـٰذا إذا كان الشخص مسلما طبعا وصدر منه ما صدر مما يظن أنه كفر، لا بد من وجود من بلوغ الحجة، ولا بد من فهم الحجة أيضا، ولا بد من انتفاء الشبه أيضا، ولا بد من انتفاء الموانع كالإكراه ووجود الشبهة وعدم وضوح الدليل، وما إلى ذلك.

فلا نتسرع، ومن أرد أن يتوسع في هـٰذا فإن لشيخ الإسلام -رحمه الله- كلام جيد مبسوط في كتبه حول هـٰذه القضايا، فلا بد من وجود الشروط وانتفاء الموانع.

من هـٰذه الشروط -كما قلت بلوغ الحجة- وزوال الجهل يعني العلم وفهم النص، وعدم الاستحلال للكبائر مثلا أو نحو ذلك.

وجود المانع، أو زوال الإكراه أيضا، زوال الشبه التي انقدحت في ذهنه.

وهنا نقف وقفة هناك تتردد كلمات تقول: إنه ليس هناك كفر إلا الكفر الاعتقادي. وربما فهم بعض الناس من بعض أهل العلم ذلك فهما خاطئا، وهـٰذا ليس بصحيح، الكفر فيه كفر عملي وكفر اعتقادي.

الكفر الاعتقادي مطلقا يخرج من الملة، والكفر العملي يختلف منه ما هو مخرج ومنه ما لا يخرج من الملة، فمثلا السجود للصنم، سب الله ورسوله، الاستهزاء بالدين، سب الرسل، سب الدين هـٰذا لا شك أنه كفر عملي مهما قال صاحبه، لابد أن يسلم من جديد.

وهناك أشياء، الكفر العملي سماه الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كفرا وهي كفر دون كفر، مثل الطعن في الأنساب، والاستسقاء بالأنواء، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اثنتان من الناس هما بهما كفر الطعن في الأنساب والنياحة على الميت**».[1]

والمقصود كفر دون كفر، مثل قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»[2] أي كفر دون كفر، أو كفر لا ينقل عن الملة، ومثل ما يتعلّق بالحكم بغير ما أنزل الله إذا لم يصل حد الاستحلال، أو حد اعتقاد أن حكم الله لم يعد يصلح، أو أن حكم غير الله مساوٍ لحكم الله، أو أن حكم القانون أفضل أو مساوٍ، أو استحله بأي وجه من وجوه الاستحلال، فهنا يكون كافرا بلا شك ولا ريب.

وأما من حكم بهواه مع اعترافه بمعصيته وخطئه، أو حكم تحت ظروف معينة -يعني غلبه هواه أو منصبه -والعياذ بالله- وما استطاع التخلص من هذا الذنب، فلا شك أنه على خطر، وأن عمله فضيع، وأنه فاسق وأنه على خطر عظيم؛ لكن لا نحكم عليه بكفر كما نسمعه من بعض الجماعات القائمة بالساحة، والجماعات التي لا همّ لها إلا التركيز على الجوانب السياسية سالكة منهج القرآن والسنة وراء أظهرها، فليس لهم همّ إلا تكفير فلان وعلان، ولا يرجعون إلى منهج السلف في هذا الباب؛ في مسألة الحكم بغير ما أنزل الله.

والحكم بغير ما أنزل الله له خمسة أحوال:

الحال الأولى: إذا حكم بعد اجتهاده وهو أهل للاجتهاد فأخطأ الحكم، فهذا مأجور، عالم اجتهد واستخدم كل وسائل الاجتهاد، ثم أخطأ حكم الله، فهذا مأجور وإن أخطأ.

الثانية: رجل جاهل، وحكم بغير ما أنزل الله يظن أنه حكم الله؛ ولكنه لم يكلف نفسه الرجوع إلى أهل العلم أو البحث في مسائل العلم، فآثر الدعة والراحة فهذا ما حكمه؟ هو لا يكفر؛ لكن هل يسلم من الإثم؟ هو آثم بتركه البحث عن الحكم الشرعي؛ يعني آثر الحكم بالجهل وباستطاعته أن يجد الحكم بما أنزل الله، فهذا آثم عاص.

والثالثة رجل يعرف الحكم ولكن غلبه وهواه، وغلبته شهوته أو غلبه منصبه أو نحو ذلك، فحكم بغير ما أنزل الله ولكنه يعترف بأنه مذنب، ويعترف أن حكم الله هو الحق، ويعترف أن حكمه هذا ليس

([1]) **مسلم**: كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة، حديث رقم (٦٧).

([2]) **البخاري**: الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، حديث رقم (٤٨).

مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**))، حديث رقم (٦٤).

حكما لله، ويعترف بمعصيته فمثل هـٰذا آثم وفاسق وعاصٍ كسائر مرتكبي الكبائر الذين لا يخرجون من الملة ما لم يستحلوها.

إذن هؤلاء ثلاثة.

أحدهم: مأجور وهو الحاكم المجتهد الذي أخطأ، المسلم المجتهد العالم أخطأ في حكمه، فهـٰذا مأجور وإن أخطأ، «**إن الحاكم إذا اجتهد فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد**»[1] المقصود بذلك العلماء وطلاب العلم الذين يعرفون طرق الاستنباط.

والثاني: حكم بالجهل، هـٰذا آثم سواء أخطأ أو أصاب حتى لو أصاب فهو آثم لكونه لم يكلف نفسه أن يتعلّم وأن يتفقه في الدين، فحكم هـٰذا لا ينفعه؛ بل هو آثم لكن لا نكفره؛ لأنه ما أنكر حكم الله.

انتبهوا لهـٰذا التفصيل فقد زلت فيه كثير من الأقدام خصوصا في هـٰذا الزمان.

الثالث: رجل حكم بغير ما أنزل الله، وهو يعتقد أنه عاص، ويعتقد أن حكم الله هو الحق وأن حكم الله هو الملائم في كل زمان ومكان، ويعتقد أنه مخطئ في فعله هـٰذا وأنه مذنب.

حكم بغير ما أنزل الله معترفا بخطئه، معترفا بمعصيته، معترفا بذنبه، معترفا بأن حكم الله هو الحق، غلبه هواه، الحكم أنه مؤمن عاص أو مؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، أو يعني ليس عنده أو لم يبلغ درجة الإيمان الكامل، فهـٰذا هو حكمه سواء حكم بمسألة أو في أكثر من مسألة.

ولا حجة لمن فرق فيمن يخطئ أو فيمن يحكم في مسألة ولا يحكم في أخرى، وشأن الذي يحكم بأكثر من مسألة شأن الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر عافانا الله وإياكم، فهؤلاء فسقة وهم مرتكبون للكبائر ولا شك أنهم على خطر، لا يفهم أحد أننا نهون من شأن المعاصي، المعاصي أمرها خطير، وقد يتساهل فيها العبد حتى يستحلها فيكفر والعياذ بالله؛ وهي بريد الكفر؛ لكن لا نقول مثلما تقول الخوارج أو التكفيريين المعاصرين: إن من ارتكبها مع اعترافه بذنبه أنه يكون كافرا؛ بل هو مؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته.

نبدأ في قسم آخر ممن حكم بغير ما أنزل الله.

الرابع: رجل حكم بغير ما أنزل الله معتقدا أنه لا فرق بين حكم الله وحكم غيره، لا فرق أن يحكم بالقانون الفرنسي أو بالشرع الإسلامي، من اعتقد التسوية فهو كافر قولا واحدا؛ يعني سوى بين حكم الله

([1]) **البخاري**: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، حديث رقم ٧٣٥٢.
مسلم: كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، حديث رقم ١٧١٦.

وحكم غيره؛ يعني لو قال قائل: ما فيه فرق أن نحكم بالقانون الفرنسي أو الأمريكي أو البريطاني أو الروسي أو أن أحكم بالقرآن والسنة، لو قال هـٰذا الكلام أو اعتقده فما حكمه؟ لا شك في كفره.

الخامس: رجل حكم بغير ما أنزل الله معتقدا أن حكم الله لم يعد صالحا وأن حكم القانون أفضل من حكم الله، فهـٰذا أيضا حكمه أنه كافر قولا واحدا ولا شك في كفره.

فانتبهوا إلى هـٰذا التفصيل يا إخواني، ولذلك قال ابن عباس في تفسير الآية: ﴿**فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)**﴾[المائدة:٤٤]، ﴿**فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥)**﴾[المائدة:٤٥]، ﴿**فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧)**﴾[المائدة:٤٧]، قال: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق. وهو يعني هـٰذا التفصيل، وارجعوا إلى كتب السلف، وإلى كلام ابن تيمية، وابن كثير، وغيرهم من السلف الصالح الذين تكلموا في هـٰذا الباب وأشبعوه بحثا.

ولا نلتفت إلى من يطلق الكفر على المسلمين بمجرد أن يجد خطأ عندهم بالحكم بما أنزل الله، أو أن يكفر المسلمين قاطبة سواءً أسرّ ذلك في نفسه كما يقوله أصحاب المفاصلة الشعورية، أو أعلن ذلك كما يقوله المعلنون؛ يعني الذي يدخل في الإسلام بيقين لا يُخرج منه إلا بيقين.

أما تأتي إلى مسلم وتكفّره؛ يعني الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله سُئل لما ظهرت بعض الدعاوى الباطلة من قِبل أعداء العقيدة أنه يكفر المسلمين ويستحلّ دماءهم وأموالهم قال لهم مجيبا: أنا لم أكفر ذلك الذي يطوف بالبدوي والجيلاني والشاذلي والنقشبندي -رغم أن هـٰذا العمل شرك- لم أكفره قبل إقامة الحجة عليه، فكيف أكفر مسلما يشهد أن لا إلـٰه إلا الله وأن محمدا رسول الله ويطبق تعاليم الإسلام.

لكن لا يفهم أحد من هـٰذا أن التعلّق بهؤلاء جائز؛ بل التعلق بهم شرك؛ لكن بقي أن يقال: الذين يفعلون هـٰذا الفعل: هل قامت عليهم الحجة أم لم تقم؟

إن كانت الحجة قائمة عليهم فهم مشركون خارجون من حضيرة الإسلام.

وإن كانوا لم يعلموا ذلك و لم تقم عليهم الحجة فيوكل أمرهم إلى الله تعالىٰ.

فانتبهوا هـٰذه القضايا خطيرة وكثير من الناس زلّت قدمه فيها وشطح ووقع في ملابسات خطيرة.

فنقف عند هـٰذا الحد، ونرجئ بقية الدرس إلى درس قادم.

[الأسئلة]

سؤال (١٣): **ماذا يفعل الذين لا يرون أن الأعمال من الإيمان، ماذا يفعلون بالأحاديث الصريحة في هـٰذا الباب والآيات الواضحة في القرآن؟ أليسوا يقرؤون القرآن ويعرفون الأحاديث، إذن قامت عليهم الحجة؟**

الجواب: ماذا يفعل الذين يرون أن الأعمال ليست من الإيمان -تقصد المرجئة-، وهم يقرؤون القرآن ويقرؤون الحديث أليس بهـٰذا قد قامت عليهم الحجة؟

ليس كل من قرأ القرآن وقرأ الأحاديث يفقه ذلك، ولذلك ربما يقرأ ولا يفقه، وإلا لو طبّقنا هـٰذا المبدأ لطبقنا على كل من يخالف الكتاب والسنة وحكمنا عليه بالكفر؛ ولكن كثير من الناس قد غلفت قلبه البدع والشبه فأصبح لا يميز بين الحق والباطل، ولا بين السنة والبدعة، ولا بين الغث والسمين، اختلط عليه الأمر.

يقضى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

فهؤلاء المرجئة إن كانوا من الغلاة الذين يرون سقوط التكاليف الشرعية، فهؤلاء كفار لا إشكال في كفرهم.

وإن كانوا من مرجئة الفقهاء -كما يقال- الذين يرون وجوب الأعمال؛ ولكن يقولون: إنها ليست ركنا من أركان الإيمان، أو ليست من ماهيته، فيقصرون الإيمان على التصديق. فهؤلاء مبتدعة، فالأعمال جزء لا يتجزأ من الإيمان يدل لذلك الآيات الكثيرة التي ذكرت مسائل الإيمان: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾[العصر:٣]، ﴿**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ**﴾[الانشقاق:٢٥]، ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا**﴾[الكهف:١٠٧] فقلّ أن يذكر الإيمان إلا ويقرنه بالعمل الصالح.

وحديث وفد عبد القيس لما سئل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سألهم: «**أتدرون ما الإيمان؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**الإيمان أن تشهد أن لا إلـٰه إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتؤتي الخمس من المغنم**»،[1] فقد أطلق الإيمان على العمل.

وقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**».[1]

([1]) سبق تخريجه في الصفحة (١٠٢).

والذين ذكروا شعب الإيمان ممن كتب فيها -أمثال البيهقي والحليمي- كلهم عدّوا الأعمال من شعب الإيمان كما بينها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولذلك فإن مرجئة الفقهاء هؤلاء مبتدعة.

أما المرجئة الغلاة الذين رتّبوا على هـٰذا استحلال ما حرم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ استحلالا مطلقا، لا شك أن هؤلاء أصلا منحلّون من الشريعة ولا شك في كفرهم.

أما من التبست عليه مسألة ما؛ وحصل عنده فيها شبهة، فهـٰذا لا يكفر، وإنما يوضح له الأمر.

مثل ما حصل في قصة الجماعة الذين استحلوا الخمر واستدلوا بالآية الكريمة: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[المائدة:٩٣] بينوا لهم الأمر حتى رجعوا عن قولهم، ولم يقولوا: جدّدوا إسلامكم فإنكم كفرتم؛ لأنهم أصحاب شبهة.

ولابد من التنبه، فإن إزالة الشبهة على من شبه عليه أمر ما لابد منه، وإلا لو لا وجود هـٰذه الشبه لقلنا لكل من أنكر صفة من صفات الله أو أوّلها: إنه كافر خارج من الإسلام، أمثال الأشاعرة والماتريدية؛ لكن نحن ما نقول ذلك؛ لأنهم أصحاب شبه انطلت عليهم وحالت بينهم وبين سماع الحق.

والشبه إذا أُشربت بها القلوب فإنه قلَّ أن يرجع عنها صاحبها، كما قال تعالى عن بني إسرائيل: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾[البقرة:٩٣] ويقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن أصحاب الأهواء: "**فليس لأحدهم إلا ما أُشرب من هواه**"، ولذلك قال: "**تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه**" [٢] والعياذ بالله؛ يعني تجري بهم الأهواء وتجري بهم الأمور والبدع والمنكرات حتى يرون حسنا ما ليس بالحسن.

سؤال (١٤): **السلام عليكم ورحمة الله، القسم الرابع والخامس هل يحكم عليه مباشرة بالكفر، أم لابد من إقامة الحجة وانتفاء الشبهة؟**

الجواب: القسم الرابع والخامس، إذا كان يعيش في بلاد الإسلام، والعلم قائم والعلماء قائمون، ثم أصر على وضعه، فأرى أن الحجة قائمة عليه، والأمر واضح؛ يعني إذا قرأ القرآن وقرأ السنة ثم قال: لا؛ القرآن

=

(١) سبق تخريجه في الصفحة (١٠٢).

(٢) **مسند أحمد** (بتحقيق أحمد شاكر حمزة الزين)، حديث رقم (١٦٨٧٦).

سنن أبي داوود: كتاب السنة، باب شرح السنة، حديث رقم (٤٥٩٧)، قال الشيخ الألباني: حسن.

ما يصلح للتطبيق. أو قال: السنة لا تصلح للتطبيق. أو قال: هـٰذا الحكم رجعي، خلاص لم يعد صالحا. هـٰذا الأمر خطير جدا.

أرى أن الحجة قائمة.

وإذا كان في بلد كفر فبعض الأقليات المسلمة التي لا تعرف من الإسلام إلا اسمه، هؤلاء يوكل أمرهم إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ.

سؤال (١٥): **هل من قال كلاما ظاهره الكفر، وهو لا يعتقد ذلك، هل يكفر بذلك كمن يقول: الله لا يعلم الغيب، إن حكم الكفار أحسن من حكم الله ؟**

الجواب: هـٰذا كفر، هـٰذا تهكّم بالدين واستهزاء، ودعوى أن الله لا يعلم الغيب، أو سب الدين، أو أن قول أن حكم البشر أفضل من حكم الله، الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما وصل الأمر إلى هـٰذا الحد ونزلت الآية أولئك الذين قالوا: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء لا أكبر بطونا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء. نزلت الآية: ﴿**لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**﴾[التوبة:٦٦] فإن ادّعى الجهل يستتاب.

سؤال (١٦): **إن بعض الحكام قد تسلّطوا على رقاب المسلمين وأذاقوهم العذاب، فماذا تقول في حاكم يأتي بالمتهم ويفعل بأمه أو أخته أو زوجته الفاحشة أمامه ألا يقود ذلك إلى اتهامه بالكفر؟**

الجواب: على أية حال دعونا من الأفراد، والسؤال عن الأحكام على الأفراد؛ لكن من وصل حاله إلى هـٰذا الحد، وهو استحلال الفاحشة وما إلى ذلك، ويرى أن هـٰذا مباح، ويفتي الناس بأنه مباح ويحله لهم، فهـٰذا لاشك في كفره أيًّا كان.

سؤال (١٧): **ما ضابط قيام الحجة لكي يبدّع أو يكفّر؟**

الجواب: ضابط قيام الحجة فيبدع أو يكفر على حسب حاله أن يعرف الدليل ويفهمه.

هـٰذا هو أصح قولي أهل العلم، وهناك من يرى أن مجرد معرفة الدليل ولو لم يفهمه يعتبر قد قام عليه الحجة؛ لكن الأولى والأحوط في الدين أن يقال: أن يبلغه الدليل ويفهمه فهما واضحا.

سؤال (١٨): **هناك من يفرق بين من يحكم بما أنزل الله في مسألة أو مسألتين وبين من يستبدل شرع الله بشرع آخر.**

الجواب: أجبنا على هـٰذا، حتى من يحكم في كل أموره بغير ما أنزل الله تطبق عليه الأحكام الخمسة التي ذكرناها قبل قليل.

سؤال (١٩): **ما منهج أهل السنة والجماعة في مسألة الولاء والبراء ؟**

الجواب: منهج أهل السنة والجماعة في مسألة الولاء والبراء ضابطه قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله، والموالاة في الله والمعاداة في الله**».(١)

والله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يقول: ﴿**لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ**﴾[المجادلة:٢٢]، والمقصود أن المسلم يجب أن يوالي المسلمين، وأن يحبهم في الله، وأن يعادي أعداء المسلين وأن يبغضهم في الله.

والمقصود بالموالاة النصرة والمحبة والمناصرة والألفة، وليس المراد ما قد يفهمه بعض الناس من التعامل مع الناس ويفسره بالموالاة، فالمعاملة تختلف عن الموالاة، يجوز التعامل حتى مع الكفار في البيع والشراء والإيجار والاستئجار، وقد توفي النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ودرعه مرهون عند يهودي، وعلي -رَضِيَ اللهُ عنْهُ- أجّر نفسه لامرأة يهودية من شدة الجوع والفقر؛ أن يترع لها من البئر دلاء كل دلو بتمرة.

فالتعامل في باب البيع والشراء والأمور الدنيوية لا دخل له في الموالاة، ولا دخل له في الولاء والبراء، وإنما الولاء والبراء أن يوالي المؤمنين ويوالي كل أمر يتعلق بالإسلام ويبرأ من كل ما يخالفه، وقد يضعف، وقد يفسد بالكلية.

وضابطه أيضا في باب الشرك قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[البقرة:٢٦٥].

فكما قلت وأبيّن أكثر في الموالاة هي المناصرة والمعاونة والمحبة بالقلب هـٰذه يجب أن تكون للمسلمين: «**أن يحب المرء لا يحبه إلا لله**»،(٢) «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»،(٣) «**لا يؤمن أحدكم**

---

(١) أورده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٩٩٨). وقال: رواه الطبراني والبغوي في شرح السنة.. الحديث بمجموع طرقه لا ينزل على مرتبة الحسن على الأقل، والله أعلم.

(٢) **البخاري**: كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، حديث رقم (١٦).
مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، حديث رقم (٤٣).

(٣) **البخاري**: كتاب الإيمان: باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، حديث رقم (١٣).

=

حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»،(1) **﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ﴾**[التوبة:٢٤].

الخلاصة أن الولاء والبراء المقصود به أن توالي المسلمين وأن تبرأ من أعداء الإسلام، ومن كل عمل يخالف الإسلام.

سؤال (٢٠): **هل يفهم من كلامك يا شيخ أن الولاء والبراء فيما يتعلق بالباطن فقط من حب وبغض، أم يتعلق بالظاهر كذلك ؟**

الجواب: الولاء والبراء لابد أن يكون في الباطن والظاهر؛ يعني يوالي المسلمين باطنا وظاهرا، ويعادي أعداء المسلمين باطنا وظاهرا، هـٰذا هو المراد.

وليس المقصود به؛ يعني كما قلت ما يعلق بالتعامل كما قد يفسره الآن بعض الناس.

وليس المقصود به ما قد يحتاجه المسلمين وللأسف لما ضعفوا الآن من أمور يحتاجون إليها من سلاح وغيره، هم بحاجة إليه يشترونه، ولو من أعداء المسلمين؛ ولكن الضابط في هـٰذا أنهم لا يعينون الكفار على المسلمين، وأيضا يكرهون الكفار في نفوسهم، وأيضا يكون ولاؤهم لكل ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبراءتهم من كل ما يخالف ذلك من الشرك والبدع والمعاصي، وكما قلت لك: قد يضعف وقد يفسد بالكلية.

=

مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، حديث رقم (٤٥).

(1) **البخاري**: كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، حديث رقم (١٣).

مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، حديث رقم (٤٥).

سؤال (٢١): **ما يقول الحزبيون اليوم عن العلماء أنهم علماء حيض ونفاس، وجدت كلاما للشاطبي حول هـٰذا الموضوع قال: رحمه الله في كتاب الاعتصام المجلد الثاني صحيفة (٧٤٢): وروي أن زعيما من زعماء البدعة كان يريد تفصيل الكلام على الفقه فكان يقول: إن علم الشافعي وأبي حنيفة لا يخرج من سراويل امرأة، هـٰذا كلام الذين قاتلهم الله. أريد توضيحا لهـٰذا.**

الجواب: الحمد لله التوضيح في الكلام نفسه أن هؤلاء الحزبيين لهم سلف، وسلفهم هم المبتدعة، كما نقل ذلك الشاطبي كما ذكر، وقلت في صفحة كم؟ نعود إليه إن شاء الله.

ولكن المقصود هـٰذا يؤكد أن هـٰذه شنشنة نعرفها من أخزم كما يقال، فأهل الضلال وأهل البدع هـٰذه نغمتهم من قديم الزمان، وصف العلماء بأنهم علماء حيض ونفاس، أو أنهم كما يقولون: لا يخرج علمهم من سراويل امرأة كما نقل الشاطبي عن بعض من ينالون من الإمام الشافعي وغيره، وهـٰذا شأن من يتنقّص العلماء في هـٰذا العصر ويصفهم بأنهم علماء حيض ونفاس أو أنهم لا يعرفون فقه الواقع، أو أنهم لا يعلمون ما يدور في الساحة أو يحذر منهم وأنهم عملاء، وما إلى ذلك مما قد نسمعه من بعض الجهلة والمبتدعة والحزبيين الذين أثّرت فيهم الحزبية، حتى صرفتهم عن ولائهم لعلماء الدين لعلماء الإسلام ويوالون أهل البدع؛ يعني هم أنفسهم يوالون من يقول بوحدة الوجود، يوالون الرافضة، يوالون من يسب الصحابة، يوالون المتصوّفة، يوالون من يدعو غير الله. في الوقت الذي يتكلّمون فيه عن الولاء والبراء وهم لا يعرفون حقيقته.

وهـٰذا والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

بسم الله الرحمن الرحيم

الاثنين ٢٦ ليلة ٢٧ رجب ١٤١٦هـ بعد صلاة المغرب.

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ونستغفره، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شرور أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيئاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد؛ كما ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- عن الشهداء أنهم أحياء عند ربهم يرزقون، وتلك حياة برزخية خاصة لا تقاس بالحياة الدنيا ولا تنطبق عليها نواميسها، فلا تسري عليها قوانينها، وإنما هي حياة خاصة، فالشهداء يحيون حياة أكمل ما تكون بعد حياة الأنبياء في البرزخ، حياة يتنعّمون فيها بما وهبهم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وما أعدّ لهم من نعيم.

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[آل عمران:١٦٩-١٧١].

وقال تعالىٰ: ﴿**وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ**﴾[البقرة:١٥٤].

وصح عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: "**أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تروح وتغدو في الجنة**"، وفي رواية: أنها "**تروح وتغدو إلى قناديل معلقة في أشجار الجنة**"،[1] وكذا ورد في نسمة المؤمن أنها: "**طير يعلق في أشجار الجنة**"،[2] وقد تواترت الأحاديث في ذلك.

ولذلك جاء في الحديث الصحيح أن الله -عز وجل- يخيّرهم ويقول لهم: "**أطلبوا ما شئتم وتمنوا**" فكل ما يتمنونه أن يعادوا إلى الحياة مرة أخرى، فيقتلوا في سبيل الله مرة ثانية، وذلك لما عاينوه من النعيم المقيم الأبدي السرمدي الذي ينعمون فيه بسبب ما قدّموا لأنفسهم: ﴿**وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا**﴾[المزمل:٢٠]، وأي شيء يقدم أغلى من الروح والنفس التي جادوا بها في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ.

---

(١) سبق تخريجه في الصفحة (٨٠).

(٢) **سنن ابن ماجه**: كتاب الزهد، باب ذكر القبر والبلى، حديث رقم (٤٢٧١)، قال الشيخ الألباني: صحيح.

يقول عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللهُ عنْهُ:

أقسمت يا نفس لتنزلن أو لتكرهن
ما لي أراك تكرهين الجنة هل أنت إلا قطرة في شنة

فأرواح الشهداء تنعّم وكذا أجسادهم، فإن النعيم يحصل للروح والجسد؛ ولكن بطريقة لا يعلمها إلا بارئُها سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ.

ومن أنكر ذلك فقد أعظم على الله الفرية، من أنكر ذلك؛ من أنكر أن يكون الشهداء ينعَّمون، وأن يكون المؤمنون ينعّمون، وأن الكفار يعذبون من أنكر ذلك فقد أنكر أمرا معلوما من الدين بالضرورة دلت عليه النصوص الصحيحة الصريحة، وإن كان غيبا، فإن من أبرز صفات المؤمنين أنهم يؤمنون بالغيب.

ولكن من هؤلاء الشهداء الذين ينالون هـٰذه المنقبة؟

هل هم الذين قاتلوا تحت راية عمّية؟

هل هم أولئك الذين قاتلوا تحت راية عصبية أو قبلية أو عرقية أو قومية أو طائفية أو طرقية صوفية؟

هل هم أولئك الذين قاتلوا من أجل محمدة الناس؟

هل هم الذين قاتلوا للتمدح وثناء الناس؟

هل هم الذين قاتلوا للذكر والشجاعة والحمية؟

الجواب: لا، فقد سئل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل للذكر، ويقاتل حمية، فأي ذلك في سبيل الله؟ فقال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله**»[1]، وما عداه في سبيل الشيطان ولا شك.

وهـٰذا فضل يمتنّ به الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- على عباده الشهداء الذين قدّموا أرواحهم رخيصة في سبيل الله من أجل إعلاء كلمة الله، من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى، وذلك ﴿**لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ**﴾[الأنفال:٤٢]، ﴿**لِيَمِيزَ اللّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ**﴾[الأنفال:٣٧]، ﴿**وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١)**﴾[آل عمران:١٤١]، ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**﴾[آل عمران:١٤٢].

فإذن من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله.

([1]) **البخاري**: كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، حديث رقم (٢٨١٠).

مسلم: كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، حديث رقم (١٩٠٤).

وأما من قاتل من أجل الحزب ومن أجل الجماعة المعينة التي لا تسير على منهج الله الحق، وما أكثر الجماعات -والعياذ بالله- التي تعدت وتعدد كثير منها باسم الإسلام، وكثير منها لا يطبق الإسلام؛ بل يأخذ ما يروق لخاطره ويحلو له من المبادئ ويترك ما عداها.

فالقتال تحت الرايات القومية أو الوطنية أو الحزبية أو الطائفية المقيتة محرم.

وأما إذا تهيأت سبل الجهاد في سبيل الله فيجب أن يكون الهدف والقصد هو إعلاء كلمة الله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، وأما ما عداه من القُصُود والنيات فإنها لا تنفع؛ بل ستكون وبالا على أصحابها؛ لأن الإخلاص عزيز وقلّ من يتفطن له.

وحقيقة الإخلاص أن تبتغي بعملك وجه الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ-، لا تريد من وراء ذلك العمل -سواء كان جهادا أو غيره- جزاء ولا شكورا، وإنما تبتغي مرضاة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولذلك فإن من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، وهم الشهداء الذين يستحقّون هـٰذا الوعد من الله، والجهاد من أعظم الأعمال التي تقرب إلى الله: ﴿**إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[التوبة:١١١].

﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾[العنكبوت:٦٩]؛ ولكن هـٰذا الجهاد ليس على غرار ما تفعله كثير من الطوائف في هـٰذا الزمان؛ من استحلال دماء المسلمين وتسميته جهادا، ومس مصالح المسلمين وتفجيرها والقضاء عليها والعبث بها، وقتل الأبرياء والمساكين باسم الإسلام المفترى عليه، فإن هـٰذا ليس من دين الله في شيء، وليس من شرع الله في شيء؛ بل هو -والله- في سبيل الشيطان؛ بل إنه والله يمكّن لأعداء الإسلام ويعطيهم فرصة لم يحصلوها لو أنهم جالدونا بالسلاح، هـٰذا هو الواقع.

نحن علينا أن نفهم الجهاد الحق، الذي قُصد به إعلاء كلمة الله وإذا تهيأت سبله، ليس معنى الجهاد أن تهلك نفسك وأن تذهب دون تهيئة ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ**﴾[الأنفال:٦٠].

أما أنّ أحمّس مجموعة من الشباب القليل وأزجّ بهم كي أقضي عليهم جميعا، فهـٰذا ليس جهادا، هـٰذا لعب وعبث، ولا يسمى جهادا بأي حال، والجهاد لابد أن يكون تحت راية الإسلام، لا تحت الراية الصوفية ولا تحت راية جماعات متعددة، ولا تحت راية أحد إلا من يقيم شرع الله، ويحكّم شرع الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ في كافة نواحي الحياة.

ومما يؤسف له أن كثيرا من الناس قد أصبح يعتبر الجهاد هو أن تعتدي على المسلمين الذين يخالفونك في الرأي ولا يتفقون معك في منهجك؛ فتصفيهم أو تقاتلهم أو تستولي على أموالهم أو تؤذيهم بأي شكل من أشكال الأذى.

وما يجري في بعض البلدان الإسلامية خير شاهد على بطلان هـٰذا الجهاد المزعوم، الجهاد قتال أعداء الله، وأيضا إذا تهيأت الظروف المناسبة بأن وُجد العدد والعدة؛ والتهيئة الكاملة والقيادة الراشدة والمؤمنون الخلّص الذين يجاهدون للإعلاء كلمة الله ويطبقون الشرع في أنفسهم قبل كل شيء، عندها يكون الجهاد مع أعداء الله، بعد أن يتمكنوا وبعد أن يتهيؤوا وبعد أن تذلل أمامهم السبل، وبعد أن يكون عندهم من العدد والعدة ما يجعلهم مؤهلين للجهاد.

وأما أن آتي بمجموعة من الشباب وأزج بهم في معارك لا قِبَل لهم بها، ثم يُحصدون عن بكرة أبيهم ويذهب ذلك الزعيم ويلجأ إلى بلاد كذا وكذا، منتظرا فرصة أخرى وصفقة أخرى بعد أن تحصل على جمع من الأموال التي جمعها من هنا وهناك باسم الجهاد في سبيل الله.

وما يجري الآن -واسمحوا لي أن أكون صريحا- وما يجري الآن في أفغانستان خير شاهد على ذلك، فقد خيبوا آمال المجاهدين والشهداء، وقد ضيعوا كل التضحيات التي قدمت في الجهاد الأفغاني.

ضيعت تلك الأحزاب الضائعة المتفرّقة المتناحرة؛ التي لم تتفق يوما من الأيام على هدي كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فحصل لهم ما حصل جزاء وفاقا، فأصبحوا يتصارعون على الكراسي وعلى المناصب، وضاع الجهاد وضاعت روح الجهاد وضاعت آمال الذين شاركوا في الجهاد بأنفسهم وأموالهم وقلوبهم ودعائهم وأحاسيسهم.

فلا نفهم الجهاد خطأ كما يفهمه هٰؤلاء، ولا نأتي في بلاد المسلمين، ونزعم أنها دار حرب، بعض الناس يأتي بلاد المسلمين، ويقول: هـٰذه بلاد حرب لأنها لا تقيم شرع الله؛ ولأن حكامها لا يحكمون بما أنزل الله.

صحيح أن ما عدا هـٰذه البلاد، الدول الإسلامية الأخرى لا تحكم شرع الله في أكثر القضايا اللهم إلا في الأحوال الشخصية؛ ولكن هل هـٰذا يبرر أن تعتدي على المسلمين باسم الجهاد، وهل يسوّغ لك هـٰذا العمل؟ أبدا لا يسوّغ لك هـٰذا العمل، ولا يفعل هـٰذا إلا جاهل؛ أجهل من حمار أهله.

ولكن لما أسند الأمر إلى غير أهله وتوصّل بعض الأغرار إلى قيادة بعض المجموعات الشبابية، فضيعوهم وضيعوا أوقاتهم وضيعوا شبابهم، وضيعوا جهادهم، وضيعوا أرواحهم في غير سبيل الله.

نعم أقولها بكل صراحة: إن الذي يقتل مسلما في بلاد المسلمين مهما كان في ذلك البلد من أمور، ومهما كان عنده من تقصير، ومهما كان فيه من معاصي، فإن هـٰذا العمل عمل منكر، والقاعدة عند أهل العلم: **إن الذي يغير المنكر بمنكر مثله أو أعظم منه فإن ذلك يكون منكرًا.**

وداوني بالتي كانت هي الداء .....

تأتي لتصلح فتفسد، وتحمس المسكين الذي هو مغلوب على أمره، الذي ليس عنده فقه في الدين، وتقنعه بأن هـٰذا هو الجهاد، وتقول له: انسف كذا، وفجر كذا، وانسف الجسر الفلاني، وفجر المكان الفلاني، وافعل في المكان الفلاني، وانسف الحافلة الفلانية، واقتل الشرطي الفلاني، واقتل العسكري الفلاني.

هل هـٰذا في سبيل الله؟ أقسم بالله العظيم، وأنا في مسجد رسول الله الكريم –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أن هـٰذا ليس جهادا في سبيل الله، وهـٰذا قسم أتقرب به إلى الله عز وجل.

فافهموا الإسلام الصحيح، وافهموا روح الجهاد الصحيح، ليس الإسلام في تقتيل المسلمين، تلك منظمات تكفيرية، لم تتلمذ على العلماء و لم يأخذوا علمهم عن العلماء المعروفين، علماء السلف، الذين يتبعون منهج السلف الصالح، وإنما صارت علومهم من الكتب، فأخذوا علومهم من الكتب فضلوا وأضلوا، ضلوا وأضلوا كما أخبر الصادق المصدوق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنما أخشى على أمتي الأئمة المضلين**».

وصح عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إن الله لا ينتزع العلم انتزاعا، وإنما يقبضه بقبض العلماء حتى إذا لم يَبق عالم**» وفي رواية: «**لم يُبق عالم**»– «**اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم؛ فضلوا وأضلوا**».[1]

في كثير من البلاد نرى المهندس تحول إلى عالم بالشريعة، والطبيب تحول إلى عالم؛ وربما يأتينا الآن السباك، والكهربائي والزبال ويتحولون إلىٰ علماء.

وقد حصل كل من قرأ كلمتين، و لم يتتلمذ يوما على أحد من علماء الشريعة؛ من هيئة كبار العلماء، من العلماء الذين يقول فيهم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يحمل هـٰذا الأمر من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين**»،[2] نعم، فإذا كان الأمر كذلك «**إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**»[3] كما يقول الصادق المصدوق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

([1]) **البخاري**: كتاب العلم ، باب كيف يقبض العلم، حديث رقم (١٠٠) .

مسلم: كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وهور الجهل والفتن في آخر الزمان، حديث رقم (٢٦٧٣) .

([2]) **مشكاة المصابيح**: كتاب العلم، حيث رقم (٢٤٨)، قال الشيخ الألباني: صحيح.

([3]) **البخاري**: كتاب الرقاق ، باب رفع الأمانة، حديث رقم (٦٤٩٦).

فأبلغوا هؤلاء الناس، يا من كان من تلك البلاد التي تقوم فيها هـٰذه المنظمات المشبوهة الخطيرة على الإسلام، والتي مكنت لأعداء الإسلام، وأعطتهم فرصة لضرب الإسلام وضرب المسلمين بعضهم ببعض وأحم+لكم هـٰذه الأمانة إليهم:

بأن يتقوا الله في أبنا ء المسلمين.

وأن يتقوا الله في شباب المسلمين ولا يضيعوه.

وأن يتقوا الله في أرواح المسلمين.

وأن يتقوا الله في أموال المسلمين.

وأن يتعلموا وأن يتفقهوا في الدين، قبل أن ينصبوا أنفسهم مفتين، فإن من زعم الإفتاء في مثل هـٰذه المرحلة، فإنه مفتر وليس مفتٍ.

فتنبهوا، واتقوا الله، وأبلغوهم هـٰذه الأمانة، قولوا لهم ليتعلموا وليتفقهوا في دين الله ويجتهدوا فيما يقربهم إلى الله، ويعبدوا الله حق عبادته، قبل كل شيء، وأن يفهموا منهج الجهاد الحق الذي أمر به الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- في كتابه، وأمر به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في سنته.

نعم الجهاد في سبيل الله ليس قتلا للمسلمين الأبرياء.

الجهاد في سبيل الله ليس نسفا لمصالح المسلمين ومرافقهم العامة والخاصة.

الجهاد في سبيل الله ليس كلاما يلاك بالألسن وتحميسا لبعض الشباب حتى توقعوهم في حبائل الشيطان.

أبدا هـٰذا ليس هو الجهاد في سبيل الله.

ولا يفهم أحد من المغفلين أننا نهوّن من شأن الجهاد، فالجهاد ماض إلى يوم القيامة «**من مات ولم يغز، ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق**»،[1] ولكن يحدث نفسه بالغزو إذا تهيأت ظروفه، وإذا وجد العدد والعدة، وإذا كان مهيئا له، ويكون مع أعداء الإسلام، مع الكفار لقصد إعلاء كلمة الله، ولقصد نصرة دين الله، لا طلبا لمنصب ولا طلبا لغرض؛ «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسول فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرت لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه**».[2]

([1]) **مسلم**: كتاب الإمارة، باب ذم من مات و لم يحدث نفسه بالغزو، حديث رقم (١٩١٠).

([2]) سبق تخريجه في الصفحة (١٠٣).

انتبهوا «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**»، وأيضا لا تكفي النية وحدها، وأيضا لابد معها من المتابعة مع الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والسير على نهجه، ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١)**﴾[آل عمران:٣١].

واتقوا الله عباد الله، ﴿**وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ**﴾[البقرة:٢٨١].

والفقرة الثانية، وأرواح المؤمنين منعمة إلى يوم القيامة، كما ضربنا لكم المثل بالشهداء ووضع الشهداء، «**وأن أرواحهم في حواصل طير خضر تروح وتغدوا في الجنة**»،[1] «**وأن نسمة المؤمن طير خضر تروح وتسرح في الجنة**»[2] كما أخبر الصادق المصدوق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولكن -كما قلت- هـٰذه حياة برزخية لا نعلمها ولا يعلمها إلا الله، ومن ادعى العلم فيها فقد أعظم على الله الفرية، أنت إن وجدت عظاما مهشمة أو رمادا فإنه إن كان مجاهدا في سبيل الله قد مات وقتل في سبيل الله ولإعلاء كلمة الله فيجب عليك أن تؤمن أنه في أعلا عليين وأنه في نعيم مقيم لا يعلم كنهه وكيفيته إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وكذلك أرواح أهل الشقاوة عافانا الله وإياكم فإنها تكون في عذاب إلى يوم القيامة، ولعل الحديث الطويل حديث البراء بن عازب خير دليل على ذلك الذي جاء فيه: «**إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء وبيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مدّ البصر، ثم يجيء ملك الموت -عليه السلام- حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها فإذا أخذها لم يَدَعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملإ من الملائكة إلا قالوا: ما هـٰذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له فيفتح لهم، فيشيّعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي به إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى. فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام. فيقولان له: ما هـٰذا الرجل**

([1]) سبق تخريجه في الصفحة (٨٠).

([2]) سبق تخريجه في الصفحة (١١٧).

الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادى مناد في السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة. يأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره. ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك، هـٰذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: له من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي."

وإن كان بخلاف ذلك والعياذ بالله من أهل الشقاوة قال: "وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس ثم رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة، أخرجي إلى سخط من الله وغضب. فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول،فيأخذها" ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾[النازعات:١]، "فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملإ من الملائكة إلا قالوا: ما هـٰذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾[الأعراف:٤٠]، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحا، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[الحج:٣١]، فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدرى، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدرى، فيقولان له: ما هـٰذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدرى، فينادى مناد من السماء أن كذب فأفرشوا له من النار، وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هـٰذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث فيقول: رب لا تقم الساعة"[1] لأنه يعلم أن ما بعد هـٰذا أعظم وأنكى.

([1]) مسند أحمد (تحقيق أحمد شاكر وحمزة الزين) حديث رقم (١٨٤٤٣). قال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح.

والشاهد أن أرواح المؤمنين منعمة، وأما مكانها فلا يعلمه إلا الله، نؤمن أن نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة يعني يأكل منه، وأن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تروح وتغدو في الجنة، ولا نزيد على ذلك.

وأما الذين قالوا: إن أرواح المؤمنين في بئر زمزم، أو أنها على أفنية قبورهم أو أنها على أبواب الجنة، أو نحو ذلك، أو أنها في مكان كذا وكذا، فكل هـٰذا ليس عليه دليل من الشرع.

والدليل ما ذكرناه، وما زاد عليه فإنه لا يتوسّع فيه.

وكذلك أرواح الكفار فالذين قالوا: إنها في بئر الجابية في دمشق، أو في بئر برهوت في حضرموت، أو في مكان كذا وكذا، أو أنها عن يسار آدم وأرواح المؤمنين عن يمينه، كل هـٰذا ليس عليه دليل من الشرع؛ لأنها أمور غيبية يجب أن نقف فيها عند حدود ما أخبرنا الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَى– به.

والمهم أن نؤمن بأن أرواح المؤمنين في أعلى عليين، وأن أرواح الكافرين في أسفل سافلين.

ومعلوم أن الدور ثلاثة:

دار الدنيا والروح فيها متعلقة بالجسد، وتابعة له.

ودار البرزخ، والجسد متعلق بالروح ومرتبطة به.

ودار القرار التي هي يوم القيامة، وعندها يبعث الناس من قبورهم وتعاد أرواحهم إليهم.

فهـٰذا ما يتعلق بالكلام على مستقر الأرواح، ولا يجوز الكلام فيه بغير علم؛ لأنها من الأمور الغيبية ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[الإسراء:٨٥].

[المتن]

وَأَنَّ الشُّهَدَاءَ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ السَّعَادَةِ بَاقِيَةٌ نَاعِمَةٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ مُعَذَّبَةٌ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ، وَيُسْأَلُونَ، ﴿ يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاء﴾[إبراهيم:٢٧].

[الشرح]

إثبات عذاب القبر أجمع عليه أهل السنة والجماعة، وأخبر به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجاء ما يدل عليه في القرآن الكريم، قال الله –عز وجل– عن آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[غافر:٤٦].

(**وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ**) يعني يسألون، فإن الملكين يسألان المقبور –الميت– عن مسائل كثيرة، وعلى رأسها السؤال عن الأصول الثلاثة: ربك، دينك، نبيك.

فإن كان ممن يطبق الإسلام قولا وعملا واعتقادا أجاب، وإن كان بخلاف ذلك ولو كان يعرفها في الدنيا فإنه لا يجيب والعياذ بالله.

وقد ثبت عذاب القبر بأحاديث كثيرة، منها أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرّ بقبرين فقال: «**إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فإنه كان يمشي بالنميمة، وأما الثاني فإنه كان لا يستتر من بوله**»، فأخذ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جريدة رطبة -وهـٰذا خاص به- فقسمها نصفين وغرز في كل قبر جريدة وقال: «**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**»[1]، وهـٰذا خاص بمن؟ بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن يفعله الآن من بعض الناس، فإنه يتدخلون فيما لا يعنيهم، و يدعون علم الغيب؛ لأن النبي لما فعل ذلك لا شك أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قد أوحى إليه أن أصحاب هذين القبرين ماذا؟ يعذبان و لم يأت بذلك من تلقاء نفسه.

ومما يدل لذلك أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرنا أن نستعيذ بالله من عذاب القبر في نهاية الصلاة؛ في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال**».[2]

وهـٰذا محل إجماع بين العلماء، و لم يخالف فيه قديما إلا المعتزلة؛ ولكن ظهر في هـٰذا الزمان أناس يشبهون المعتزلة.

فهناك أحد المتخصصين في علم الحشرات في بلد ما، ألّف كتابا كبيرا ينكر فيه عذاب القبر ويرد الأحاديث الصحيحة وآسفاه.

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس

ليتك يأيها المؤلف قبعت بين الحشرات، وحشرت نفسك بينها و لم تحشر نفسك في نصوص الكتاب والسنة، فتتطفل عليها بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

وهـٰذا من البلاء، كل يوم تطالعنا المكتبات والمطابع بغثاء غثت به الأرفف والدواليب.

فاختاروا الكتب النافعة، كتب السلف الصالح، وإياكم وهـٰذه الكتب المضللة الخطيرة التي يؤلفها أمثال هٰؤلاء.

([1]) سبق تخريجه في الصفحة (٨١).

([2]) **البخاري**: كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر، حديث رقم (١٣٧٧).

مسلم: كتاب المساجد مواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، حديث رقم (٥٨٩).

يأتي واحد ما يعرف إلا الخنفس والعقرب والحشرات والذر والنمل، فينصِّب نفسه مؤلفا فينكر عذاب القبر، ويؤلف كتابا آخر ينكر فيها الحجاب الإسلامي، نسأل الله أن يبتره قبل أن يتمكن منها.

فتنبهوا -إخواني- لهـٰذا الأمر، وآمنوا بما أخبر الله به، وما أخبر به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومما أخبر به عذاب القبر، وإنه ثابت، وإنه حق، ونحن مأمورون بالإيمان بالغيب، وإن لم نر ولم نشاهد؛ لأن من سمات المؤمنين أنهم يؤمنون بالغيب، فإذا قال الله وقال رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وجب علينا أن نقول: سمعنا وأطعنا.

وانظروا إلى موقف أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عنْهُ، عندما أخبره النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بأنه أسري به وعرج به إلى السماء، ما كان قوله وما كان جوابه إلا أن قال: صدقت. لأنه يعلم أنه لا ينطق عن الهوى.

وبالمناسبة أنبه على شيء وهو ما يعتقده بعض الناس من تخصيص ليلة السابع والعشرين من شهر رجب لعبادة مخصوصة أو زيارة أو عمرة أو صلاة أو صوم أو نحو ذلك، فإن هـٰذا ليس عليه دليل البتة أبدا.

ولو زعم زاعم أنه يفعل ذلك لأنه يوم الإسراء والمعراج، فإننا نقول له:

أولا إن الإسراء والمعراج حق، ولا شك، ويجب الإيمان به، وأن الله قد أسرى بروح النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وجسده معا، وليس بروحه فقط كما يدعي المدعون، وهـٰذا قد دل عليه الكتاب والسنة، ولا نجد وقتا للتوسع فيه.

ولكن الخطأ كل الخطأ أن يتخذ من هـٰذا عبادة مخصوصة.

ثم إن التاريخ غير ثابت، فقيل: في رجب، وقيل: في شعبان، وقيل: في رمضان، وقيل: في سنة عشر، وقيل: في سنة إحدى عشر، وقيل غير ذلك.

والذي يهمنا ليس هو التاريخ، وإنما الذي يهمنا هو الإيمان بما أخبر به الله في كتابه، وما أخبر به رسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من حصول الإسراء والمعراج بالروح والجسد، وأن ذلك حق لا يجوز الشك فيه.

وأما التواريخ وعمل الأعياد والحفلات والطبول والزّمور والتجمعات وما إلى ذلك، فهـٰذا كله ما أنزل الله به من سلطان وفقنا الله وإياكم للاتباع، وجنبنا الزلل والابتداع.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الأحد ٢ ليلة ٣ شعبان ١٤١٦هـ بعد صلاة المغرب.

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد؛ أيها الإخوة في الله، كنا قد أجّلنا بعض الأسئلة نجيب عليها الآن إن شاء الله تعالىٰ.

وقبل أن نبدأ بالإجابة عن هـٰذه الأسئلة، أحبّ أن أنبه إلى أمر سبق أن نبهنا عليه؛ ولكن لا بأس أن نعيد التنبيه عليه للذين لم يسمعوا التنبيه السابق.

ألا وهو ما يفعله كثير من الناس من تخصيص شهر رجب أو يوما معينا منه في عبادة مخصوصة، كمن يخصصون اليوم السابع والعشرين أو اليوم الثاني عشر، أو يخصون شهر رجب بصوم معين أو عبادة معينة.

ونقول: لمن لا يعرف ذلك إن هـٰذه البدعة منكرة، وأنها لم تثبت عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بسند صحيح، فتخصيص السابع والعشرين بحفلة أو عيد أو نحو ذلك، هـٰذا من بدع الجاهلية، التي أحدثها الناس، وليست من دين الله في شيء، ولم يرد فيها نص من كتاب الله تعالىٰ ولا من سنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يفعل ذلك أحد من السلف الصالح، وعلى رأسهم الصحابة والتابعون، ومنهم الأئمة الأربعة، وغيرهم من أئمة الهدى والدين.

فإنهم لم يثبت عنهم أنهم خصصوا شهر رجب أو يوما منه بأية عبادة معينة، وبعض الناس يأتون فيه كما يأتون إلى الحج، وربما عطلت بعض البلاد الدوائر الرسمية واتخذوها عطلة وعيدا في اليوم السابع والعشرين، وتلك بدع قد زينها الشيطان لأهلها؛ وليس عليها دليل كما قلنا، لا من الكتاب ولا من السنة، ولم يفعل ذلك أحد من سلف الأمة.

فإذا قال قائل: إننا نفعل ذلك احتفاء بيوم الإسراء والمعراج.

قلنا له: لا شك أن الإسراء والمعراج حق، وأن الإيمان بوقوعه واجب، ولا ينكر ذلك أحد من المسلمين؛ بل يجب الإيمان به إيمانا قاطعا؛ بأن الله قد أسرى بعبده ورسوله محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السماء بروحه وبجسده، وأراه من آيات ربه الكبرى، ثم رجع من ليلته.

هـٰذا كله حق يجب الإيمان به، ولا يشك فيه أحد من المسلمين.

ولكن هل لهـٰذا الحدث تاريخ معين مخصوص معروف؟

الجواب: لا؛ فقد قيل: في رجب، وقد قيل: في شعبان، وقد قيل: في رمضان، وقد قيل غير ذلك.

ونحن لا يهمنا التاريخ، وإنما الذي يهمنا هو الإيمان بهـٰذا الأمر؛ يعني نحن الآن نعرف أن الصوم ركن من أركان الإسلام، هل نبحث في أي يوم فرض الصوم؟ لا يهمنا، إنما الذي يهمنا هو أنه ركن من أركان الإسلام.

الزكاة ركن من أركان الإسلام، هل نحن متعبدون أن نبحث عن اليوم الذي فرضت فيه الزكاة؟ لسنا متعبدين بذلك، وإنما الذي يهمنا أن نؤمن بأن الزكاة ركن من أركان الإسلام، وأنه لا بد من أدائها.

نؤمن بأن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- قد أوجب علينا صلة الرحم وبر الوالدين، ونؤمن بأن الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قد نصره الله يوم بدر ويوم الفتح ويوم الخندق ويوم أحد، وأن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قد حدثت له كثير من المعجزات والآيات.

لكن هل نحن متعبدون بأن نخصص ذلك اليوم لنحييه بعبادة معينة؟

الجواب: لا.

إذن الذي يهمنا أن نؤمن بأن الإسراء والمعراج حق، وأنه قد حصل، وأما تاريخه نكله إلى الله، ثم إن التاريخ غير ثابت وحتى لو ثبت يوم معين فلا يجوز تخصيصه على أنه عيد من الأعياد؛ لأن الأعياد في الإسلام ثلاثة عيد الفطر وعيد الأضحى وعيد الأسبوع الذي هو يوم الجمعة.

فمن زاد عيدا رابعا فهو مبتدع، وأدخل في دين الله ما ليس منه، فمن زاد أي عيد غير هـٰذه الأعياد الثلاثة، فهو عيد من أعياد الجاهلية، والدين والعبادة توقيفية، ما يجوز لنا أن نزيد ولا أن ننقص فيه أبدا؛ لأن الزيادة والنقص خيانة وإحداث في الدين.

والرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «**من أحدث في أمرنا هـٰذا ما ليس منه فهو رد**»،[1] ويقول: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**».[2]

وكذلك تخصيص النّصف من شهر شعبان أيضا بدعة منكرة، و لم يثبت فيه حديث صحيح نعم، هناك أحاديث موضوعة ينقلها بعض الناس في كتبهم.

([1]) **البخاري**: كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، حديث رقم (٢٦٩٧) .

مسلم: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، حديث رقم (١٧١٨) .

([2]) **البخاري**: كتاب البيوع، باب النجش، تعليقا.

مسلم: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، حديث رقم (١٧١٨).

والحمد لله أن الله -عز وجل- امتن على أمة محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعلم الإسناد، ما معنى علوم الإسناد؟ علوم الحديث وهي السلسلة التي حرص عليها المؤمنون، والعلماء من أهل الإسلام، وهو العناية بالسند الذي ورد به الحديث عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عن مالك عن نافع عن ابن عمر، عن أحمد عن الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر، عن فلان عن فلان عن فلان عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عن فلان عن فلان عن أبي هريرة، عن عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عباس، كلهم يروون عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا علم قد خصّ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- به هذه الأمة ولا شك أنه تحقيق لقول الله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:٩].

ولذلك يقول عبد الله بن المبارك -رحمه الله تعالى- أحد أتباع التابعين المشاهير وهو معاصر للإمام مالك والإمام أبي حنيفة وأيضا معاصر للإمام الشافعي رحمه الله تعالى، وأيضا عاش في أوائل أيام الإمام أحمد وإن كان صغيرا، وهو من خيرة أتباع التابعين يقول عبد الله بن المبارك -رحمه الله تعالى-: **الإسناد من الدين**. يعني علم الإسناد؛ عن فلان عن فلان عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من الدين، **ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء**.

فقد وفّق الله هذه الأمة حتى لا يقع التحريف في دينها كما وقع لليهود والنصارى، وفقهم لهذا العلم الذي حفظ الله به الكتاب والسنة، وله علم يدرس بين المسلمين يسمى مصطلح الحديث ويسمى علوم الحديث.

فتنبهوا -إخواني- فإنه ليس في شهر شعبان يوم مخصوص لا بصيام ولا بقيام، نعم هو مثل الأشهر الأخرى؛ ولكن فيه أنّ الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان يصوم أكثر شهر شعبان، كان كثير الصوم، وكان أكثر ما يصوم في شهر شعبان؛ ولكنه لم يخصص يوما معينا منه لكنه كان يصومه، حتى إنه لا يكاد يترك منه شيئا.

وهذا ليس له يوم معين ولا تاريخ محدد، وإنما يصوم أكثر الشهر.

فتنبهوا إخواني، وعليكم بالسنة، واجتنبوا البدعة، فإن البدعة تهدم الدين وتنخر فيه وتقوّض أركانه، وتعمي الناس وتصمهم عن سماع الحق.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه، والآن إلى الأسئلة التي قلنا لكم إنها كانت مؤجلة.

[الأسئلة]

سؤال (٢٢): **ما حكم الإسلام في الرافضة وهل يجوز السلام عليهم؟**

الجواب: حكم الإسلام تجاه أهل الأهواء عموما من خوارج أو رافضة أو جهمية أو غيرهم من الفرق المنحرفة أنهم يحكمون عليهم بأنهم مبتدعة، وأنهم بعيدون كل البعد عن هدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانوا يقاطعونهم ويهجرونهم ويبتعدون عنهم ولا يؤاكلونهم ولا يشاربونهم؛ لأنهم من المفسدين في الأرض؛ ولأنهم من الذين انحرفوا عن هدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وخصوصا الرافضة التي سأل عنها السائل. فإن من معتقداتهم الباطلة:

أنهم يعتقدون نقص القرآن الذي بين أيدينا.

ويعتقدون ارتداد الصحابة إلا سبعة، وبعضهم قال: سبعة عشر أو أربعة عشر.

ويقولون بالعصمة لأوليائهم.

ويعتقدون أن أئمتهم أعظم درجة من الأنبياء والمرسلين.

ويعتقدون أن الله لا يعلم الأشياء قبل كونها.

ويعتقدون أن أئمتهم لا يموتون إلا باختيارهم؛ يعني ملك الموت يشاورهم متى يموتون.

ويعتقدون أن لأئمتهم حق التشريع من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ويكفرون الصحابة كما قلنا، ويكفرون أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فمن اعتقد شيئا من هـٰذا أيا كانت نحلته، سواء كفر الصحابة، أو سب الدين أو اعتقد نقص القرآن، أو اعتقد العصمة لأئمتهم، أو اعتقد أنه أفضل من الأنبياء والمرسلين، أو اعتقد لهم العصمة، أو اعتقد ارتداد الصحابة، أو اعتقد تكفير أزواج النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، من اعتقد شيئا من هـٰذه المعتقدات فليس بمسلم، أيا كان، ويمكن أن يعامل كمعاملة المنافقين في عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يعامل بظاهر فعله ما لم يكن داعية إلى عمله وإلى بدعته وإلى فتنته، يعامل كمعاملة المنافقين في عهد النبي عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ.

سؤال (٢٣): **ما هي كتب العقيدة التي تنصح طالب العلم باقتنائها؟**

الجواب: أما كتب العقيدة التي ينصح باقتنائها:

فأرى أن يبدأ طالب العلم ببعض الكتب الصغيرة في العقيدة، وهـٰذا بعد اهتمامه وحفظه أو على الأقل قراءته القراءة المتدبرة المتأملة لكتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ لأن القرآن والسنة هما أساس كل شيء، وكان السلف الصالح أول ما يبتدئون بحفظ كتاب الله.

وبحفظ ما تيسر من السنة فيبدؤون بحفظ "رياض الصالحين" و"الأربعين النووية" مع القرآن الكريم، ويمكن بالنسبة لكتب العقيدة أن يبدأ بـ"الأصول الثلاثة" وهي مختصرة وواضحة وهي أهم المهمات، إذا عرفنا "الأصول الثلاثة"؛ لأنها تعرف المسلم بربه وبدينه وبنبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم يؤخذ "كتاب التوحيد" للشيخ محمد بن عبد الوهاب مجرّدا من أي شرح يقرأ ويحفظ متنه؛ لأنه عبارة عن آيات وأحاديث فقط؛ يعني بوب لها وفق أبواب التوحيد؛ فينبغي أن نحفظه قدر الإمكان.

وبعد ذلك ننتقل إلى بعض الشروح مثل "فتح المجيد" و"تيسير العزيز الحميد"، وكتب الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله مثل "عقيدة أهل السنة والجماعة" و"القواعد المثلى"؛ لأنها كتب جيدة وواضحة، وأسلوبها مبسط.

وأما إذا تمكن طالب العلم من هـٰذه الكتب التي أشرت إليها فينبغي له أن يقرأ كتب السلف القديمة أيضا مثل كتب السنن، مثل "السنة" للإمام البربهاري، و"السنة" لعبد الله بن الإمام أحمد، و"السنة" لابن أبي عاصم والسنة للخلال، و"التوحيد" لابن خزيمة، و"الطحاوية" للإمام أبي جعفر الطحاوي.

وكذلك عدد من كتب العلم من كتب العقيدة لابن تيمية كـ: "التدمرية" و"الواسطية"، لو بدأ بـ"الواسطية" مجردة عن الشروح، ثم انتقل إلى شروحها بعد ذلك.

ثم انتقل إلى شروحها بعد ذلك، ثم كتب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وشروحها تأتي أيضا في المقدمة.

وهـٰذه الكتب الأولى أن تدرس على العلماء حتى يبينوا لطالب العلم ما غمض عليه، وما أشكل عليه فيها؛ لأن العلم لا يكون إلا بالتعلم، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**إنما العلم بالتعلم**".[1]

وأرى أن يبدأ ببعض كتب اللغة مثل كتاب "الآجرومية" في النحو يبدأ بها ثم بشروحها، ويكون هـٰذا أيضا على أيدي أساتذة متخصّصين.

وفي الفقه أرى أن يبدأ بكتاب "العمدة" لابن قدامة رحمه الله، وغيره من كتب السلف.

وكل هـٰذا لا يغني عن أن تقرأ هـٰذه الكتب على أيدي المشايخ العلماء الربّانيين المتبعين لمنهج السلف، لا علماء البدع والتصوف والرفض، وإنما علماء أهل السنة والجماعة الذين يقولون بالحق وبه يعدلون، فنتفقه على أيديهم، وندرس على أيديهم.

([1]) علقه البخاري في كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، وقال ابن حجر، هو حديث مرفوع، أورده ابن أبي عاصم والطبراني من حديث معاوية. وإسناده حسن.

ولأن التعلم من الكتب لوحدها قد يوقع كثيرا من الناس في مزالق لا تحمد عقباها، فقد لا يفهم عبارة أو إشارة فيفسرها على غير معناها، فيقع في أمور لا ترضي الله عز وجل.

فهـٰذه خلاصة ما ينبغي أن يتنبه له طالب العلم.

ومذاكرة العلم باستمرار وعدم إضاعة الوقت فيما لا ينفع واستغلال الوقت فيما يقرب إلى الله، وتقوى الله قبل كل شيء، هـٰذا مما يتقرب إلى الله وهـٰذا مما يعين على فهم العلم.

والمدارس -ولله الحمد- هي عندنا كثيرة في هـٰذه البلاد من أولها إلى آخرها من الصف الأول الابتدائي؛ بل ومن الروضة إلى آخر المراحل الجامعية كلها تُعنى بكتب العقيدة والتوحيد، وتقدمها على غيرها، وهـٰذا هو الواجب، الواجب أن يبدأ بتصحيح كتب العقيدة قبل أي شيء آخر؛ لأنه إذا صحّ التوحيد فالأمور الأخرى تنبني عليه وصحتها تنبني عليه؛ لأن تصحيح مسار التوحيد وتصحيح ما فسد منه وتحقيق الشهادتين تحقيقا عقديا علميا عمليا هو الطريق الذي يوصل إلى النجاة وإلى مرضاة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

سؤال (٢٤): **أسئلة كثيرة تدور حول حكم إطلاق كلمة (الشهيد) على من مات في سبيل الله، ما حكم هـٰذا الإطلاق؟**

الجواب: إطلاق كلمة (الشهيد) لا تصح إلا لمن شهد له النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بأنه شهيد، وإنما يمكن أن تقول: نرجوا أن يكون شهيدا، نرجوا من الله أن يكون شهيدا بالنسبة لمن قتل في سبيل الله، وبالنسبة للذي قتل بالطاعون والمبطون والغريق، فالرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سماهم شهداء فنحن نسميهم شهداء بشكل عام؛ لكن لا نشهد لشخص بعينه أنه شهيد أو أنه في الجنة إلا من شهد له الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الآن أصبحت لفظة (الشهداء) يطلقها للأسف بعض المنحلّين حتى على من يموت من النصارى، يسميهم شهداء، نسأل الله العافية والسلامة.

ونحن لا نطلقها حتى على المسلمين إلا من شهد النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بأنه شهيد؛ لكن نقول بشكل عام: من قتل في سبيل الله من أجل إعلاء كلمة الله فهو شهيد، المرأة التي تموت بالنفاس نقول: إنها شهيدة، الرجل الذي يموت بالغرق أو البطن أو بالطاعون وغير ذلك نقول: بأنه شهيد، وهـٰذا بشكل عام، وأما الشخص نفسه يرجى أن يكون شهيدا.

وأما أن نطلق كلمة الشهداء على كل من مات، بعض الناس يطلق على بعض البعثيين والعلمانيين والمخرّفين والمشركين وعباد القبور، وما إلى ذلك كلهم يطلق عليهم أنهم شهداء، هـٰذا ليس بصحيح ولا

يجوز تطلق على واحد ملحد أو زنديق أو ملحد أو علماني لا ديني، أو مثلا متصوف غارق في تصوفه أو مبتدع غارق في بدعته، أو نحو ذلك، تأتي وتشهد له بأنه شهيد، لا، هٰذا لا يجوز؛ لأن هٰذه شهادة وحكم له بالجنة نتركها لله، إنما نرجوا للمحسنين الثواب ونخاف على المسيئين العقاب.

فمن قتل في سبيل الله ذابا عن دين الله، من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فذلك في سبيل الله، فهٰذا الذي تكتب له الشهادة؛ لكن الشخص المعين منهم الذي لم يشهد له النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا نشهد له نحن، وإنما نرجوا الله أن يكون شهيدا، من كان انطبق عليه وصف الشهادة نؤمل ونرجوا الله وندعوا الله أن يكون شهيدا، وإنما أن نشهد له شهادة مباشرة هكذا، فهٰذا بدعة ولا يجوز.

سؤال (٢٥): **متى يجب الجهاد، وهل هو أفضل من طلب العلم، ومتى يكون فرض عين؟**

الجواب: الجهاد يكون فرض عين إذا دوهمت بلاد المسلمين، ووجدنا القدرة على الجهاد دون أن يُحدث ذلك أمرا عكسيا، أو إذا استنفرهم إمام المسلمين وأمير المسلمين الذي يحكم شرع الله.

فإذا حصل ذلك فإنه يكون فرض عين، وأما إذا لم يدع إليه الإمام و لم تداهم بلاد المسلمين، وإنما المقصود الفتوح والتوجّه للفتح الإسلامي، فإن هٰذا يكون فرض كفاية، إذا قام به من يكفي سقط عن الآخرين.

ولكن هنا أنبه إلى أمر وهو أنه لابد لمن يرغب في الجهاد؛ ولا شك أن الجهاد مهم وهو ذروة سنام الإسلام: «**رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله**»،[١] هكذا يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**من مات ولم يغز، ولم يحدث به نفسه، ماتَ على شعبة من النفاق**». [٢]

يقول عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها**»،[٣] ويقول عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»[٤].

---

(١) **سنن الترمذي**: كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، حديث رقم (٢٦١٦) قال الترمذي: حديث حسن صحيح.
سنن ابن ماجه: كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، حديث رقم (٣٩٧٣).
قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) سبق تخريجه في الصفحة (١٢٢).

(٣)البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يوم في سبيل الله، حديث رقم (٢٨٩٢).

(٤) سبق تخريجه في الصفحة (١١٨).

ويقول الله تعالىٰ: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾[الحج:٧٨]، ويقول تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[العنكبوت:٦٩].

والنصوص في وجوب الجهاد على هـٰذه الأمة وأنه باق إلى يوم القيامة لا يمكن حصرها في مثل هـٰذا المقام.

ولكن أحب أن أنبه إلى أمور:

الأمر الأول: بعد أن بينا متى يكون الجهاد فرض عين، ومتى يكون فرض كفاية، أنه لا بد من القدرة على الجهاد، ولا بد من وجود العدد والعدة، ولا بد من وجود الإمام نجاهد معه.

أما أن نحمس الشباب ونلقي بهم في مصير محتوم ومعروف نتيجته سلفا، هـٰذا ليس بجهاد، هـٰذه مغامرات لا تؤتي ثمارها ولا تعطي نتيجة؛ بل تضيع شباب المسلمين دونما طائل.

فلا بد من وجود العدد والعدة والأهلية للجهاد.

الأمر الثاني: أنه لا بد من تصفية من يكونون في صفوف الجهاد من شوائب الشرك والبدع والمعاصي، ولا بد أن يكون من يريد الجهاد صافيا مصفى من أي دخن ومن أي دغل.

والأمر الثالث: أنه لا بد فيه من الإخلاص وصدق النية لا نطلب المناصب، ولا نبتغي بذلك الشهرة، ولا نبتغي بذلك أن يتحدث عنا بأنا مجاهدون، «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»، «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه**».[1]

رابعا: أن يكون الذين نجاهدهم محاربين من الكفار، وأما قتال الذميين أو المعاهدين فهـٰذا ليس جهادا؛ بل هو محرم، وقد أخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أن من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة**»،[2] لم يشم رائحة الجنة، سواء كان يهوديا أو نصرانيا أو غير ذلك، إذا كان معاهدا أو مستأمنا أو ذميا، فإن هؤلاء لا يصح قتالهم ولو كانوا كفّارا، إذا كانوا مستأمنين في بلاد المسلمين أو ذميين، أو بينهم وبين المسلمين معاهدة، كل ذلك لا يجوز أن نقاتلهم؛ يعني يجب أن يكون الذين نجاهدهم محاربين.

الأمر الخامس: أن يكونوا كفارا كفرا ظاهرا عندنا فيه من الله برهان، وأما ما يفعله بعض الناس اليوم وبعض المنظمات المشبوهة من قتال المسلمين وتسميته جهادا، كما يجري في بعض البلاد الإسلامية الآن من تقتيل الأبرياء ونسف الجسور ونسف الحافلات وقتل الشرط والعسكريين ونسف مصالح المسلمين

---

(1) سبق تخريجه في الصفحة (١٠٣).

(2) **البخاري**: كتاب الجزية والموادعة، باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم، حديث رقم (٣١٦٦).

ومرافقهم، فهـذا ليس جهاد هـذا اسمه إفساد، هـذا اسمه: إفساااااد وليس جهادا، هـذا الذي يجري في بعض بلاد المسلمين الآن، الذي يجري الآن بدعوى أنها بلاد حرب، مهما كان من يحكم تلك البلاد، حتى ولو كانوا كفارا، لا تقاتلوا المسلمين لكونهم يعيشون تحت هـذا الذي تراه أنت أنه كافر.

وإنما اجتهد في العلم والتعليم والتصفية والتربية، وصفي العقيدة مما شابها من شوائب الشرك والمعاصي عند ذلك تصلح الأمور إن شاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وأما التسرع وأما تفجير مصالح المسلمين ومرافقهم وجسورهم وسياراتهم وبيوتهم ومدارسهم، ولو كانت فيها معاصي، ولو كان فيها منكرات، ليس لك أن تفعل ذلك، وفعل ذلك جريمة نكراء، وأنا أخشى أن يكون هـذا الذي يسمى جهاد من قتال المسلمين، أخشى أن تكون وراءه منظمات من منظمات الكفر تدفعه وتؤيده وتحمس الناس عليه حيث يشعرون أو لا يشعرون.

فنحملكم ولعل بعضكم قد وفد من تلك البلاد التي تجري فيها هـذه الأمور، أحملكم من مسجد رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ومن مهبط الوحي أمانة تبلغوها لهؤلاء أن يتقوا الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- في المسلمين، قولوا لهم: أن يتقوا الله في المسلمين، وأن يضعوا السلاح، وأن يلزموا بيوتهم في وقت الفتن.

كان من هدي رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ومن هدي أصحابه وقت الفتنة لزوم البيوت، والاشتغال بالعلم والتعليم والتفقه في دين الله، وإلا فعليك بخاصة نفسك: «**إذا رأيت هوى متبعا وشحا مطاعا**»[1] فإذا ما رأيت مجالا فعليك بخاصة نفسك، اشتغل بنفسك ائمن أنت من الفتن.

أما أن يأتي بعض قادة الأحزاب السياسية التي تنتسب إلى الجهاد، وهي أحزاب سياسية يريد أصحابها مناصب وحكما على أشلاء الشباب المسكين المغلوب على أمره، فوالله الذي لا إلـه غيره إن هـذا ليس جهادا، إنما هو إفساد.

أقسم بالله العظيم أن هـذا إفساد وليس بجهاد في سبيل الله، فليتق الله هؤلاء في أبناء المسلمين، ليتقوا الله في أبناء المسلمين، وليجتهدوا فيما يقربهم إلى الله، «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**».[2]

([1]) **سنن الترمذي**: كتاب تفسير القرآن، باب من سورة المائدة، حديث رقم (٣٠٥٨)، قال الترمذي: هـذا حديث حسن غريب، قال الشيخ الألباني: ضعيف.

([2]) **البخاري**: كتاب الإيمان، باب ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما**﴾ فسماهم المؤمنين، حديث رقم (٣١).
مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، حديث رقم (٢٨٨٨).

اتق الله يا عبد الله، من أين لك أن تشرع تأتي وتقتل مسلم لأنه شرطي في البلد الفلاني، وتطلق عليه رصاصة سهلة عندك أنت؛ لكن غدا إذا حصل لك ما وعد الله به قاتل النفس ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣)﴾[النساء:٩٣]، فالذين يسمون هـٰذا جهادا أنا أعتبرهم يعينون أعداء المسلمين على المسلمين.

من يسمي هـٰذا جهادا فهو أجهل من حمار أهله، جاهل، لا يستحي من الله ولا من رسوله ولا من الناس، ليس عنده عقل، ليس عنده علم، عليه أن يرجع إلى العلماء وأن يسألهم عن أحكام دينه.

وأما أن يأتي يجري وراء شخص رئيس حزب هدفه أن يكون رئيس جمهورية، ما شاء الله، ويتسمى باسم الإسلام، قائد الجبهة الفلانية، وقائد الجبهة الفلانية، وهو يقتل المسلمين، ﴿كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾[القمر:٢٥].

والذين ينخرطون في سلكه ضلال ليس عندهم عقول، جهال مساكين يريدون الخير؛ لكن ما وجدوا من يوجههم، فجاءهم هـٰذا الطاغوت الذي يريد الحكم، وقال: أيها الإخوة، الجهاد، قاتلوا في سبيل الله، تقتل مسلما!! هـٰذا قتال في سبيل الله!! من أين لك هـٰذا الحكم؟! من أين أتيت به؟! هل أخبرك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ هل قرأته في كتاب الله؟ هل قاله أحد من السلف؟ أم أنك تطفلت على العلم وجريت خلف هـٰذا الأهوج، خلف هـٰذا الأحمق الذي يفسد ولا يصلح، ويسمي تقتيل المسلمين جهادا.

اتقوا الله في أبناء المسلمين، هـٰذه فتن وليست جهادا، تريد جهادا اذهب إلى البوسنة إلى البلاد التي فيها القتال، قتال أعداء المسلمين توكل على الله.

مثل الآن الذي يجري بين الأفغان هل هـٰذا جهاد؟ هـٰذا طمع كراسي وطلب مناصب، وكلهم طلاب مناصب، وأنا قلت لهم هـٰذا الكلام قبل خمس عشرة سنة، يوم أن كان الشيوعيون يتربعون على الأفغان، قلت: والله لن تنتصروا وأنتم سبعة أحزاب، بايعوا واحد منكم واتقوا الله وجاهدوا تحت لوائه، عندها يكون الجهاد.

وقال لهم الشيخ جميل الرحمـٰن رحمة الله عليه ولكن:

لقد أسمعت لو ناديت حيا .....

كل واحد يريد الكرسي، وخذ وقُتل الآن في أفغانستان أكثر من الذين قتل الشيوعيون، هل هـٰذا جهاد في سبيل الله، أم أنه إفساد؟ إفساد وليس جهادا.

فاتقوا الله عباد الله، وافهموا الجهاد الصحيح وتفقهوا على أيدي العلماء، أما يأتي واحد من الجهال، واحد أجهل من حمار أهله ويقف على المنبر: أيها الشباب، هيا إلى الجهاد، هيا إلى القتال، هيا إلى كذا ويحمس الشباب ويغريهم ويزج بهم في معركة مع المسلمين، يجعلهم يقتلون إخوانهم من المسلمين، أفرض

أنك قتلت صحفي أو قتلت شرطي أو نسفت جسر أو فجرت حافلة، فيها أطفالا، فيها نساء، إذا كان الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نهى عن قتل الأطفال والنساء وعن الرهبان في الأديرة من الكفّار المحاربين، لا ليس من الذميين، من الكفار المحاربين، نهى عن قتل هؤلاء من الكفار المحاربين.

افرض نحن نقاتل كفارا محاربين، هل يجوز أن نقتل طفلا؟ هل يجوز أن نقتل امرأة؟ هل يجوز أن نقتل كبير سن؟ هل يجوز أن نقتل راهب في ديره؟ هل يجوز أن نقتل متعبدا ولو كانت عبادته باطلة؟ ليس لي.

أقتل المقاتل، أقاتل من يقاتل من الكفار، وأما آتي إلى بلاد المسلمين وأقول: ارفعوا السلاح قتّلوا، فجروا، افعلوا كذا، هــٰذا والله إفساد وأنا لا أشك؛ بل لا أجد أدنى شك بأن هؤلاء الذين يقتّلون المسلمين باسم الجهاد مدفوعون من منظمات صهيونية أو ماسونية أو غيرها من منظمات الشر الموجودة في العالم.

فاتقوا الله عباد الله، وبلغوا هــٰذه الأمانة إلى من وراءكم، وقولوا لهم: اتقوا الله في دماء المسلمين، «**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**»[1]، «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»، [2] «**من حمل علينا السلاح فليس منا**»،[3] هكذا يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقولوا لإخوانكم الذين في تلك البلاد التي تجري فيها تلك الأمور: «**من حمل علينا السلاح فليس منا**».

فاتقوا الله عباد الله، وافهموا الجهاد الصحيح، ولا تحرفوا الكلم عن مواضعه باسم الجهاد.

سؤال (٢٦): **هل إقامة الانفجارات في البلاد الكافرة لقصد مصلحة الإسلام يجوز أم لا؟**

الجواب: هل التفجير في البلاد الكافرة لقصد مصلحة الإسلام هل هــٰذا يجوز؟

هــٰذا لا يجوز لسبب، وهو أنه ثمنه ما هو هــٰذا الانفجار؟ أجبني عن ثمنه؟ ثمنه أولا أنهم قد ينتقمون بما هو أعظم، فيقتلون المسلمين، ويسجنونهم، ويعتقلونهم ويطردونهم، ويضايقونهم ويؤذونهم، وأنت الذي تسببت في ذلك.

([1]) **مسلم**: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، حديث رقم (٢٥٦٤).

([2]) **البخاري**: كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، حديث رقم (١٠).

مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل، حديث رقم (٤١).

([3]) **البخاري**: كتاب الفتن باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((من حمل علينا السلاح فليس منا))، حديث رقم (٧٠٧٠).

مسلم: كتاب الإيمان، باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((من حمل علينا السلاح فليس منا))، حديث رقم (٩٨).

بسم الله الرحمن الرحيم

الاثنين ٣ ليلة ٤ شعبان ١٤١٦هـ بعد صلاة المغرب

[المتن]

وَأَنَّ عَلَى الْعِبَادِ حَفَظَةً يَكْتُبُونَ أَعْمَالَهُمْ، وَلاَ يَسْقُطُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَنْ عِلْمِ رَبِّهِمْ، وَأَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ يَقْبِضُ الأَرْوَاحَ بِإِذْنِ رَبِّهِ.

[الشرح]

بسم الله الرحمن الرحيم، إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ونستغفره، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شرور أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيئاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد هذه المسألة تتعلق بالملائكة وفيها ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: الحفظة وهم الكرام الكاتبون.

المسألة الثانية: أن ذلك لا يتعارض مع علم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

المسألة الثالثة: ملك الموت الموكل بقبض أرواح العباد.

فأما **المسألة الأولى** قبل أن نتكلم على الحفظة والكرام الكاتبين فإن الملائكة من أفضل عباد الله ومن أعظم خلق الله ﴿لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦)﴾[التحريم:٠٦]، ولهم وظائف قد وكّلهم الله بها فمنهم: ﴿النَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾[النازعات:١-٥]، كل ذلك من أوصاف الملائكة ووظائفهم.

فمنهم من وكّل بقبض الأرواح.

ومنهم من وكّل بتدبير أمور الكون.

ومنهم من وكّل بالنفخ في الصور.

ومنهم من وكّل بالوحي فهو أمين الله على الوحي.

ومنهم من وكّل بالسحاب.

ومنهم من وكّل بالأرزاق، ونحو ذلك.

فجبريل قد وكله الله بالوحي، وإسرافيل قد وكله الله بالنفخ في الصور.

وقد سمى الله لنا منهم جمعا منهم جبريل، وإسرافيل، وميكائيل ومالك خازن النار، ومنكر ونكير الملكان اللذان يأتيان في القبر، هؤلاء قد سماهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ولاشك أنهم أكثر من البشر وأعظم خلقا وأقوى عبادة وأعظم طاعة، فهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

وليس هناك من ضرورة في بحث ما قد طرقه بعض الناس من البحث في أيهما أفضل الملائكة أم صالحي البشر، لأن هـٰذا لا تترتب فيه فائدة ثم إننا لم نتعبد به، ثم إنه لم ترد نصوص في حسمه.

والمهم أننا نؤمن أنهم عباد مكرمون، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وأن الله أعطاهم من القدرة والقوة ما أعطاهم، فجبريل -عليه السلام- حمل قرى قوم لوط على طرف جناحه حتى قلب تلك القرى وجعل عاليها سافلها بعد أن وصل بهم إلى السماء.

وقد رآه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على هيئته أكثر من مرة له ستمائة جناح، كل جناح منها يسد الأفق.

فنحن يجب أن نؤمن بهم، ومن أركان الإيمان -الإيمان بالملائكة-، ومن لم يؤمن بهم فهو كافر، من لم يؤمن بوجود الملائكة فليس بمسلم، ولو صلى ولو صام ولو حج ولو زكى، ولو فعل ما فعل من الطاعات؛ لأن الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان؛ لا يتم الإيمان إلا به.

وكما قلت: هؤلاء الملائكة جعل الله لهم وظائف عدة:

فمنهم الكرام الكاتبون الذين وكّلهم الله بكتابة العباد.

ومنهم الحفظة الذين يحفظونه بأمر الله حتى يأتي قضاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وكل إنسان موكّل به ثمانية أملاك أربعة بالليل وأربعة بالنهار، كاتبان وحافظان، فيترلون مع صلاة العصر، فتترل ملائكة الليل وتصعد ملائكة النهار إلى صلاة الفجر، فعندها تترل ملائكة النهار وتصعد ملائكة الليل، لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار**».(1)

قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- في وصف هؤلاء الحفظة والكرام الكتبة قال: ﴿**وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١)**﴾[الانفطار:١٠-١١]، وقال تعالى: ﴿**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ**﴾[الرعد:١١] أي بأمر الله أو من مأمور الله إلا إذا وقع القضاء فإنهم يتخلون عنه، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾[ق:١٦-

---

(1) **البخاري**: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، حديث رقم (٥٥٤).

مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، حديث رقم (٦٣٢).

١٨]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾[عبس:١٣-١٦].

وهؤلاء الحفظة يحفظونه بإذن الله، والكتبة يكتبون كل شيء؛ حتى النية التي ينووها من خير أو شر فإنهم يكتبونها ويسجلونها ويعلمونها بإذن الله، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[الانفطار:١٠-١٢] ويشمل ذلك فعل القلب وفعل اللسان، وهـٰذا بإقدار الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لهم ليقيم الحجة على الخلق، وأن الله تعالى ليس بظلام للعبيد، حتى إنهم يكبون الحسنات والسيئات وجميع الأفعال.

ولذلك يقول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قال الله عز وجل: إذا هم عبدي بحسنة فعلمها كتبت له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف مضاعفة، ومن هم بحسنة فلم يعملها** -يعني ما استطاع أن يعملها رغم محاولته- **كتب له حسنة واحدة**- بمجرد العزم- **ومن هم بالسيئة فعلمها كتبت عليه سيئة واحدة، ومن هم بسيئة فلم يعملها**»[1] يعني ثناه الخوف من الله تذكر ربه فاتقاه فكان ممن قال الله فيهم- ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[الأعراف:٢٠١] فكان من هؤلاء المتقين الذين اتقوا ربهم وهـٰذه قمة الإحسان، إذا حدّثته نفسه بسوء علم أن له ربّا يعلم ما توسوس به النفس و﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[غافر:١٩]، و﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾[طه:٧] فيقلع خوفا من الله وتقربا إليه.

وهـٰذه حقيقة الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، كونه يراقب الله في السر والعلن، فهؤلاء هم الكرام الكاتبون، والإيمان بهم واجب؛ بل ركن من أركان الإيمان.

ومما يتعلق بهـٰذا أن الله -عز وجل- عالم بما يفعله العباد ولم يخلق هؤلاء الملائكة، وهو قادر على إحصاء كل شيء، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وإنما خلق هؤلاء الملائكة وجعلهم كتبة وحفظة إظهارا لقدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وبيانا لعدله -عز وجل- بين عباده، وإقامة للحجة على خلقه، ليعلم كل واحد ما قدر من خير أو شر، وليعلم أنه يحصى عليه كل شيء فالله -عز وجل- لا تخفى عليه خافية، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[غافر:١٩]، ويعلم كل شيء ﴿اللّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾[الرعد:٨].

لكن كما قلتُ: خلق هؤلاء الملائكة إقامة للحجة على خلقه، وبيانا لكمال عدله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وبيان ذلك لعباده، وللدلالة على قدرته وأنه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- قادر على كل شيء.

([1]) سبق تخريج في الصفحة (٧٢).

ومما يتعلق بهـٰذا الكلام على ملك الموت، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[السجدة:١١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾[النازعات:١-٢]، فالنازعات الملائكة تنزع أرواح الكفار، إذا تفرقت في أجسادهم فتنزعها كما ينزع العود الذي له شعب من الصوف المبلول، والعياذ بالله، ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾[النازعات:٢] الملائكة التي تسل أرواح المؤمنين وتستخرجها استخراجا يسيرا فتسيل كما تسيل القطرة من الماء من فم السقاء، وهـٰذا فضل من الله ومنة، ومنهم ملائكة الرحمة وملائكة العذاب.

طيب، لو أورد علينا أحد إشكالا خلاصته أنه لما كان الله -عز وجل- قد قال في آية: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾[السجدة:١١]، ومرة أخرى قال: ﴿حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ﴾[الأنعام:٦١]، وقال تعالىٰ: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[الزمر:٤٢].

السؤال أسند الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- تارة التوفي إلى نفسه في قوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[الزمر:٤٢]، أسند الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- التوفي تارة إلى الرسل في قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ﴾[الأنعام:٦١]، وأسند التوفي في مرة ثالثة إلى ملك الموت فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[السجدة:١١].

فكيف الجمع بين هـٰذه الآيات؟ هل بينها تعارض؟

الجواب: أنه ليس بينها تعارض، وذلك أن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- هو المتوفي حقيقة، وهو الذي يتوفى الأنفس؛ لأنه هو المقدر ذلك وموجده وكاتبه وقاضيه وهو الذي قاضيه في الأزل وهو الذي يعمل به، فبهـٰذا الاعتبار هو المتوفي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما أن ملك الموت هو الذي وكّله الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بقبض الروح مباشرة من الميت فهو يقبضها مباشرة، فبهـٰذا الاعتبار أُسند إليه التوفي، فقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾، وباعتبار أن ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب لا تبقي الروح في يد ملك الموت طرفة عين؛ بل تأخذها منه مباشرة فقد أسند التوفي إليهم بقوله تعالىٰ: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ﴾.

فأسند التوفي إلى كلٍّ بحسبه، وبذلك يزول هـٰذا الإشكال ولا تعارض بين هـٰذه الآيات الثلاثة.

هـٰذا الكلام مفهوم أم نعيده؟ نعيده، أقول: أسند الله عز وجل التوفي تارة وإلى ملك الموت تارة، وإلى الملائكة -والرسل المقصود بهم الملائكة- تارة أخرى.

فهل هناك تعارض بين هـٰذه الآية: قال تعالىٰ: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ﴾؟

الجواب: ليس بينها تعارض؛ ذلك أن الملائكة أن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- هو المتوفى حقيقة؛ لأن المقدر لذلك وهو الآمر بذلك وهو المتصرف فيه، فكان بذلك هو الذي يتوفى الأنفس.

وأسند إلى ملك الموت باعتبار الذي يباشر قبض الأرواح؛ فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾.

وباعتبار أن الملائكة لا تبقيها في يده طرفة عين، وهم الرسل المعبر عنهم في وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ﴾، والمقصود بالرسل الملائكة، فإن ملائكة الرحمة تأخذها منهم مباشرة وتصعد بها إلى السماء إن كان مؤمنا، أو ملائكة العذاب إن كان كافرا.

فأسند التوفي إلى كلٍّ بحسبه: إن الله كونا وتقديرا وقضاء، ومن ملك الموت مباشرة وقبضا، وإلى ملائكة الرحمة حملا وصعودا إلىٰ السماء، فأسند كل إليه بحسبه.

هل لملك الموت اسم معين ثابت بالدليل؟ عزرائيل ليس بصحيح، اللهم إلا في بعض الإسرائيليات وليس بصحيح ، و لم يرد حديث صحيح باسم ملك الموت، فكون الناس يسمون ملك الموت عزرائيل هـٰذا ليس بصحيح، وليس عليه دليل صحيح يمكن إثباته.

مما يتعلّق بهـٰذه المسألة مسألة القرين، ثبت في صحيح مسلم أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما منكم من أحد إلا وله قرينه من الملائكة وقرينه من الجن**»، قالوا: حتى أنت يا رسول؟ قال: «**حتى أنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير**»،[1] كل إنسان على وجه البسيطة معه قرينان وهـٰذا غير الحافظين والكاتبين، الحافظان والكاتبان كل منهما من الملائكة.

وأما القرين فإنهما اثنان:

- قرين من الملائكة لا يأمر إلا بخير.
- وقرين من الجن لا يأمر إلا بالشر.

فكل إنسان عنده قرينان: قرين من الملائكة، وقرين من الجن.

فإن غلب قرين الملائكة فإنه يأمره بالخير، وإن غلب قرين الجن فإنه يأمر بالشر، فلما قالوا للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حتى أنت؟ قال: «**حتى أنا إن الله أعاني عليه حتى أسلم** -لأن هـٰذا القرين الجني أسلم - **فلا يأمرني إلا بخير**»، أما الرواية التي تقول: «فأسلمُ»؛ يعني أنني أسلم منه هـٰذه رواية ضعيفة لا يعول عليها، فالصحيح رواية الفتح بأسلم، «**فأسلمَ فلا يأمرني إلا بخير**»؛ يعني قرين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسلم فلا يأمر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلا بخير، ولعل ما يحصل للكهان من اتصال بالأرواح الخبيثة عن

([1]) **مسلم**: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه، حديث رقم (٢٨١٤).

طريق هـٰذا القرين من الجن، إذا كان غير مسلم فهـٰذا القرين من الجن يرمي به في متاهات خطيرة ويلقي به في أبواب الشر.

هـٰذا ما يتعلق بالملائكة، وننتقل إلى الفقرة الأخرى.

[المتن]

وَأَنَّ خَيْرَ الْقُرُونِ الْقَرْنُ الَّذِينَ رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَآمَنُوا بِهِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، [ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ].

وَأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وَأَنْ لاَ يُذْكَرَ أَحَدٌ مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ إلاَّ بِأَحْسَنِ ذِكْرٍ، وَالإِمْسَاكُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ وَأَنَّهُمْ أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ يُلْتَمَسَ لَهُمْ أَحْسَنُ الْمَخَارِجِ، وَيُظَنَّ بِهِمْ أَحْسَنُ الْمَذَاهِبِ.

[الشرح]

هـٰذه الفقرة عظيمة تتعلق بأصحاب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وفيها سبع مسائل:

المسألة الأولى: من هم خير القرون؟

المسألة الثانية: ما الأدلة على فضل الصحابة؟

المسألة الثالثة: من أفضل هؤلاء الصحابة؟

المسألة الرابعة: أن الصحابة كلهم عدول.

المسألة الخامسة: الاقتداء بهم وبأصحاب القرون المفضلة.

المسألة السادسة: حكم ما شجر بينهم.

المسألة السابعة: حكم سبهم أو اعتقاد ارتدادهم.

هـٰذه مسائل مهمة تتعلق بالصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

المسألة الأولى: أنهم موصوفون بالخيرية وأنهم خير القرون، وهم أصحاب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الذين عاصروه ولقوه وأسلموا وماتوا على ذلك. الذين لقوا النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مسلمين وماتوا على ذلك، هؤلاء هم الصحابة، الذين لقوه مسلمين وماتوا على الإسلام؛ ولو لم يلقاه إلا مرة واحدة.

ولذلك كل من حضروا حجة الوداع يعتبرون من الصحابة، وقد بلغوا جاءت به الروايات قرابة مائة ألف وعشرين ألفا، أو يزيدون على ذلك.

فإذن الصحابة هم من لقوا النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وماتوا على ذلك، وهم خير القرون، والقرن المقصود به الجيل، وقيل المقصود به كل مائة سنة، والصحيح الجيل فيقال: جيل الصحابة وجيل التابعين وجيل أتباع التابعين.

ويقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في ذلك: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»[1] والحديث في الصحيحين؛ بل هناك رواية رابعة «**ثم الذين يلونهم**» هؤلاء هم خير القرون، وهم أصحاب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وكذا التابعون بإحسان؛ لكن أفضلهم هم الصحابة على الإطلاق.

المسألة الثانية: مما ورد في فضلهم أن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أثنى عليهم في كتابه فبهم قام القرآن وبه قاموا، وبهم نطق القرآن وبه نطقوا، قال مثنيا عليهم: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ**﴾[التوبة:١٠٠]، وقال تعالىٰ: ﴿**لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[الحشر:٨-٩]، وقال تعالىٰ أيضا: ﴿**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾[الحشر:١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾[محمد:٢٩]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾[الفتح:١٨]. وقال تعالى: ﴿**لَقَد تَّابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ**﴾[التوبة:١١٧].

([1]) **البخاري**: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم (٣٦٥١). عن ابن مسعود.
مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة رَضِيَ اللهُ تعالىٰ عَنْهُم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، حديث رقم (٢٥٣٣). عن عمران بن حصين.

والآيات في فضلهم لا يتّسع لها المقام، فارجعوا إليها في كتاب الله تعالىٰ، لقد أثنى الله -عز وجل- عليهم كما أثنى عليهم ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: "**لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**"،[1] وقال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: ((**لن يدخل النار رجل بايع تحت الشجرة**))،[2] وقال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: ((**الله، الله في أصحابي، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله**))،[3] فالذين يؤذون أصحاب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يستحقون أن يكونوا مفارقين لجماعة المسلمين وليسوا منهم، وليسوا من أتباعهم وحق لهم أن يذادوا ويبعدوا من الشرب من حوض النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الذي من شرب منه شربة لا يضمأ منه أبدا. نسأل الله تعالى أن يسقينا وإياكم منه.

فهؤلاء هم الصحابة، والأحاديث كثيرة التي جاءت في فضلهم، وفي كرمهم وأنهم الرعيل الأول، وأنهم أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنهم نقلوا لنا الإسلام غضا طريا كما سمعوه من النبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ-، فرضي الله عنهم وأرضاهم، وقاتل من آذاهم ولعن من لعنهم وقبّح من قبحهم، وقاتل الله من يناهم بسوء أو ينال من أحد منهم.

المسألة الثالثة: من أفضل الصحابة؟ أفضلهم الخلفاء الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وهم على هـٰذا الترتيب على الصحيح، الذي عليه أهل السنة هو هـٰذا، ومن قدم أحدا على أبي بكر وعمر فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار كما قال سفيان الثوري رحمه الله تعالىٰ.

أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، ومن خالف ذلك فقد اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى وأعد له جهنم وساءت مصيرا، من خالف في هـٰذا الأمر فهو ليس من أهل السنة؛ بل وليس من أهل الحق؛ بل وليس من أهل الإسلام.

ويليهم العشرة المبشرون بالجنة وهم بقيتهم بعد الأربعة: عبد الرحمـٰن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، وسعيد بن زيد بن نفيل، وأبو عبيدة عامر بن الجراح.

ثم أهل بدر، ثم أهل أحد، ثم أهل بيعة شجرة الرضوان، ثم أهل الفتح، وهكذا، كلا وعد الله الحسنى.

وقال آخرون: لا يجوز التفضيل بينهم. ولكن هـٰذا مرجوح.

---

(1) سبق تخريجه في الصفحة (٩٨).

(2) سبق تخريجه في الصفحة (٩٦).

(3) جاء ((**الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله**))، رواه **البخاري**: كتاب مناقب الأنصار، باب حب الأنصار، حديث رقم (٣٧٨٣). و**مسلم**: كتاب الإيمان، الدليل على أن حب الأنصار ..، حديث رقم (٧٥).

والصحيح أنهم يتفاضلون.

وهـٰذا يجرنا إلىٰ:

المسألة الرابعة: وأنهم كلهم عدول بدون استثناء، فالصحابة كلهم عدول، لا يفسّق أحد منهم، ولا يبدع أحد منهم، ولا يكفر أحد منهم، ولا ينال من أحد منهم، فهم أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يقول عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عنْهُ: من كان متأسِّيا فليتأس بأصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنهم كانوا أبر هـٰذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، وأحسنها حالا، أولئك الذين اختارهم الله لصحبة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحفظ دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واقتدوا بهم فإنهم على الهدي المستقيم.

ويقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالىٰ: سنّ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وولاة الأمر من بعده سننا الأخذ بها تطبيق لكتاب الله واستكمال الطاعة لله وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر إلى شيء خالفها، من نظر بها فهو مهتدي، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا.

المسألة الخامسة: وهـٰذا يؤكد لنا وجوب الاقتداء بهم، فلابد من الاقتداء لأنهم أصحاب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولذلك بعد أن ذكر المهاجرين والأنصار قال: ﴿**وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ**﴾[التوبة:١٠٠]، وقال تعالى معقبا بعد ذكر المهاجرين والأنصار في آية أخرى في سورة الحشر قال: ﴿**وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ**﴾[الحشر:١٠]، ويقول عبد الله بن مسعود: ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن.

والمقصود رأيهم الحسن في استخلاف أبي بكر رَضِيَ اللهُ عنْهُ، وهـٰذا بإشارات أو نص صريح أو شبه صريح من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهـٰذا إجماع من المسلمون، والمقصود ما أجمع عليه المسلمون، وليس المراد ما تدعيه المبتدعة بأن ما رآه المسلمون في كل زمان حسن فهو حسن، ورتبوا على ذلك ما يسمونه بالبدعة الحسنة، لا، ليس الأمر كذلك، وإنما الأمر جاء في ذكر خلافة أبي بكر، واختيار الصحابة له؛ لأن اختيارهم اختيار موفق واختيار عظيم قد بينه رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأشار إليه؛ بل ونص عليه.

ولذلك فإنهم كلهم عدول، ويجب أن نقتدي بهم، وأن نتأسى بهم، كما رأيتم كلام عبد الله بن مسعود: من كان متأسيا فليتأسى بأصحاب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فإنهم كانوا أبر هـٰذه الأمة قلوبا.. إلى آخر كلامه رَضِيَ اللهُ عنْهُ.

ويقول حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللهُ عنْهُ: كل عبادة لم يتعبدها أصحاب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فلا تعبدوها، فإن الأول لم يدع للآخر مقالا، فاتقوا الله يا معشر القراء وخذوا طريق من كان قبلكم. يعني بذلك الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فتنبّهوا لهـٰذا اعرفوا لهم قدرهم.

المسألة السادسة: ما جرى بين الصحابة من خلاف ومن اقتتال في بعض الأحيان يجب الكف عنه؛ لأنهم:

إما مجتهدون مخطئون أو مصيبون.

وإما متأولون.

وإما أن لكل واحد منهم شبهة يعذره الله بها.

وإما يكون ذلك قد جرى بسبب ما دسه المندسون أمثال عبد الله بن سبأ عليه لعائن الله، اليهودي المشهور الذي أحدث فتنة قتل عثمان، ثم أحدث بذرة الخوارج والرافضة ومن جاء بعدهم من أصحاب النحل والأهواء المتفرقة المنحرفة.

فيجب أن نعرف للصحابة قدرهم، وأن لا نخوض فيما شجر بينهم، واقروا كتاب «العواصم من القواصم» لابن العربي -رحمه الله تعالى- صاحب كتاب «أحكام القرآن» وصاحب «عارضة الأحوذي شرح الترمذي»، فارجعوا إلى هـٰذا الكتاب فإنه قد أجاد وأفاد في هـٰذا الباب، فيما يتعلق بما شجر بين الصحابة، واقرؤوا ما كتبه في الاعتذار عنهم.

فما جرى بينهم إنما هو بسبب من اندس بين المسلمين أو بسبب تأويل وشبهة ظهرت لهم وهم معذورون في كل حال، ولا يخاض في هـٰذه المسألة إلا بقدر ما يبيّن أنهم معذورون، وأن لهم شبها يعذرون بها، وأن ذلك حصل بسبب فتنة أثارها من أثارها من دعاة الكفر والضلال من أمثال عبد الله بن سبأ وأضرابه، ولذلك يجب التنبه لما يخوض فيه الخائضون لما جرى بين أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

المسألة السابعة: أما حكم سبّهم فهو محرم قطعا، وقد أجمع أهل العلم على وجوب تعزير من سبهم؛ بل قال الإمام مالك رحمه الله: من سب الصحابة يستتاب فإن تاب وإلا قتل، وأما من كفّرهم فهو كافر؛ لأن تكفيرهم يعني ذهاب الدين كله، تكفيرهم أو تكذيبهم تكذيب للشريعة بأسرها؛ لأن الصحابة -رضوان الله عليهم- هم الذين نقلوا لنا هـٰذا الدين صافيا مصفيا، كما سمعوه من النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- فاعرفوا لهم قدرهم، وتأسوا بهم، واقتدوا بهم، فإنهم على الهدي المستقيم، وعلى هدي سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، فاعرفوا لهم فضلهم، ولا تمكّنوا أحدا من النيل منهم، وقفوا في وجهه وترضوا عنهم إنهم جميعهم عدول، فإن لابد أن نترضى عنهم جميعا، فإذا ذكر صحابي من أصحاب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- علينا نترضى عنه، ولا نلتفت إلى كلام الرافضة ولا إلى كلام بعض

الكتاب المحدثين الذين ربما يوصف بعضهم أنه كاتب من كتاب المسلمين وينال من عثمان أو ينال من معاوية أو ينال من أبي هريرة أو ينال من أنس أو ينال من أي صحابي من الصحابة، فإن هؤلاء يعني جهال؛ لا عقول عندهم نتيجة لجهلهم فإنهم لا ينالون إلا من أنفسهم.

فرضي الله عن الصحابة ورحمهم ورحم من اقتدى بهم وتأسى بهم، فإنهم على الهدي المستقيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

۞۞۞۞

[الأسئلة]

سؤال (٢٧): **فضيلة الشيخ إنه لا يفسّق أحد من الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- وقد جاء في الأحاديث أن بعضهم زنا وبعضهم شرب الخمر وغير ذلك، كيف توجه هـٰذا الإشكال؟**

الجواب: ما جاء من ذلك، فنحن نكف عنهم، ولا نخوض فيه.

ولعل الأخ يشير إلى قصة الرجل الذي أوتي به إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مرارا وهو يشرب الخمر وكان يجلده، ثم قال لما سبه من سبه قال: "**لا تلعنوه فوالله ما علمتُ إنّه يحب الله ورسوله**" [1] ويؤمل أنه قد تاب.

كذلك ماعز رَضِيَ اللهُ عنْهُ فإنه قد تاب، وجاء إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يطلب منه أن يطهّره.

كذلك المرأة الغامدية من أثر عنه هـٰذا، فإنه قد تاب وعنده من الكفرات، وعندهم من الماحيات للسيئات، وعندهم مما يكفر الذنوب الشيء الذي لا يوجد عند غيره.

فيجب أن نكف عن ذلك وأن لا نتكلم به بتفسيق ولا بتدبير.

سؤال (٢٨): **ما حكم اتخاذ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسيلة إلى الله تعالى بقوله تعالىٰ: ﴿وَابْتَغُوٓاْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ﴾[المائدة:٣٥] ؟**

الجواب: أولا قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**وَابْتَغُوٓاْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ**﴾ لا تتعلق بالوسيلة التي يفهمها الناس في هـٰذا الزمان.

وإنما المراد كما قال ابن كثير وابن جرير وابن عباس قبلهما وغير هؤلاء، أن المقصود بذلك التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة.

---

[1] **البخاري**: كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر وإنه ليس بخارج من الملة، حديث رقم (٦٧٨٠).

قال ابن جرير رحمه الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ﴾ أي أجيبوا الله فيما أمركم ونهاكم عنه، واطلبوا إليه القربة بالعمل لما يرضيه.

أقول: إن التوسل عبادة، والعبادة توقيفية، ولم يرد التوسل بالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولا بغيره، وكوننا لا نتوسل به لا يعني أننا نحط من قدره؛ بل إننا نرفعه ونتبع؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ﴾[آل عمران:٣١]، ويقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**» (١) ويقول: «**من أحدث في أمرنا هـٰذا ما ليس منه فهو رد**»(٢) وسيأتي في هـٰذا مزيد بيان في ختام هـٰذه الرسالة التي أمامنا لأن ختامها في الكلام عن البدع والمحدثات.

---

(١) **سنن الترمذي**: كتاب العلم عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، حديث رقم (٢٦٧٦). وقال: حسن صحيح.

سنن أبو داود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة، حديث رقم (٤٦٠٧) .

سنن ابن ماجه: باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، حديث رقم (٤٢، ٤٣) .

قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) سبق تخريجه في الصفحة (١٢٩).

بسم الله الرحمن الرحيم

الثلاثاء ١١ ليلة ١٢ شعبان ١٤١٦هـ بعد صلاة المغرب

[المتن]

وَالطَّاعَةُ لأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ وُلاَةِ أُمُورِهِمْ، وَعُلَمَائِهِمْ.

[الشرح]

بسم الله الرحمن الرحيم.

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ونستغفره، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شرور أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيئاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن اقتفى أثره وسار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

نختم بهذه الدرس -إن شاء الله تعالى- هذه الرسالة المباركة (مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله تعالى) عالم المغرب الذي عُرف بذبّه عن العقيدة، وكفاحه عن السنة، وهذه الجملة التي أوردها وهي أنّ الطاعة واجبة لأئمة المسلمين وهم الولاة والعلماء، الولاة الذين يحكّمون شرع الله ويقيمون حدوده، والعلماء الربانيون الذين يقولون بالحق وبه يعدلون، فإن طاعتهم من طاعة الله، قال الله عزّ وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[النساء:٥٩]، فشاهدنا من الآية على هذا الموضوع ﴿وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾، وقد فسّر أهل العلم أولي الأمر هنا بأنهم الولاة والعلماء، الولاة وهم الحكام الذين يحكّمون شرع الله ويقيمون حدوده، ويحلون حلاله ويحرّمون حرامه ويسوسون الناس بشرع الله القويم عقيدة وعبادة، وأخلاقا وآدابا وحدودا وأحكاما ومنهج حياة.

والعلماء الذين يقيّضهم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- في كل زمان ينفون عن دين الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين الذين يدعون إلى الله على بصيرة، والذين يقيمون دعوتهم على إخلاص العمل لله وحده، وتجريد المتابعة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فإن طاعة أولي الأمر من العلماء والأمراء المقيمين لشرع الله من طاعة الله عز وجل، فطاعتهم طاعة لله ولرسوله، ومعصيتهم معصية لله ولرسوله، وتكون طاعتهم في حدود طاعة الله؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

فطاعتهم تكون بتنفيذ ما يأمرون به وفق الشرع، والدعاء لهم والنصح لهم، ومؤازرتهم بالحق، والتعاون معهم على الخير، وأداء حقوقهم حتى وإن قُصِّر معك أنت في حقوقك؛ لأن طاعتهم من طاعة الله، كما قلنا وكما قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حدود طاعة الله.

وقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عنْهُ- أن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصى الأمير فقد عصاني، ومن عصاني فقد عصى الله**»،[1] هكذا يقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وروى البخاري ومسلم -رحمهما الله تعالى- عن حذيفة بن اليمان -رَضِيَ اللهُ عنْهُ- أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((**تسمع وتطيع للأمير وإن أخذ مالك وإن جلد ظهرك**))[2] وأن تسمع وتطيع للأمير الذي ولاه الله عليك، حتى ولو كانت ولايته بالغلبة فإنك تسمع وتطيع، وإن أخذ مالك وإن جلد ظهرك، هكذا يعلمنا النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- طريق الاجتماع وطريق وحدة المسلمين وهو السمع والطاعة لمن ولاه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- علينا، وعندما ذكر الأمراء الذين تعرف منهم وتنكر وقال حذيفة: أفلا نقاتلهم؟ قال: «**لا، ما صلوا**»[3]، وفي رواية: «**ألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان**»[4] ليس كفرا بواحا من وجهة نظرك أنت، وإنما من وجهة نظر الشرع، وحتى إذا وجد الكفر البواح فإن الخروج لا ينبغي إلا إذا وجدت في نفسك القدرة على الخروج والتغيير، وهذا في حال الكفر البواح، ووجدت جماعة تستطيع أن تغير المنكر دون أن يترتب عليه منكر يساويه أو منكرا أعظم منه.

فإن غلب على الظن ترتّب منكر عليه فإنه ليس لك ذلك حتى ولو كنت تحت حاكم كافر.

ولذلك هذه الأمور قل من يفهمها في هذا الزمان، الذي كثر فيه البعد عن العلماء وكثر فيه البعد عن أهل الخير، واتخذ الناس رؤوسا جهالا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا.

([1]) **البخاري**: كتاب الأحكام، باب قوله تَعَالَىٰ: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾، حديث رقم (٧١٣٧).
مسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، حديث رقم (١٨٣٥).

([2]) **مسلم**: كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال.. حديث رقم (١٨٤٧).

([3]) **مسلم**: كتاب الإمارة، باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما خالفوا الشرع، وترك قتالهم ما صلوا ونحو ذلك، حديث رقم (١٨٥٤).

([4]) **مسلم**: كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، حديث رقم (١٧٠٩).

لذلك فإنه يجب السمع والطاعة لولي الأمر حتى وإن كان ظالما، حتى إن أخذ مالك وإن جلد ظهرك، حتى وإن رأيت منه شيئا تكرهه، وإن رأيته يأتي شيئا من معصية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فاكره الذي يأتي من معصية وأطعه في حدود طاعة الله «**ولا تنزعن يدا من طاعة حتى ترى كفرا بواحا**» كما قال الصادق المصدوق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولذلك لما جاءوا إلى أبي ذر –رَضِيَ اللهُ عنْهُ– لما خرج إلى الربضة بعض أهل العراق، وقالوا له: يا أبا ذر مرنا واعقد لنا لواءً نخرج معك، قال: لا، فإن السلطان ظل الله في الأمر. فقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**السلطان ظل الله في الأرض، فمن أهان السلطان فقد أهانه الله، ومن أعز السلطان فقد أعزني**».[1]

فإذن يجب أن نتنبه لهذه الأمور التي خلط فيها الناس في هذا الزمان وخلطوا فيها فإن من بايع ثم نقض البيعة ثم مات فميتته ميتة جاهلية، «**من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة شبرا فمات فميتته ميتة جاهلية**»[2] انتبه يا عبد الله انتبه، فالأمر يحتاج إلى تأمّل ويحتاج إلى وعي، فإن طاعة ولي الأمر من طاعة الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تطيعه فيما تحبّ وفيما تكره ما لم يأمرك بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا طاعة.

ولذلك أُمرنا بالسمع والطاعة في العسر واليسر وعلى أثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله ما لم نر كفرا بواحا عندنا فيه من الله برهانا.

انتبه (عندك فيه من الله برهانا) يعني لا تحكم بعقلك، ولا تحكم بهواك، ولا تحكم برأيك، ولا تكفر الناس، كما يحلو لك، ولا تنزعن يدا من طاعة، لا بطريق الخروج بالسيف، ولا باليد ولا باللسان، ولا بالقلم وبالتهييج، ولا بالإثارة ولا بالكشف عن المعايب والمثالب، فإن ذلك كل مخالف لهدي رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ومخالف لمنهج السلف الصالح.

ولذلك أُمرنا أن نسمع ونطيع حتى فيما كرهنا ما لم يكن في معصية، وحتى على أثرة علينا، وحتى وإن ظلمنا، وحتى وإن أخذت أموالنا وجلدت ظهورنا، علينا السمع والطاعة ما دام فيه اجتماع لكلمة المسلمين، وما دام لم يظهر لنا عنده كفر بواح عندنا من الله فيه برهان.

([1]) جاء في مسند أحمد حديث رقم (٢٠٣١٢)، عن ابي بكرة قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ((**من أكرم سلطان الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الدنيا أكرمه الله يوم القيامة، ومن أهان سلطان الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الدنيا أهناه الله يوم القيامة**))، حسنه الشيخ الألباني في الصحيحة أنظر الحديث رقم (٢٢٩٧).

([2]) مسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، حديث رقم (١٨٤٨)

فتنبهوا لهـٰذا -أيها الإخوة- نحن في عصر كثرت فيه الفتن، وكثر فيه القوّالون، وكثر فيه المتحدِّثون، وكثر فيه المتطفلون على العلم، وكثر فيه الذين يحرِّفون الكلم عن مواضعه، وكثر فيه الذين يحملون النصوص ما لم تحتمل.

فاتق الله -يا عبد الله- وانتبه لذلك، ولا تنزعن يدا من طاعة، ولاسيما في بلاد تقيم شرع الله، وتحكّم شرع الله، وتقيم حدود الله، وتنشر دور العلم بكتاب الله، وتحيي السنة وتقمع البدعة، وتناصر العلماء وتقف معهم، وتؤيدهم وتدعمهم، وتهيئ لهم السبل وتذلل لهم الصعاب.

فانتبه -يا عبد الله-، والله لا نقول هـٰذا الكلام تملقا لأحد، وإنما نقوله دينا ندين الله به وأمرنا الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- به وأمرنا به رسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فاتق الله -يا عبد الله-، وانتبه لهـٰذا الأمر الذي خلط في الناس، واختلطت فيه أمورهم وكثر فيه الناعقون، والذين يهرّجون والذين يهيجون الشباب ويثيرون، ويكشفون عن المثالب والمعايب سواء ما يتعلق بالولاة والأمراء أو ما يتعلق بالعلماء الربانيين فإن من فعل ذلك، فإن هـٰذا من علامات المبتدعة، الكلام في ولاة المسلمين وفي علمائهم، هـٰذا من أعظم علامات المبتدعة الذين يثيرون الفتن ويفرِّقون كلمة المسلمين ويفرقون الجماعة، ومعلوم أن السنة مقرونة بالجماعة كما أن البدعة مقرونة بالفرقة.

فانتبه لهـٰذا أخي المسلم، فإنه كثر فيه الخلط في هـٰذا الزمان بين من لا يفقه الدين وبين من يسمون أنفسهم فقهاء الواقع، وهم فقهاء الصحف والمجلات، ولا يعرفون من واقع المسلمين شيئا، الذين يعرفون فقه الواقع هم العلماء الربانيون، الذين يدرسون كل قضية تجدّ ويوجدون لها الحلول على ضوء كتاب الله وسنة رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وعلى منهج السلف الصالح، فيدرسون ذلك ويعرضونه على هيئة كبار العلماء، وعلى المجلس الفقهي، وعلى مجلس الفقهاء، ويعرضونه على الشريعة، ويتأملون قواعد الشرع المستنبطة من الكتاب والسنة، والتي قال بها سلف الأمة، ويُفتون في ذلك على ضوئها، وهم مع ذلك يعلمون أنهم ربما يخطئون وربما يصيبون.

والذي ندين الله به أنهم مأجورون في كلا الحالين، فمن اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد.

وأما أولئك الذين أخذوا على عواتقهم بسبب تأثّرهم ببعض الجماعات المنحرفة عن الصراط المستقيم، والذين تشعبت بهم الأهواء وتفرقت بهم البدع وشعبتهم النحل، واتخذوا لأنفسهم جماعات مختلفة تتسمى بأسماء إسلامية، وكثير منها لا يعرف من هدي الكتاب والسنة شيئا، احذرهم، فالإسلام جماعة واحدة، لا جماعات، فعليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة ومن شذّ شذ في النار.

الزم جماعة المسلمين، الفرقة الناجية المنصورة التي اتبعت منهج رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في كافة نواحي الحياة، هـٰذه الفرقة الناجية، الطائفة المنصورة، أهل الحق، أهل التقوى، وأهل المغفرة، وأهل الإيمان، وأهل الإسلام، وأهل السنة والجماعة، كلها تؤدي مفهوما واحدا؛ ولكن العبرة ليست بالتسميات العبرة بالتصديق العملي لهـٰذه الأمور، والسير على هـٰذا المنهج قولا وعملا واعتقادا.

فانتبه لهـٰذا أخي المسلم، ولو قرأت كتب العقيدة كلها، سواء هـٰذا الكتاب الذي بين أيدينا، أو "كتاب السنة" لعبد الله بن أحمد، أو "كتاب السنة" لابن أبي عاصم، "السنة" للخلال، "السنة" للبربهاري، "شرح السنة" للبغوي، "الشريعة" للآجري، وغير ذلك من كتب السلف، لوجدت كل هـٰذه الكتب؛ بل قبلها كتب السنن: الصحيحين، والسنن الأربع، ومسند الإمام أحمد، وموطأ الإمام مالك، والمعاجم، والمسانيد، لا تجد كتابا من هـٰذه الكتب إلا وعقد بابا في وجوب الطاعة ولزوم الجماعة، وأوردوا فيه الأحاديث الكثيرة التي تبلغ العشرات والتي هي مخيفة "**من فارق الجماعة شبرا فميتته ميتة جاهلية**"، "**لا تنزعن يدا من طاعة**".

ثم أخي المسلم لا شك أننا مأمورون بالنصيحة للجميع: للخاصة والعامة، للعلماء والأمراء، لكتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقد روى البخاري ومسلم عن تميم الداري -رَضِيَ اللهُ عنْهُ- أن النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: "**الدين النصيحة، الدين النصيحة**" قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: "**لله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم**".[1]

فإذن أقول: هـٰذا الحديث عظيم، لكن يجب أن نعرف طرق النصح، كيف تكون النصيحة لله؟ كيف تكون لكتاب الله؟ كيف تكون لرسول الله؟ كيف تكون لأئمة المسلمين وعامتهم؟

والشاهد منها الآن الذي بين أيدينا الذي يتعلق بعبارة المصنف ((**ولأئمة المسلمين**)) أي ولاتهم وعلماؤهم، فالنصح لهم أن تحبهم، وأن تواليهم، وأن تدعو لهم، وأن تناصرهم، وأن تتعاون معهم على الخير، وأن تبذل لهم خالص النصح، وأن تحب لهم ما تحب لنفسك، وأن تكره لهم ما تكره لنفسك، ويكون النصح بطريقة شرعية، تتناصح معهم فيما بينك وبينهم بدون إثارة وبدون تهييج، فإن قُبلت النصيحة وإلا فقد أدّيت الذي عليك، وإلا فقد أدّيت الذي عليك.

([1]) **مسلم**: كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، حديث رقم (٥٥).

فعن عياض بن غنم الأشري -رَضِيَ اللهُ عنْهُ- قال: من أراد أن ينصح لأميره فلا يبدها علانية، وليأخذ بيده ولينصحه بينه وبينه، فإن قبل وإلا فقد أدى الذي عليه.[1] فقد برأت ذمته، إذا أخذت بيده ونصحته بينك وبينه برأت ذمتك، وأما الإثارة والتكلم على المنابر وتتبع المثالب، فإن هـٰذا لا يخدم الشرع ولا يخدم المسلمين؛ بل يفرّق كلمتهم ويشتّت شملهم، ويبعدهم عن هدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فتنبه لهـٰذا -يا عبد الله- وأحبّ أئمة المسلمين ما تحب لنفسك، وادع الله لهم في السر والعلن، حتى وإن كان عندهم ما عندهم من الانحراف أو من المخالفات أو من المعاصي، فإنّ في صلاحهم صلاح الرعية.

فاتق الله وادع الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- لهم، وأحب لهم ما تحب لنفسك ومَحِّضهم النصح فيما بينك وبينهم، وإياك أن تأخذك الأهواء وحب المناصب وطلب الكراسي في أن تنازع الأمر أهله وأن تتخذ منهجا غير منهج الأنبياء والمرسلين في هـٰذا السبيل؛ أعني فيما يتعلّق بمعاملة ولي الأمر أو ولاة الأمور من الأمراء والعلماء الربانيين، وإنما عليك أن تسلك السبيل الذي أشرنا إليه وهو سبيل الله وهدي رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو سبيل المؤمنين فمن اتّبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا.

فانتبهوا لهـٰذا الأمر، واجتهدوا فيه، وافهموه وفق الشرع، ولا تأخذكم العواطف، ولا تأخذكم بعض الأفكار الوافدة من بعض الجماعات التي وفدت من هنا وهناك، والتي اختصت لأنفسها مناهج لم يستشيروا فيها علماء الأمة، و لم يسيروا فيها على منهج علماء الأمة، وإنما اتخذوا طريق فرق كلمة المسلمين وشتت شملهم، وبعثر جهودهم وقوض بنيانهم من الأركان.

فاتقوا الله في هـٰذا الأمر وأولوه اهتمامكم.

[المتن]

وَاتِّبَاعُ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَاقْتِفَاءُ آثَارِهِمْ، وَالاِسْتِغْفَارُ لَهُمْ.

[الشرح]

قال: (**وَاتِّبَاعُ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَاقْتِفَاءُ آثَارِهِمْ، وَالاِسْتِغْفَارُ لَهُمْ**) قال الله تعالىٰ: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ**﴾[التوبة:١٠٠]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾[الحشر:١٠] ويقول رسول الهدى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**».[2]

---

[1] كتاب السنة لابن أبي عاصم، باب نصيحة الرعية للولاة، حديث رقم (١٠٩٧) قال الشيخ الألباني في ضلال الجنة: صحيح.

[2] سبق تخريجه في الصفحة (١٤٥).

فانتبه لهـٰذا يا عبد الله، واجتهد فيما يقربك إلى الله، واتبع سبيل المؤمنين لأنه صراط الله المستقيم، ﴿وَأَنَّ هـٰذا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[الأنعام:١٥٣].

فاتبعوا سبيل المؤمنين، فإن اتباع سبيل المؤمنين هو طريق النجاة، وطريق الفوز، وطريق مرضاة الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾[النساء:١١٥]، فالله الله، اتبعوا سنن من كان قبلكم، من المؤمنين، من السلف الصالح، لا من السنن الذين انحرفوا عن هـٰذا السبيل.

يقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله: سنّ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وولاة الأمر من بعده الأخذ بها تصديق لكتاب الله وإكمال الطاعة لله وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو مهتدي، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا.

انتبهوا لمثل هـٰذه الأقوال من أقوال الصحابة والتابعين، واتبعوا السلف الصالح، ولا تتبرموا من اتباع السلف، ومن كلمة السلف والسلفية، فإنه لا يتبرأ من ذلك إلا أنوق وأحمق لا يعرف ما الدين إلا رسمه ولا يعرف من الإسلام إلا اسمه.

فتنبه يا عبد الله، وإياك والتنكر لسلفنا الصالح من الصحابة والتابعين، والتابعين لهم بإحسان، من العلماء الربانيين الذين يقولون بالحق وبه يعدلون.

[المتن]

وَتَرْكُ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ فِي الدِّينِ وَتَرْكُ كُلِّ مَا أَحْدَثَهُ الْمُحْدِثُونَ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

[الشرح]

قال: (وَتَرْكُ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ فِي الدِّينِ) المراء هو الجدال بغير حق، وقد وصف الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أهل الضلال والكفر بأنهم يجادلون في الله بغير حق، يجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق، ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[الأنعام:١٢١]، فالجدال الذي لا طائل تحته من سمات المشركين، وهو المراء بالباطل، ليس المقصود الجدال بالحق وإقامة الحجج بالحق ليدمغ به الباطل، فهـٰذا مطلوب لذلك أمرنا أن نجادل أهل الكتاب بالتي هي أحسن ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ﴾[النحل:١٢٥]، ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[العنكبوت:٤٦].

فإذن علينا أن نعرف الفرق بين الجدال المشروع وهو إقامة الحجج والبراهين الشرعية والعقلية للرد على دعاة الباطل والمخالفين والمبدعة، هـــٰذا ليس من الجدال، وإنما الجدال المذموم هو الجدال بالباطل، ولذلك يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا**»[1]، المقصود بالمراء الذي يقصد به التعالي على الناس والتعاظم عليهم، حتى لو تكون صاحب حق يخصك أنت، وأما الحق الذي إقامة دين الله والانتصار للسنن، فهـــٰذا لا يدخل فيه مثل هـــٰذا الحديث فقوله: «**وإن كان محقا**»؛ يعني المقصود إذا كان الحق حقا خاصا أنت في مجال المخاصمات، هـــٰذا ينبغي المفضل أن تترك الجدال فيه ولعل الله أن ينتصر لك.

ولكن الجدال لإقامة الحق؛ لإقامة دين الله، لقمع المبتدعة، لبيان السنن، فإن الجدال هنا مطلوب، ولذلك يقول أبيّ بن كعب رَضِيَ اللهُ عنْهُ: إذا رأيتم الذين يجادلونكم بالقرآن فخذوهم بالسنن. فقد قل أهل السنن، الذين يجادلون بالمتشابه مثل القرآنيين، ومثل الذين يشككون في الأحاديث الصحيحة بدعوى أنها أحاديث آحاد، أو أن العقل يردها أو نحو ذلك، فهؤلاء يؤخذون بالسنن، ويبين لهم الحق ويجادلون لإعلاء كلمة الله ولقمع البدع.

ولذلك ألّف المسلمون ردودا قيمة في هـــٰذا المجال مثل كتاب «نقض المنطق» لشيخ الإسلام ابن تيمية و«نقض المجاز»، و«الرد على الجهمية» و«الرد على داوود بن جرجير»، و«الرد على البكري»، و«الرد على الأخنائي»، و«الرد على الجهمية» للإمام لعثمان بن سعيد الدارمي ولابن منده ولغيرهم من أهل العلم؛ يعني المجادلة لإعلاء الحق هـــٰذا أمر لا يشكك فيه.

وإنما الجدال المذموم هو الجدال بالباطل، وهو المحرم، وإنما الجدال لإعلاء كلمة الله ودحض شبه المبطلين والمبتدعة هـــٰذا أمر مطلوب بالبراهين الساطعة النقلية والعقلية، حتى يتبين لهم أنه الحق، هـــٰذا أمر مطلوب، فالجدال المذموم هو الجدال بالباطل الذي يخاصم بالباطل، حتى وإن كان محقا ليس له أن يستخدم وسيلة باطلة إذ الغاية لا تبرر الوسيلة.

لو قال لنا قائل: نحن الآن نستخدم مثلا بعض الأشياء المحرمة لنصل إلى الحلال، أو لنصل إلى إقامة دين الله، ندخل في البرلمانات والانتخابات، وندخل في الصياح والمظاهرات والمهاترات، ويتصل الرجال بالنساء، وكل واحد يصيح الله أكبر وا إسلاماه، هل هـــٰذا من الدين؟ لا والله، وإن أفتى من أفتاه، وإن أفتى من افترى.

([1]) سنن أبي داوود: كتاب الأدب، باب حسن الخلق، حديث رقم (٤٨٠٠)، قال الشيخ الألباني: حسن، وهو في السللة الصحيحة برقم (٢٧٣).

المظاهرات والإضرابات هـٰذه تهدم ولا تخدم، تجد يقومون بمسيرة ما شاء الله في بلاد كذا وكذا، الرجال مع النساء كل واحد مصفف للآخر، وصياح الله أكبر وا إسلاماه، وهـٰذه امرأة عارية بينهم، وهـٰذه رجل لا يمثل الإسلام لا في مظهره ولا مخبره وهـٰذا شكله كذا، وهـٰذا لا يصلي، ولا هـٰذا لا يزكي، المهم نقيم مسيرة لأن الغاية عندهم تبرر الوسيلة.

هل هـٰذه المظاهرات والدخول في البرلمانات، والإقسام على الدساتير الوضعية من دين الله؟ هل يقره دين الله؟ بأي كتاب أو بأي سنة؟

يا إخوان لا تنخدعوا بفتاوى المضللين، لا تنخدعوا بفتاوى بعض من طمست قلوبهم عن سماع الحق، و لم يتتلمذوا على أيدي العلماء الربانيين، نصبوا أنفسهم مفتين، والواحد منهم أجهل من حمار أهله.

ثم يأتي ويفتي الناس، ويقول لك: أدخل في الظاهرات وصيح، طيب، صحت ومشيت في مسيرة وصحت لغد، ما الذي سيحدث؟ ما فيه إلا الدمار والخراب للإسلام والمسلمين، لو اشتغلت بالتعليم وفقهت الناس في دين الله ستغير المجتمع وأنت مرتاح؛ لكن تدعوهم إلى تقليد الغرب، من أين جاءنا نظام المظاهرات والانتخابات والبرلمانات والكلام الفارغ هـٰذا؟ هل هو مبدأ إسلامي أو مبدأ غربي، والله من سماه مبدأ إسلامي إنه كذاب أشر، هو مبدأ غربي مبدأ مستورد من الغرب، ولذلك تجد الغرب يؤيدون هـٰذه القضايا، وبعض الناس يظن أن التأييد للمسلمين والإسلاميين، لا والله، هل هم يؤيدون أحدا من المسلمين؟ ولو رأيناهم يؤدون المظاهرات والديمقراطية التي يدعون، الديمقراطية معناها التميع والتفسخ والانحلال، هـٰذه الديمقراطية التي يدعون إليها، يريدون الأمر فوضى.

فاتق الله يا عبد الله، واعلم أن هـٰذا من الجدال الذي حرّمه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، والدخول في هـٰذه الأمور من التشبه بأعداء الإسلام، و«**من تشبه بقوم فهو منهم**». [1]

ثم حذّر في ختام هـٰذه الرسالة -رحمه الله- من البدع ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، وكان رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كثيرا ما يخطب وقد احمر وجهه واحمرت عيناه وينادي بأعلى صوته -وكأنه منذر جيش يقول: صبحكم أو مساكم- يقول: «**إن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**»،[2] فإنه فعل هـٰذا مرارا وتكرارا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ؛ لأنه يعلم أن أخطر الأمور على الدين هي البدع؛ لأنها إحداث في الدين، وتغيير لشرع

---

[1] **سنن أبي داوود**: كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة. رقم (٤٠٣١)، قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.
قال شيخ الإسلام في الاقتضاء ج١ ص٢٦٩: هٰذا إسناد جيد،

[2] سبق تخريجه في الصفحة (١٥٠).

الله، بدع التصوف، بدع الرفض، بدع الطرق المختلفة، بدع الجماعات المختلفة، والإسلام جماعة واحدة وإن تسمت تلك الجماعات بأسماء إسلامية، بدع البناء على القبور، والتوسل بأهلها ودعائهم من دون الله وسؤالهم قضاء الحاجات وكشف الكربات، بدع الأذكار الجماعية والأصوات المنكرة التي أحدثها المسلمون، كل هـٰذا من الإحداث في دين الله، يقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من أحدث في أمرنا هـٰذا ما ليس منه فهو رد**»،[1] ويقول: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**»،[2] ويقول عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَم: «**إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته**»[3]، والبدعة هي الإحداث في الدين.

ولذلك يقول الشاطبي -رحمه الله تعالى- في الاعتصام يقول: البدعة طريقة مخترعة في الدين تضاهي الشرعية، يُقصد بالسلوك عليها التعبد لله تعالىٰ، أية بدعة سواء سموها حسنة أو سيئة، جميع البدع سيئات، ليست هناك بدعة حسنة.

فاحذروا من البدع فإن البدع بريد الكفر، لا يفهم الواحد أن كل مبتدع كافر، لا ، أقول: البدع بريد الكفر؛ يعني طريق في نهاية المطاف إلى الكفر.

تبدأ ببدعة يسيرة، ومعظم النار من مستصغر الشرر، ولذلك يقول الإمام البربهاري رحمه الله: واحذر صغار المحدثات فإنها تعود كبارا. يعني إذا تساهلت فيها يوما ما سوف تكبر وتكبر وتكبر، لذلك في قصة أبي موسى الأشعري عندما رأى بعض الناس يسبحون بالحصى في مسجد الكوفة وبينهم إمام يقول: سبحوا الله مائة وهللوا مائة وافعلوا كذا؛ بطريقة مخالفة لهدي رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فأخبر عبد الله بن مسعود، فجاء عبد الله بن سعود وقال: ما أسرع هلكتكم يا أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهـٰذه ثياب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم تبل، وآنيته لم تكسر، فوالله ابتدعتم بدعة ظلمة، أو فقتم صحابة رسول الله علما.

يعني أنتم بين أمرين:

إما أنكم ادعيتم أنكم جاءكم علم لم يلغ أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أم أنكم ارتكبتم بدعة في الدين ما أنزل الله بها من سلطان.

([1]) سبق تخريجه في الصفحة (١٢٩).

([2]) سبق تخريجه في الصفحة (١٢٩).

([3]) صحيح الترغيب والترهيب، كتاب السنة، الترهيب من ترك السنة وارتكاب البدع والأهواء، حديث رقم (٥٤).

والصواب الثاني؛ فهي بدعة في الدين ومحدثة. يقول الراوي لهـٰذا الأثر العظيم، يقول: فرأيت عامة أصحاب تلك الحلق يطاعنوننا يوم النهروان. سبحان الله ما هو يوم النهروان؟ الموقعة بين علي بن أبي طالب وبين الخوارج الذين كفروا المسلمين، عرفنا.

فيقول: إن الذين بدؤوا بهـٰذه البدعة البسيطة في نظر الناس، تسبيح جماعي، تكبير جماعي، تهليل جماعي، تسبيح بالحصى، هـٰذه بدعة في نظر الناس أنها بسيطة؛ لكن هؤلاء الذين بدؤوا بهـٰذه البدعة البسيطة تطوروا حتى دخلوا في مذهب الخوارج وأصبحوا يكفرون الصحابة، وعلى رأسهم علي بن أبي طالب وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عنْهُم أجمعين.

قال: فرأيت عامة هـٰذه الحلق يطاعنوننا يوم النهروان، سبحان الله؛ يعني هؤلاء الذين كانوا يمكن عبد الله بن مسعود رآهم قبل سنين طويلة، ثم بعد سنة سبع وثلاثين أو ثمانية وثلاثين في قضية الخوارج رئي هؤلاء الذين كانوا يجتمعون في المسجد على هـٰذه البدعة البسيطة رآهم يعتنقون منهج الخوارج وهو تكفير المسلمين بالمعاصي والذنوب.

فالبدعة خطيرة؛ بل هي بريد الكفر.

نسأل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أن يغفر لصحاب هـٰذه الرسالة، وهو محمد بن أبي زيد القيرواني، عالم المغرب -رحمه الله تعالى- الذي خلّف لنا هـٰذه الرسالة التي كتبت بأحرف من نور، فإن كل كلمة فيها لها مستند من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على منهج السلف الصالح، فاحفظوها فهـٰذه الرسالة صغيرة جدا، وإياكم والشروح التي شُرحت إلا بعض الشروح القليلة المختصرة لبعض المشايخ هنا.

أما الشروح القديمة فأغلبها شرحت على منهج التصوف والأشعرية، فانتبهوا فتلك الشروح خطيرة جدا، وهـٰذه الرسالة سهلة جدا فاحفظوها واحفظوا أمثالها من رسائل السلف رحمهم الله تعالىٰ، وجزى الله الشيخ خير الجزاء ورحمه رحمة واسعة.

وأسأل الله الكريم، رب العرش العظيم، أن يوفقني الله وإياكم لما يحبه ويرضاه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

نظم مقدِّمة الرِّسالة

للشيخ أحمد بن مشرَّف الأحسائي المالكي المتوفى سنة ١٢٨٥ هـ

الحمدُ لله حمداً ليس مُنحصرا		على أياديه ما يخفى وما ظهرَا
ثم الصلاةُ وتسليمُ المهمين ما		هبَّ الصبَّا فأدرَّ العارضَ المَطرَا
على الذي شاد بنيانَ الهُدى فسَما		وساد كلَّ الوَرَى فخراً وما افتخرَا
نبيِّنا أحمد الهادي وعَتْرته		وصحبه كلِّ مَن آوى ومن نصرَا
وبعدُ فالعلمُ لم يظفر به أحدٌ		إلاَّ سَمَا وبأسباب العُلى ظفرَا
لا سيما أصل علم الدِّين إنَّ به		سعادةَ العبد والمنْجَى إذا حُشرَا

باب ما تعتقدُه القلوب وتنطق به الألسن من واجب أمور الديانات

وأولُ الفرض إيمانُ الفؤاد كذا		نُطقُ اللِّسانِ بما في الذِّكر قد سُطرَا
إنَّ الإلهَ إلهٌ واحدٌ صَمد		فلا إلٰه سوى مَن للأنام برَا
ربُّ السمٰوات والأرضين ليس لنا		ربٌّ سواه تعالى مَن لنا فطرَا
وأنهُ موجدُ الأشياء أجمعها		بلا شريك ولا عَونٍ ولا وُزرَا
وهو المنزه عن ولد وصاحبة		ووالد وعن الأشباه والنُّظرَا
لا يبلغن كُنْه وصف الله واصفُه		ولا يحيط به علماً مَن افتكرَا
وأنَّه أوَّل باق فليس له		بدءٌ ولا منتهى سبحان من قدرَا
حيٌّ عليمٌ قديرٌ والكلام له		فردٌ سميعٌ بصيرٌ ما أراد جرَى
وأنَّ كرسيَّه والعرش قد وسعَا		كلَّ السمٰوات والأرضين إذ كبرَا
ولم يزل فوق ذاك العرش خالقُنا		بذاته فاسأل الوحيين والفطرَا
إنَّ العلوَّ به الأخبارُ قد وردتْ		عن الرَّسول فتابع مَن رَوى وقرَا
فالله حقا على المُلك احتوى وعلى		عرش استوى، وعن التكييف كُن حَذِرَا
والله بالعلم في كلِّ الأماكن لا		يخفاه شيءٌ سميعٌ شاهدٌ ويرَى
وأنَّ أوصافَه ليست بمُحدَثة		كذلك أسماؤه الحُسنى لِمَن ذكرَا
وأن تنزيلَه القرآنَ أجمعَه		كلامُه غيرُ خلق أعجز البشرَا
وحْيٌ تكلَّم مولانا القديمُ به		ولم يزل من صفات الله مُعْتبرَا
يُتلَى ويُحمل حفظاً في الصدور كما		بالخطِّ يُثبتُه في الصُّحف مَن زَبَرَا
وأن موسى كليمُ الله كلَّمه		إلهُه فوق ذاك الطور إذ حضرَا
فالله أسمعه مِن غير واسطة		من وصفه كلمات تحتوي عِبرَا

حتى إذا هام سُكراً في محبَّته		قال الكليم: إلَهي أسأل النَّظرَا
إليك قال له الرحمٰن موعظة		أنِّي تراني ونوري يُدهشُ البصرَا؟
فانظر إلى الطور إن يثبت مكانته		إذا رأى بعضَ أنواري فسوف ترَى
حتى إذا ما تَجلّى ذو الجلال له		تصدَّع الطورُ من خَوف وما اصطبرَا

فصل في الإيمان بالقدر خيره وشرِّه

وبالقضاء و بالأقدار أجمعها		إيمانُنا واجبٌ شرعاً كما ذكرَا
فكلُّ شيء قضاه الله في أزَل		طرًّا وفي لوحه المحفوظ قد سطرَا
وكلُّ ما كان من همٍّ و من فَرح		ومن ضلال ومن شكران مَن شكرَا
فإنَّه من قضاء الله قدَّره		فلا تكن أنت مِمَّن ينكر القدرَا
والله خالقُ أفعال العباد وما		يجري عليهم فعن أمر الإلَه جرَا
ففي يديه مقادير الأمور وعن		قضائه كلُّ شيء في الورى صدرَا
فمَن هَدى فبمحض الفضل وفَّقه		ومن أضلَّ بعدل[1] منه قد كفرَا
فليس في مُلكه شيءٌ يكون سوى		ما شاءه الله نفعاً كان أو ضررَا

فصلٌ في عذاب القبر وفتنته

و لم تَمُت قطُّ من نفس وما قُتلت		من قبل إكمالها الرِّزق الذي قُدرَا
وكلُّ روح رسولُ الموت يقبضُها		بإذن مولاه إذ تستكمل العُمُرَا
وكلُّ من مات مسئولٌ ومفتتنٌ		من حين يوضعُ مقبوراً ليُختبرَا
و أنَّ أرواحَ أصحاب السعادة في		جنَّات عدن كطير يعلق الشَّجرَا
لكنَّما الشُّهدا أحيا وأنفسهم		في جوف طير حسان تُعجب النَّظَرَا
وأنَّها في جنان الخلد سارحةٌ		من كلِّ ما تشتهي تجني بها الثَّمرَا
وأنَّ أرواح من يشقى معذَّبةٌ		حتَّى تكون مع الجُثمان في سَقَرَا

فصل في البعث بعد الموت

وأنَّ نفخةَ إسرافيلَ ثانية		في الصُّور حقٌّ فيحيي كلَّ مَن قُبرَا
كما بدا خلقهم ربِّي يُعيدُهم		سبحان من أنشأ الأرواحُ و الصُّوَرَا
حتى إذا ما دعا للجمع صارخُه		و كلُّ ميْت من الأموات قد نُشرَا
قال الإلَه: قِفوهم للسؤال لكي		يقتصَّ مظلُومُهم مِمَّن له قَهَرَا

(1)

فيوقَفون ألوفًا من سنينهمُ		والشمسُ دانيةٌ والرَّشْحُ قد كثُرَا
وجاء ربُّك و الأملاكُ قاطبة		لهم صفوفٌ أحاطت بالورى زُمرَا
وجيء يومئذ بالنار تسحبُها		خزانُها فأهالت كلَّ مَن نظرَا
لها زفيرٌ شديدٌ من تغيظها		على العُصاة وترمي نحوهم شررَا
ويرسل اللهُ صُحف الخلق حاويةً		أعمالَهم كلَّ شيء جلَّ أو صغُرَا
فمَن تلقَّته باليمنى صحيفتُه		فهْو السَّعيد الذي بالفوز قد ظفرَا
ومن يكن باليد اليسرى تناوُلها		دعا ثُبوراً وللنيران قد حُشرَا
ووزنُ أعمالهم حقٌّ فإن ثقلت		بالخير فاز وإن خفَّت فقد خسرَا
وأنَّ بالمثل تُجزى السيِّئات كما		يكون في الحسنات الضِّعف قد وفرَا
وكلُّ ذنب سوى الإشراكِ يغفرُه		ربِّي لِمَن شا وليس الشركُ مُغتفرَا
وجنَّة الخُلد لا تفنى وساكنُها		مخَلَّدٌ ليس يخشى الموتَ والكبرَا
أعدهَّا اللهُ داراً للخلود لِمَن		يخشى الإلَهَ وللنَّعماء قد شكرا
وينظرون إلى وجه الإلٰه بها		كما يرى الناس شمسَ الظهر والقمرَا
كذلك النارُ لا تفنى وساكنُها		أعدهَّا اللهُ مولانا لَمن كفرَا
ولا يخلد مَن يوَحِّدُه		ولو بسفك دم المعصوم قد فَجَرَا
وكم يُنجي إلَهي بالشفاعة مِنْ		خير البريِّة من عاص بِها سجرًا

فصل في الإيمان بالحوض

وأنَّ للمصطفى حوضاً مسافتُه		ما بين صَنْعَا وبُصرَى هكذا ذكرَا
أحلَى من العسل الصافي مذاقتُه		وأنَّ كِيزَانَه مثلُ النجوم تُرَى
ولم يَرِدْه سوى أتباع سُنَّته		سيماهم: أن يُرى التَّحجيل والغُرَرَا
وكم يُنحَّى ويُنفَى كلُّ مبتدع		عن وِرْدِه ورجالٌ أحدثوا الغيرَا
وأن جسراً على النِّيران يَعبُرُه		بسرعة مَن لمنهاج الهُدى عبَرَا
وأنَّ إيْمَانَنا شرعاً حقيقتُه		قصدٌ وقولٌ وفعلٌ للذي أمرَا
وأنَّ معصيةَ الرحمٰن تُنقصُه		كما يزيد بطاعات الذي شَكَرَا
وأنَّ طاعةَ أولي الأمر واجبةٌ		من الهُداة نجوم العلم والأُمرَا
إلاَّ إذا أمروا يوماً بمعصية		من المعاصي فيُلغى أمرهم هَدَرَا
وأنَّ أفضلَ قرن للَّذين رأوا		نبيَّنا وبهم دينُ الهُدى نُصرَا
أعِني الصحابةَ رُهبانٌ بليلهمُ		وفي النهار لدى الهَيْجَا لُيوث شَرَى

وخيرُهم مَن ولِي منهم خلافته		والسَّبق في الفضل للصِّدِّيق مع عُمَرَا
والتابعون بإحسان لهم وكذا		أتباع أتباعهم مِمَّن قفى[1] الأثَرَا
وواجبٌ ذِكرُ كلّ من صحابته		بالخير والكفُّ عمَّا بينهم شَجَرَا
فلا تخُض في حروب بينهم وقعت		عن اجتهاد وكنْ إن خُضتَ معتذِرَا
والاقتداءُ بهم في الدِّين مفتَرَضٌ		فاقتد بهم واتَّبع الآثار والسُّوَرَا
وتركُ ما أحدثه المُحدِثون فكم		ضلالة تبعت والدِّين قد هُجِرَا
إنْ الهُدى ما هدى الهادي إليه وما		به الكتاب كتاب الله قد أمَرَا
فلا مراء وما في الدِّين من جدلٍ		وهل يُجادل إلاَّ كلُّ مَن كفرَا
فهاك في مذهب الأسلاف قافيةً		نظماً بديعاً وجيزَ اللَّفظ مختصرًا
يحوي مهمّات باب في العقيدة من		رسالة ابن أبي زيد الذي اشتهرَا
والحمد لله مولانا ونسأله		غفران ما قلَّ من ذنب وما كثرَا
ثمَّ الصلاةُ على مَن عمَّ بعثته		فأنذر الثَّقلين الجنّ والبَشَرَا
وديْنُه نَسَخ الأديانَ أجمَعَها		وليس يُنْسَخُ ما دام الصَّفَا وحرَا
محمد خير كلِّ العالَمين		ختم النبيِّين والرُّسل الكرام جَرَا
وليس من بعده يوحَى إلى أحد		ومن أجاز فحَلَّ قتلُه هَدَرَا
والآلُ والصَّحبُ ما ناحت على فنَن		وَرْقَا ومَا غرَّدت قُمْريّة سَحَرَا

[1] عند بكر أبو زيد: قضى، و لم يظهر لي وجهه، وفي غيرها: قفى.

الفهرس

بين يدي الرسالة ٢
ترجمة موجزة لأبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني ٣
حول مقدمة الرسالة ٤
نص مقدمة الرسالة ٥
الدرس الأول ١١
مقدمة الشارح ١١
مقدمة مؤلف الرسالة ١٣
سبب تأليف الرسالة ١٨
الفوائد التي اشتملت عليها مقدمة مؤلف الرسالة ١٩
الأسئلة ٢٠
سؤال (٠١): أرجو منكم بيان أو ذكر متن في العقيدة حتى تؤسس العقيدة الصحيحة؟ ٢٠
سؤال (٠٢): هل يقدم الإنسان بر والديه على العلم، علما بأن بلده يوجد فيه بعض العلماء أو دور العلم؛ ولكن يريد أن يتوسّع –كما فهمت من السؤال– وأيضا هناك إخوانه يحتاجون إلى تربية؟ ٢١
سؤال (٠٣): ما قولكم فيمن يقول: إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يكفّر الناس، وأنه قاتلهم لذلك، وما إلى ذلك من الإشاعات والأقاويل؟ ٢١
الدرس الثاني ٢٤
بَابُ مَا تَنْطِقُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، وَتَعْتَقِدُهُ الأَفْئِدَةُ مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ الدِّيَانَاتِ ٢٤
ابتداء المصنف بأول واجب على العبد ٢٤
مخالفة بعض المعاصرين فيما هو أول واجب ٢٥
أول ركن في الإيمان هو الإيمان بالله ٢٦
ست قواعد على الأسماء والصفات ٢٩
معنى الكرسي والرد على المخالفين ٣٠
للعلو ثلاث معاني عند السلف ٣١
شرح بعض الأسماء التي ذكرها المؤلف ٣١
الأسئلة ٣٢
سؤال (٠٤): لماذا لم يذكر المصنف –رحمه الله– العمل عند ذكر بداية المتن: الإيمان بالقلب والنطق باللسان؟ ٣٢
سؤال (٠٥): يقول البعض في أثر ابن عباس "الكرسي موضع القدمين" يحتمل أن يكون قد أخذ هـٰذا عن بعض أهل الكتاب، ومعلوم أن أثر الصحابي يكون حجة فيما إذا كان لا مجال للعقل فيه، وكذلك أن لا يكون مما ينقل عن أهل الكتاب، ما جوابكم جزاكم الله خيرا؟ ٣٣
سؤال (٠٦): ما الدليل على أن الصفات لها معاني، وما المقصود بذلك؟ ٣٣

الدرس الثالث ٣٦
الفوقية وتصنيف الأدلة في ذلك ٣٦
معنى قوله: وهو في كل مكان بعلمه ٤١
معنى الاستواء على العرش ٤٣
ست قواعد في أسماء الله ٤٥
الدرس الرابع ٤٨
إثبات صفة الكلام لله وأن القرآن كلام الله غير مخلوق ٤٨
أشهر أقوال الناس في الكلام أربع ٤٩
الرد على شبه المعتزلة في الكلام ٤٩
قاعدة فيما يضاف إلى الله ٥١
الرد على الأشاعرة في مسألة الكلام ٥٢
الأسئلة ٥٥
سؤال (٠٧): فضيلة الشيخ قلتم: إن معظم العالم الإسلامي أشاعرة، سمعنا من بعضهم أن هـٰذا الحكم غير صحيح؛ لأن معظم العالم عوام، والعوام لا يعدون من الأشاعرة كما هو معلوم، فنرجو التفصيل؟ ٥٥
سؤال (٠٨): ما الفرق بين القرآن مخلوق وما بين أنه كلام الله، رجاء التفصيل؟ ٥٦
الدرس الخامس ٥٧
الإيمان بالقضاء والقدر ٥٧
مراتب القدر الأربع ٥٨
المشيئة مشيئتان ٦١
الرد على القدرية والجبرية ٦٢
مسائل في باب القدر ٦٣
الأولى: الناس في القدر ثلاث طوائف ٦٣
الثانية: فيم العمل وقد كتب الله مقادير الأشياء؟ ٦٦
الثالثة: الكف في باب القدر ٦٧
الإيمان بالرسل ٦٧
الإيمان بأن النبوة ختمت بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ٦٩
الفرق بين النبي والرسول ٦٩
أول رسول وأول نبي ٧٠
أولي العزم من الرسل ٧٠
المفاضلة بين الرسل ٧٠

ختم النبوة ٧٢
عموم الرسالة ٧٢
الإيمان بالساعة والبعث ٧٣
مضاعفة الحسنات وكتابة السيئات ٧٤
محو الكبائر بالتوبة ٧٥
العاصي الميت تحت المشيئة ٧٥
أهل الكبائر لا يخلدون في النار إذا دخلوها ٧٥
غفران الصغائر باجتناب الكبائر ٧٥
اله تعالى لا تخفى عنه خافية ٧٦
الله تعالى هو المتصرف في حكمه ٧٦
الدرس السادس ٧٧
الشفاعة لأهل الكبائر ٧٧
خلاصة عقيدة أهل السنة في أهل الكبائر في ستة أمور ٧٩
الناس تجاه مرتكب الكبيرة أربعة أقسام ٨٠
عقيدة له أهل السنة في الجنة والنار ٨٢
الجنة والنار مخلوقتان ٨٣
الرد على المعتزلة في قولهم أن الجنة والنار لم توجدا بعد ٨٤
الرد على المعتزلة في القول بفناء النار ٨٥
الأسئلة ٨٦
سؤال (٠٩): كيف الجمع بين اعتقاد أهل السنة والجماعة في الكبيرة والآية التي تدلّ على أن قاتل النفس خالد مخلد في النار؟ ٨٦
سؤال (١٠): ما الدليل على أن العرش والملائكة لا تفنيان؟ ٨٦
سؤال (١١): نرجو من فضيلتكم توضيح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾[النساء:١٨]هل هم أصحاب الكبائر وجزاكم الله خيرا؟ ٨٦
الدرس السابع ٨٨
هل الجنة التي كان فيها آدم هي جنة الخلد؟ ٨٨
نظر المؤمنين لوجه ربهم الكريم ٨٩
الرد على الطوائف التي أنكرت الرؤية ٩١
هل رأى نبينا ربه في الدنيا؟ ٩٣
صفة المجيء ٩٤
العرض والحساب ٩٤

الميزان ٩٦
أحوال الناس بعد الوزن ٩٧
الدرس الثامن ٩٩
عقيدة أهل السنة في الصراط ٩٩
عقيدة أهل السنة في الحوض ١٠٠
لي الرافضة أعناق الأحاديث ١٠١
تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة ١٠٢
تعريفات الإيمان عند الطوائف المنحرفة ١٠٣
الإخلاص والمتابعة في الأعمال ١٠٦
الأسئلة ١٠٨
سؤال (١٢): البعض يرون العمرة في رجب لها فضل كبير، ويرون أن النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أسري به في رجب، فهل هـٰذا صحيح؟ ١٠٨
الدرس التاسع ١٠٩
التكفير بالذنوب ١٠٩
الرد على بعض المفتونين ١١٠
أحوال الحكم بغير ما أنزل الله ١١٢
الأسئلة ١١٥
سؤال (١٣): ماذا يفعل الذين لا يرون أن الأعمال من الإيمان، ماذا يفعلون بالأحاديث الصريحة في هـٰذا الباب والآيات الواضحة في القرآن؟ أليسوا يقرؤون القرآن ويعرفون الأحاديث، إذن قامت عليهم الحجة؟ ١١٥
سؤال (١٤): السلام عليكم ورحمة الله، القسم الرابع والخامس هل يحكم عليه مباشرة بالكفر، أم لابد من إقامة الحجة وانتفاء الشبهة؟ ١١٦
سؤال (١٥): هل من قال كلاما ظاهره الكفر، وهو لا يعتقد ذلك، هل يكفر بذلك كمن يقول: الله لا يعلم الغيب، إن حكم الكفار أحسن من حكم الله ؟ ١١٧
سؤال (١٦): إن بعض الحكام قد تسلّطوا على رقاب المسلمين وأذاقوهم العذاب، فماذا تقول في حاكم يأتي بالمتهم ويفعل بأمه أو أخته أو زوجته الفاحشة أمامه ألا يقود ذلك إلى اتهامه بالكفر؟ ١١٧
سؤال (١٧): ما ضابط قيام الحجة لكي يبدّع أو يكفّر؟ ١١٧
سؤال (١٨): هناك من يفرق بين من يحكم بما أنزل الله في مسألة أو مسألتين وبين من يستبدل شرع الله بشرع آخر ١١٨
سؤال (١٩): ما منهج أهل السنة والجماعة في مسألة الولاء والبراء ؟ ١١٨
سؤال (٢٠): هل يفهم من كلامك يا شيخ أن الولاء والبراء فيما يتعلق بالباطن فقط من حب وبغض، أم يتعلق بالظاهر كذلك ؟... ١١٩

سؤال (٢١): ما يقول الحزبيون اليوم عن العلماء أنهم علماء حيض ونفاس، وجدت كلاما للشاطبي حول هـٰذا الموضوع قال: رحمه الله في كتاب الاعتصام المجلد الثاني صحيفة (٧٤٢): وروي أن زعيما من زعماء البدعة كان يريد تفصيل الكلام على الفقه فكان يقول: إن علم الشافعي وأبي حنيفة لا يخرج من سراويل امرأة، هـٰذا كلام الذين قاتلهم الله. أريد توضيحا لهـٰذا. ١٢٠
الدرس العاشر ١٢١
عقيدة أهل السنة في حياة الشهداء ١٢١
حقيقة الجهاد ١٢٤
عقيدة أهل السنة في الحياة بعد الموت ١٢٧
عذاب القبر ١٢٩
بالمناسبة: بدعية تخصيص ليلة ٢٧ رجب بعبادة ١٣١
الدرس الحادي عشر ١٣٢
تنبيه: تخصيص رجب بعبادة مخصوصة ١٣٢
الأسئلة ١٣٥
سؤال (٢٢): ما حكم الإسلام في الرافضة وهل يجوز السلام عليهم؟ ١٣٥
سؤال (٢٣): ما هي كتب العقيدة التي تنصح طالب العلم باقتنائها؟ ١٣٥
سؤال (٢٤): أسئلة كثيرة تدور حول حكم إطلاق كلمة (الشهيد) على من مات في سبيل الله، ما حكم هـٰذا الإطلاق؟ ١٣٧
سؤال (٢٥): متى يجب الجهاد، وهل هو أفضل من طلب العلم، ومتى يكون فرض عين؟ ١٣٨
سؤال (٢٦): هل إقامة الانفجارات في البلاد الكافرة لقصد مصلحة الإسلام يجوز أم لا؟ ١٤٢
الدرس الثاني عشر ١٤٣
الإيمان بالملائكة ١٤٣
الإيمان إجمالا بالملائكة ١٤٣
الإيمان بالحفظة والكتبة ١٤٤
الإيمان بملك الموت ١٤٦
القرين ١٤٧
القرون الموصوفة بالخيرية ١٤٨
الأدلة على فضل الصحابة ١٤٩
من أفضل الصحابة ١٥٠
عدالة الصحابة ١٥١
وجوب الاقتداء بالصحابة ١٥١
الكف عما جرى بين الصحابة ١٥٢
حكم سب الصحابة ١٥٢

الأسئلة ١٥٣

سؤال (٢٧): فضيلة الشيخ إنه لا يفسّق أحد من الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- وقد جاء في الأحاديث أن بعضهم زنا وبعضهم شرب الخمر وغير ذلك، كيف توجه هــٰذا الإشكال؟ ١٥٣

سؤال (٢٨): ما حكم اتخاذ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسيلة إلى الله تعالى بقوله تعالىٰ: ﴿وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ﴾[المائدة:٣٥] ؟ ١٥٣

الدرس الثالث عشر ١٥٥

وجوب طاعة العلماء والأمراء ١٥٥

وجوب اتباع سبيل المؤمنين ١٦٠

ترك المراء والجدال والبدع ١٦١

الخاتمة ١٦٥

نظم مقدِّمة الرِّسالة ١٦٦